

تفسير

سُورَةُ الْقِيَمَةِ

من

نظامِ عمر القزويني

في بيان الفرق بين الفرق

للمعلم عبد الحميد الهندی

طبع في مطبعه دار الفقه في سنة ١٣٠٤ هـ

سُورَةُ الْيَقِيَةِ

فهرس مطالب الفصول التي في تفسير هذه السورة

- (١) عمود السورة وربطها بما قبلها (٢٢)
- (٢) اسلوب السورة (٣)
- (٣) كثرة الردوع من دلائل الخط (٤)
- (٤) اسلوب احتجاج السورة مجردا عن قواعب البلاغة (٥)
- (٥) في قوله تعالى "لا اقسم" لمنفصلة (٦)
- (٦) معنى المعاذير والفارقة (٦)
- (٦) بيان المقسم عليه ووجه القسم بالقيمة (٧)
- (٨) بيان وجه القسم باللوامثة (٨)
- (٩) جمع القسمين وقبح حسب ربطا بعدتها (٩)
- (١٠) وجه الجمع بين القيمة واللوامثة (١٠)
- (١١) بيان تحسيف القمر وجمع الشمس والقمر (٩)
- (١٢) تفسير قوله تعالى "لا تحرك به لسانك لتعجل به" (١٠)
- (١٣) زيادة التوضيح لنظم الكلام (١٣)
- (١٤) في حفظ القرآن وانه اجمع في عهد النبي وروحى من اسد وان الاماميه (١٤)
- موافقون بنا في كل ذلك
- (١٥) معنى قوله تعالى "وجه يومئذ ناضرة" الى قوله تعالى "فاقره" (١٤)
- (١٦) الاشارة من محي "يقفل" مجولا (١٤)
- (١٦) الوقف على قوله تعالى "التراتي" وحذف الياء (١٤)
- (١٨) تاويل قوله تعالى "من راق" (١٨)
- (١٩) تاويل قوله تعالى "والفت الساق بالساق" (١٩)
- (٢٠) زيادة التوضيح لنظم الكلام (٢٠)
- (٢١) موقع الصلوة في الدين (٢١)
- (٢٢) ربط السورة بالتي بعدها (٢١)

سُورَةُ الْقِيَمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَلَيْسَ
الْإِنْسَانُ أَلَنُ نَجْمَ عِظَامِهِ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُومَ
بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) لَيْسَ لِيَأْنَ يَوْمُ
الْقِيَمَةِ (٦) فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّعَرُ
وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) أَكَلَّا لَؤْلُؤًا
إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١١) يَنْبُؤُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا
قَدَّمَ وَآخَرَ (١٢) بَلَى الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٣) وَلَوْ أَلْقَى
مَعَاذِيرَهُ (١٤) لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَلَ بِهِ (١٥) إِنْ عَلَيْنَا
جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ (١٦) فَإِذَا قُرْآنُهُ فَاتَبَعَ قُرْآنُهُ (١٧) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا
بَيَانَهُ (١٨) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (١٩) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢٠)
وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢١) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٢) وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ بِاسِرَّةٍ (٢٣) تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٤) كَلَّا إِذَا

بَلَغَتِ الثَّرَاقِي (٢٧) وَقِيلَ مَنْ يَنْتَرَاكِ (٢٨) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٩)
 وَالتَّقَاتِ الْمَسَاقُ بِالْمَسَاقِ (٣٠) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣١)
 فَلَا صَدَقَ وَلَا صُلِيَ (٣٢) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٣) ثُمَّ ذَهَبَ
 إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمِطُ (٣٤) أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ (٣٥) ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ (٣٦)
 أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٧) أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ
 مَّنِيٍّ يُمْنٍ (٣٨) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٩) فَجَعَلَ مِنْهُ
 الذُّكْرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٠) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ
 يُجِئَ مِنَ الْمُؤْنَىٰ (٤١)

نظام القرآن تأييد الفرق بالفرق بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) اعلم ان عمود هذه السورة ابطال ظن المنكرين بالقيمة والجزاء وكان منشأ انكارهم حسب
 هذه العاجلة الغائية فان حب الشيء يبعد عن استماع ذكر خلافه ثم استلزامهم عن الطاعة وتقوى الله
 لما غفروا لهم والمهم كما ذكر الله تعالى هذا الامر من بقوله "كلابل شجون العاجلة وتذرون الآخرة"

وبقوله "فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى ايه تيمطى" وهذا تصوير من استغنى
 بابه ومله . تشبثوا في الكارهم بشبه عامة ذكرها القرآن بحكاية اقوالهم مرارا مثلاً " اذ اننا
 عظاما مخزاة " او تهيمات سهيات لما توعدون " فاجابهم الله حسب حالهم بما يزيل عنهم الشبهة
 ويؤفكهم عن الغفلة . فجمع في السورة من الزواجر والدلائل ما فيه بللغ مبين . ولما كانت السورة
 السابقة قد صرحت بحالهم من الاستكبار والانكار وذكرتهم بهويل شديد قلل في هذه السورة
 من ذلك التصريح وخالبهم بالدلائل فكما ان الصناعات ينفخ في الحديد او لا فيجعل ناراً ثم يطرق
 عليه فكذلك اربا يفعل بالكلام اذا صادف قوماً اخيما مستكبرا . فلهذا السورة مع لوائح الغضب
 في اسلوبها ليست بصراحة السورة السابقة . كقوله تعالى فيها " ذرني ومن خلقت وحيداً
 وجعلت له مالا حمو وداو بنين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطمع ان ازيدك كلاً انه كان لا يتنا غيداً
 سار بهقه صعوداً . انه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم عسى وبسر . ثم ادبر واستكبر فقال
 ان هذا الاسحر يوثر . ان هذا الا قول البشر . ساصليه سفر . وما ادرىك ما سقر لا تبقى ولا تذر
 الى قوله تعالى " فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حم مستنفرة . فت من قسورة " فترى
 فرقا واضحين في هذا التصريح وما تجد في سورة نحن فيها الآن .

(٢) ومع ذلك تجد في اسلوب السورة بقايا لغضب لما ترى فيها من ذكر عتو الانسان و
 اجتراره . ولما ترى فيها من التقرير والتخضع في جوابها وخطابها ولما ترى كثرة الروع و
 الاستغنام في آياتها . فالسورة من جهة الاسلوب غير منقطعة بل متصلة بالسابقة كما بيناه
 في الفصل الاول . الا ترى قول الانسان " ايان يوم القيمة " على غاية العتو والاجترار
 فانه بعد اتمام الحجته لا يستطيع الانكار بها ولكن لمحض غيابة ولما امله الله رحمة يقول مستهزئاً
 مستكبراً مستعجلاً " ايان ذلك اليوم " فاستحي التقرير والتخضع في الجواب فما اخبر عن
 وقتها ولكنه صور له حاله في ذلك اليوم وعلى هذا الاسلوب ما جاز مراراً في القرآن فمنه قوله
 تعالى " يسئلون ايان يوم الدين " يوم هم على النار يفتنون " ذو قوا فنتنكم هذا الذي كنتم به

تسجلون؟" (الذاريات) ، فكذا اقول تعالى "فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر" يقول الانسان يومئذ اين المفر؟ جواب يلحق بانكارهم اى انه اليوم مستعبد مستجمل متكبر ويقول ايان يوم القيمة ولكنه حين راي ذلك اليوم يقول "اين المفر؟" ومثل ذلك تصوير حاله في قوله تعالى "ووجه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة" الى قوله تعالى "وانفتحت الاساق بالاساق" ومثل سؤاله استكبارا اعراضه عن الحق كما قال تعالى "فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى" ثم ذهب الى امله تيمنى "فاتبع هذا بقوله" اولى لك فاولى ثم اولى لك" مطابقا لحاله على سبيل الحسرة كما قال تعالى "يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا يستهزؤن" فان كلمة اولى تستعمل للحسرة كما ان "ويلا" للمقت والزجر قالت الخنساء

هممت بنفسى كل الموم
فاولى لنفسى اولى لها

وانما التفت من الغيبة الى الخطاب لتكون اشد فلو قال اولى له فاولى لم يبلغ هذا المبلغ وانما جرى الكلام الى آخر السورة على الاستفهام لمثل ذلك السبب فالسورة من اولها الى اخرها ردع وتوبيخ -

(٣) لازرى الحاجة الى تفصيل مواقع الردع والاستفهام في هذه السورة ولكن نشير الى امرهم وذلك ان الخطاب اذا كان على سبيل اسخط ترى فيه كثرة لفصل كان المتكلم يفت عن القول ويكظم غيظ ثم ياخذ في اسلوب آخر ويختم الكلام بكلمة الردع كما ترى الالتفات كثيرا في كلامهم بمثل قول الشاعر ع فدع ذا دسل المم عنك بحسرة و لك ان تقاس هذه السورة بسورة العلق والنكاثر والهمزة فانهم متشابهات في هذا الاسلوب كتبتهم في انهم اسخطوا ولكن تفهم هذا الاسلوب ومواقع الردع والسؤال نورد ما عليك بطريق موجز "ايحسب الانسان ان لا نشرو لاجز ايل من ان فجور يقول ايان ذلك فاذا جاء لامفر كمالا لمجاله والى الله المستقر بل الانسان مع البصيرة يعامى - كلا بل يحب الدنيا ويترك الآخرة كلا،

ما غنائه الدنيا عنه اذا بلغت التراقي وسبق الى ربه. فري كثرة الالتفات والقطع الظاهر ولكن الكلام جار على معنى متصل وما ذلك الا لظهار السخوط وشناعة احوالهم ومن الالتفات آية "لا تحرك به لسانك لتعجل به" الى كلمة "بيان" وستر على تفسيرها.

(٣٨) قد علمت ما قدمناه ان السورة بنيت على الزجر والتخضيع لذلك يخفى وجه الاحتياج على غير الممارس ببلاغة العرب فانه ينظر في الكلام من جهة الاخبار والاستدلال فارادنا ان نكشف عن وجه الحجة بتجريد الكلام عن بوارقه فتحمته الابصار الضعيفة ايضا. فنقول ان وجه الكلام تحت قناع البلاغة بهذا. "كذب الانسان بالقيمة. وتولى عن الذكر وحسب انه تترك سدى ولا يجزى. وقد ائذربها فيسأل مستهزأ ايان يوم القيمة. فيعلم انه لن تترك سدى بل انه يحى ثم يجزى. نفع عظامه ونسوى بانه. وانما هو في سكرة العمى فيفتح بصره عند الواقعة فيقر بها اذا شهدت عليه بنفسها، بل قد شهدت نفسه اللوامته فهو بصيرة على نفسه ولكن محبة هذه العاجلة اذهلت عن الآخرة فينبغي ان تترك لها كي يفهم. الا يذكر الموت وفراق هذا العاجلة الذاهبة والرجوع الى ربه فيصدق ويصلى ام لا يذكر خلقته فيؤمن بان المبدع قادر على احيائه مرة اخرى". ولكن اين هذا من النظم البليغ الباهر والذي يتدبر القرآن يرى تحت قوارعه حجة الدامغة كما قال تعالى "تقشعرونه جلود الذين نخشون ربهم ثم تملين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله" وسينكشف لك وجه الحجة بعد النظر في مجموعها وفهم تاويلها، والآن نلتفت الى اجزاء السورة وشرح كلماتها بحول الله تعالى وما توفيقى الاباء عليه توكلت والى انيب.

(٥) في قوله تعالى "لا اقسم" لا منفصلة اى باطل ما يحسب الانسان. والقول بزيادة لا تخيف جدا وبانها متصلة سيتم لضعف المعنى ولتصريح القرآن بخلافه حيث جاء "فلا اقسم بمواقع النجوم وانه انقسم لولا تعلمون عظيم" (انظر تفسير هذه الآية)

والانفصال لا قبل القسم كالانفصال كلا قبله كما قال تعالى "كلا والقرن" وتكرارها كتكرارها
كما قال "كلا، سوف تعلمون ثم كلا، سوف تعلمون" وهذا الأسلوب شائع في كلامهم إذا
أرادوا شدة الانكار لظن سابق لأن في تقديمه دلالة على أن الكلام جواب ورد
لما قيل من قبل وعلى أن الانكار به لا يحتمل كمثل فان القسم عادة الابتداء وانما قدمت
عليه كلمة الانكار لشدة الاعتناء به والقسم على الأكثر تأكيداً للآثبات فإذا كان الانكار
ينبغي أن يصدر الكلام بالنفي ولذا كان قالوا "لا والله" وان قيل "والله لا" كان
ضعيفا - فعلى هذا جاء قوله تعالى "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت" ومنه قول النابغة الذبياني هـ

فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما هريق على الانصاب من جسد
والمومن العائذات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد
ما قلت من سئ ما أتيت به اذا فلا رفعت سوطي الى يدى

وايضا قوله هـ

فلا عمر الذي اثني عليه وما رفع الحجيح من الالال
لما اغضت شكرك فانتفضي وكيف دمن عطاك جل مالي

وقول امرئ القيس هـ

فلا دابيك ابنة العامرى لا يدعى القوم انى افر
وفي هذا الشواهد من القرآن وكلام العرب كان القسم على الانكار للمحض فحجى بذكر ما
يتعلق به الانكار واما اذا كان القسم على اثبات وانكار معا كما وقع بهنا اتبع بكلام
يناسب هذا الموضع فبما يذكر في الجواب الاثبات والانكار معا كما قال تعالى
"فلا أقسم بالتبصرون ولا لا تبصرون - انه لقول رسول كريم (هذا ذكر الاثبات)
وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليل ما تذكرن (هذا ذكر الانكار)

تنزيل من رب العالمين“ اعادة الاثبات كما ثنى الامكار - وربما يحدف كلاهما ديوتى بما يدل على المقسم عليه او يعتمد على ظهوره من موقع الكلام كما ترى فى قوله تعالى ”ص والقرآن ذى الذكربل الذين كفروا فى عزة وشتاق“ فكذا لك ههنا ايضا لم يصح كل تصريح بالمقسم عليه لما دل عليه ما يتلوه ولما يفهم من نفس المقسم به ولما يفهم من الروع والتوبيخ كما مر بك ذكره فى لفصل الرابع ولما مهد له فى السورة السابقة كما بيناه فى لفصل الاول (٦١) اما باقى الفاظ السورة فمعروف ولكن ربما يسأل عن كلمتين معاذير وقارقة - اما المعاذير فاسم جمع للعدرة واصلها معاذرة فى امثالهم المعاذير مكاذب“ ثم زيدت الياء كما ترى فى المناكير وهذا المعنى اقرب الى ظاهر الموقع مما قالوا انه جمع معذار للمستر بلفظة اليمين ويتضح لك هذا من تفسير الآية - واما القارقة فهى من اسماء الداهية كما هنا تكسر فقرات نهضة وهكذا القارقة واسماء الداهية تستعمل للقيمة - انها لكبرى بها -

٥٠ القسم بالقيمة من التائب الشديد كانه قال سوف تعلمون ذلك اليوم فاخرج الكلام مخرج التهويل ومثل ذلك فى قوله تعالى ”واليوم الموعد“ ويد لك على موقع سخطه قوله تعالى بعده ”قتل صحب الاخذود“ وهذا السلوب ابلغ فى خطاب المستعجلين كما قال ”اذ وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة“ فلهذا الاقسام من شهادتى بنفسي على نفسي لشدة الظهور ثم هذا السلوب انفع لهم لى تعلموا الصبر ويعتصموا المهلة ولذلك كثر فى القرآن الامر بما لهم والاعراض عنهم فان امراض النفس كادوا يحسم تعاجل باضدادها كما ترى فى قوله تعالى ”سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج“ تعرج الملكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا وراه قريبا“ فلم يجب للسائل بل امر النبى بالصبر - وربما يتبع التهويل بحجة كما ترى فى قوله تعالى ”ثم تسمى تيسلون“ - عن النبأ العظيم - الذى هم فيه مختلفون - كلا سيعلون ثم كلا سيعلون“ (فهذا تهويل وزجر وتنبية ثم اتبع ذلك بالحجة فقال) ”الم نخلل الارض

مهاداً الى قوله "الفا" احتجاً بآيات الدالة على القيمة. (انظر تفسير تلك السورة) فذلك في هذه السورة بعد القسم بالقيمة على سبيل التحويل اشهد بدليل هو من اقرب الدلائل ولنذكره الآن -

(٨) فاعلم ان القسم بالنفس اللوامة اشهاد النفس على النفس بالبداهة فان النفس تعلم علم اليقين بانها تحت ذمته وعليها حاكم يحاسبها والاما ذلوم نفسها على بعض ما فعلت وفي ذلك دلالة ظاهرة على الحساب والجزاء وعلى ان فيها من فطرتها وانزع وراوع لا يزال ينضمها وينيرها حتى تصير مطمئنة ومنقادة فتدخل في حزب الله راضية مرضية فمع هذا الحس البديهي الذي سماه الله تعالى بصيرة بقوله "بل الانسان على نفسه بصيرة" كيف يشك في يوم الجزاء - الا انه يكره ان الله قادر على احيائه وهذا اثم كبير مع انه حق شديد وذلك الظن السيئ الباطل حمله على اثم اكبر منه وهو فجوره وسوء ادبه بين يدي خالقه فيسأل مستهزئاً ببيدي ما استمكن في نفسه من مرض الشك متباهياً به -

(٩) وكما جمع في الاشهاد بين القيمة والنفس اللوامة فذلك جمع فيما بعد بين صفة القيمة وصفة النفس اللوامة اي البصيرة واكد على ثبوت البصيرة بان الانسان مع تشبهه بالمعاذير وتسكينه اللوامة بها لا يستطيع ان يسكتها فانها لا تزال تلومه الا بتصير عمياء صماء باران على قلبه حينئذ يصدق عليه "ختم الله على قلوبهم" وعن هذه الجهة الصمم العمى امر الله النبي بالصفح والاعراض كما قال "فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم" فمنا ايضا امره بالاعراض عنهم كما ستعلم في تفسير قوله "لا تحرك به لسانك لتعجل به"

(١٠) ان في الجمع بين القيمة والنفس اللوامة ايضا دلالة على نسبة بينهما عند من تدبر فاعلم ان القيمة لوامة النفس الكلية فان العالم شخص واحد لمجاري احواله

على مواقفة- بعضها ببعض وكما ان في كل انسان لوامته على افعاله السابقة فكذا لك
للعالم نفس لوامته على ما جرى فيه كان فيه قوة اصلاحه ولولا ذلك لفسد ولذا لك
ترى الكون بعد الفساد والرجوع بعد الحياذة عن اسبيل حكم مرة كادت الاجرام
تتصادم او تخرج عن النظام ثم كانت صارفا اعاذها على الصراط وهذا بحث طويل
الذيل واهل العلم لا يرتابون في ان في العالم مصليا ومرمما وفي توالى الليل والنهار
والحر بعد القرو المطر بعد القحط آيات على ذلك وهكذا في جته الاخلاق بروفجر وقسط
وجور وعلم وجهالة وعمارة وخراب وسجد بعض البسط في سورة الاعلى - وجلة القوة
بهنا ان القيمة لوامته النفس الكلية فترها ما فعلت وقوله تعالى "ينبؤ الانسان يومئذ
باقدم واخر" عبارة عنه كما ان اللوامته مثال قيمة فيك فتركيب حقيقة اعمالك و
قوله تعالى "بل الانسان على نفسه بصيرة" عبارة عنه - وهكذا اكل بني نفس لوامته
لقومه وخاتم الانبياء تسعة بعثته هو النفس اللوامته بجميع بني آدم وهو مثل القيمة
ودنيوة العالم وبسط الكلام في كتاب ملكوت الله وتجدر طرافته في تفسير سورة الصف
(١١) قد مر يك بعض تفسير قوله تعالى "فاذا برق البصر" الى قوله تعالى "ولو اتقى
معاذيرة" وقد بينا دج الكلام في الفصل الثالث فالآن نتوجه الى مضمون هذه الكلمات
فاعلم ان الله تعالى صور بهذه الآيات هياة القيمة حين تتجلى لهم فيبرق بصرهم و
شدة الفزع توفظهم عن قدة الغفلات - اما كيف نخسف القمر ام كيف يجمع بالشمس
فقد بينا في كتاب المنشابهات ان امور القيمة ليست من الاحوال الجارية فتطابق
عليها الاعلى سبيل العبرة فان الخوض فيها لا يزيد شيئا في التخويف الذي هو المطلوب
الا قدم من ذكرها بل خفاء الكيفته اعظم تهويلا من بعض الوجوه لمن اليقين بها - واما
المنكرون الشاكون فيكفي لنا في جوابهم ان نقرب احوالها الى فهمهم بما علوا من مجارى انظر
غير مقرين بانها هي بل انها غير مستبعدة عما صح عندهم فيقال لهم - انكم لا تشكون

في ان حرارة الاجسام تنقص آناً فآناً اذا كان باحوالها ابرد منها وكذلك زعمتم ان
 الاجسام تدرجت من الحرارة الشديدة والهوائية الى اسيلان ثم البرودة والجمود
 وقد حققتم ان كثيرا من الاجرام انجذب الى الشمس وألقى فيها فان صح عندكم
 هذه الامور فيوشك ان يجذب القمر وكذلك ارضنا اليها والشمس يومئذ قليلة الحرارة
 فتدنو ولا انسان يهرب من البصر بنورها ونخيف القمر ولا يذهاب نوره لقرب الارض
 من الشمس كما روى عن قتادة وعن الحسن وخسف القمر ذهاب نوره ثم يقع
 فيها وهو المعنى الاصلي لخسف كما جاء في غير مرة في القرآن مثلاً في قصة قارون
 "فخسفناه وبداره الارض" وذلك لخروجه عن مداره وهذا يقع عند اقتراب الساتر
 فان الآن كما ترى صنع الله تعالى اتقن كل شئ فتجري الاجرام في افلاكها حتى
 يتم امرها وتكمل مصالحتها قال تعالى "واية لهم ايل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون
 والشمس تجري لمستقر لما ذلك تقدير العزيز العليم - والقمر قدرناه منازل حتى
 عاد كالعرجون القديم - لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا ايل سابق النهار
 كل في فلك يسبحون" اى لنا آية على انتهماء هذا النظام في ذهاب النهار
 جريان الشمس حسب مستقرها من الله تعالى وتقديره وكذلك في قلب القمر الذي
 يمشو ثم ينزل ومع تقاربهما بعد التباعد لا تقدر الشمس ان تدرك القمر ولا الارض
 ان تفر من الشمس فلا يدرك نهار الشمس ليل الارض بل كل من الاجرام يسبحون
 في مدارهم ففى ذلك تذكرة لمن علم بتصرف البدن في خلقه على فنار العالم وان الله
 الرحيم - فاذا رمى بالقمر في الشمس وخسف به وقدرأوا دنو الشمس خافوا ان
 تلتقى هذه الارض فيها وفزعوا ولا مفزع فقالوا اين المفزع هذا والآن ترجع الى مسرحة
 ما بعد هذه الآيات بحول تعالى -

(١٤) ان في اول النبوة كان نزول الوحي موجزاً ونذر القلة استعداد بهم و

تنفخ بهم ومن الحكمة الرفق والتلطف فكانوا يهلون ويصنع عنهم ريثما يهدوا جواهرهم
ويسكن جاشهم والنبى عليه السلام ربما يضيق صدره اذا فتر الوحي لمجوم الخ صمته
عليه وكان نزول القرآن له تسكيناً وتثبيتاً فكان حاله بين الخصام والقرآن كحال
الشجر الممطور في حرا المواجر ولفح الحور وزد على ذلك حرصه الشديد على ايمان
الناس وتكميل الشريعة وقد قالوا "ولانزل عليه القرآن جملة واحدة" فلهذه الوجوه
التي اشرنا اليها كان النبى عليه الصلوة يتشوق عند ما يوحى اليه حتى كان يقرؤه بلسانه
لكى يعيه ولا ينسى فيتلقي وراء ذلك ليكون به اسديدا واكثر ددا في البطل
الباطل واثبات الحق وقد اظهر الله تعالى عليه مصاح الملهمة والتدريج في الامور
الالهية في كثير من الآيات كما قال "ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك
وحيه وقل رب زدنى علما ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزاء"
فبين ان الانسان قليل العزم فلا يحتمل جملة الشريعة اذا حملها دفعة واحدة
فلا تعجل بان يلقى اليك القرآن تمامه بل خذها اعطيت منها واعلم ان لما بقية
من تخفيف او تكميل واستزد علما من ربك فبين مصلحة التدرج مجلا من جهة
ضعف الانسان واما قوله "لا تتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا
قرناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه كلابل تجون العاجلة وتذرون الآخرة" فقد
بين فيه مصلحة التدرج من جهة استعداد الانسان للتربية فان الله تعالى
اودعه بصيرة وتميزا وشوقا الى العلوفيسمو اليه حاله لا ولا ولكن تنازعه زخارف
الدنيا وشهوات العاجلة وهذا حب العاجل ايضا مودع فيه كما قال تعالى
"خلق الانسان من عجل" وقال "ان الانسان خلق بلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا
مسه الخير منوعا الا المصلين" وهذا لى يتلبى ويخلص النصارى من الحبث ففى الانسان
حب العاجل وشوق المعالى كلاهما مفسوران وبذلك اجتهاده ومنه الترتيبية

لينو بذر الفطرة بقوة المودعة فيه من قبل ذاته ولذلك منع الاكراه في الدين -
 فبعد ما بين الله تعالى ان في الانسان لوامته وعلمه للدين وبصيرة علم النبي كيف
 يربهم فقال لا ينبغي لك ان تعجل بالقرآن فان التدرج امر مقضى عندنا وعليه
 يجرى امر الترتيبه والمربي الحق هو الله تعالى كما قال " انك لا تهدي من حلبت
 ولكن الله يهدي من يشاء " ومثلها آيات كثيرة - فليكن ان تتلو عليهم ما يوحى اليك -
 وسلي النبي بان علينا جمع القرآن بعد هذا النزول المتفرق ثم قرأته حسب
 نظامه ثم بيانه باضافة الآيات البنية (وبسطنا الكلام في كتاب تاريخ القرآن)
 ثم بين ان عدم انتفاعهم بهذا القرآن ليس من جهة مكته وتدرج بل انه لهو التذكير
 ولكنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة فهم بعيد المحسوسات وعمون عن غيب
 عمدا وقرأ فان الانسان على نفسه بصيرة ولكنه يعمى ويتغافل كفرافان الله
 تعالى هداه لسبيل ونصب له الدليل ويريه آياته ويذكره باياته وقدين
 في اول القرآن انه انما يهتدى به من آمن بالغيب ولم يجد على المحسوس العجل
 فلا تعجل بان تلقى عليهم النصائح جملة بل تذكرهم وتصفح عنهم فينتفع به من
 صلح له - ولا تحرص على تلقى القرآن جملة مجموعا مرتبا - يقرب لمن هذا ما بين الله
 من حالهم حيث قال " فلما لم عن التذكرة معرضين كانهم منكم مستغفرون
 من قسوره بل يريد كل امرئ منهم ان يوتي صحفا منشرة " فاجاب الله بقوله
 " كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكروه فمن شاء ذكره " فوضح ان دأبهم
 الذهول عن الآخرة - وهذا تاويل ظاهر ان تمسكت بنظام الآيات ومثل
 ذلك جاء قوله تعالى " سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى
 وفيسرک ليسرى فذكر ان نفعت الذي سذكوم من نخشے وتجنهها الاشقي الذي
 يصل النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى

بل توثرون الحيوۃ الدنيا والآخرة خير وابقى" فقال والتمس المطابقة بين
 هذين الكلامين ونظامهما - وبمثل ذلك جارى فى سورة الدهر - فاشهد الانسان
 على نفسه بما يعلم بالبداهة من انه لم يكن ثم جعله الرب سميعا وبصيرا واره
 سبيل الخير والشر وجعله مختارا اما شاكرا واما كفورا - ثم صور حال كلا الفريقين
 فبعد بيان ان الهداية من الله والانسان مختار ومجزي اخبر الله النبى تسكينه
 انك لست فى شى من الذمة نحن نزلنا القرآن ولربك الحكم فاصبره ولا تطع
 لما يطلب منك ذلك الكفور الذى لم يفتفع بسمعه وبصره - فهذا هو الامر بالصبر
 والرجوع الى الصلوة كما جارى فى مواضع كثيرة وسنذكر بعضه فى تفسير
 سورة الدهر - ثم بين ان مرضهم محبة هذا العاجلة والاعراض عن الآخرة - ثم صرح
 بانك برى الذمة وانه تعالى هدى لسبيل ونزل عليك تذكرة فمن شار
 انخذ الى رب سبيلا - وتفصيل هذا التأويل فى تلك السورة فانظر هناك ثم
 التمس المطابقة بين هذه الآيات والآيات التى كنا فى تفسيرها -

(١٣) قد اشكل هذا الالتفات على المفسرين لما خفى عليهم رباط الكلام حتى
 ان فقال زعم انه ما يقال للكفار يوم القيمة والباقون لم يبعدوا عن بعض
 فحواه ولكنهم جعلوه كلاما مستانفا غير مربوط بمضمون السورة وظنوا ان النبى
 اعتراه العجل فكله جبريل ناهيا عن العجل - نعم ان نزول القرآن كنز وول
 ينظر تبيانا وانبعاثا لى يطابق بالحال وقد وقع عند القارئ هذا الكلام ان النبى
 كان عاجلا تلقى الوحى حرصا عليه لشدة حرصه على انذار قومه كما قد ذكرته فى
 اول (١١) ولكن كان هذا دابة وكثر فى القرآن تسلية بامثال هذه الكلمات
 ولما كان هذا الشوق لوجه كثيرة جارت التسلية على وجه كما ذكرته آنفا
 وظنوا ان الجملة المذكورة فى هذه السورة كانت من خوفه الضياع والنقصان

على القرآن فنقول نعم - بهذا الامر ولكن فيه غورا يستعى تفصيلا فاعلم ان النبي عليه السلام بعد ما اوحى اليه كان يحسب ان حلا باهضا قد اتقى عليه فان نسي منه شيئا كان مسئولا عنه ومع ذلك انه كان يشاق الى زيادة الوحي لعل قومه ينتفع بفجارت التسلية حسب هذين الامرين مع رعاية وجه الكلام في هذه السورة فكانت قيل له - "لم تهتد بهذا في تلقى الوحي اما حفظه وجمعه فعيلنا واما هداية قومك فهم منهكون في محبة العاجلة فكثير القول وقيل سوار عليهم" وقد اراهم الحق ثم بين الفرق بين المهتدين والضالين - فهذا كلام اجمل فيه ما فصل في سورة الاحقلى وسورة الداهر وفصل فيه ما ترك مجلا في تلك السورتين والآن نبينه بعون الله تعالى فانه من مهمات المسائل -

(١٢) فاعلم ان الله تعالى وعد حفظ القرآن في كثير من الآيات اجمالا وتفصيلا فقال تعالى "كتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" اى انه مصون عن الزيادة - وقال تعالى "انا نحن نزلنا الذكره وانا نحن نحفظون" وهذا قول في غاية الصراحة بنفى النقصان والتغير مع الدلالة على نفي الزيادة فان كل ذلك يخالف حفظ الكلام وهذا امر ظاهر وما شتر من ان الامامية يقولون بذهاب بعض القرآن فخلافت تصریح علماء ثم كالسيد المرتضى وشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى وآبى على الطبرسى صاحب مجمع البيان ومحمد بن على بن بابويه القمى الذى قال "اعتقادنا ان القرآن الذى انزل الله على بنيه هو ما بين الدفتين وما في ايدى الناس ليس باكثر من ذلك ومن نسب اليه انا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب" واما رواياتهم فقال سيد المرتضى "ان من خالف في ذلك من الامامية والحنوية لا يعتد بخلافهم فان الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث

نقلوا اخبار اضعيفة لهنوا صحتها لا يرجع بثبوتها عن المعلوم المقطوع على صحته
ولسيد المرتضى دلائل اخر تركناها فانا بسطنا الكلام في كتابنا تاريخ
القرآن وانا نذكر ههنا ما يختص بهذه السورة فلا يخفى عليك ان قوله تعالى
”ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه“
اكتوى ثلثة امور الاول ان القرآن يجمع في عهد النبي ويقر عليه بنسق
واحد فانه لو اجز هذا العهد بعد عهد النبي لم يامر به باتباعه والثاني ان النبي
ما مور بالقرأة حسب هذا القراءة الثانية التي تكون بعد الجمع - وليس للنبي
ان يلقي عليه شئ من الوحي ولا يبلغه الامة عقلا ولما امره الله تعالى في قوله
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالتك
اعرا عام - فلا بد ان علم النبي الامة قراءة الاخيرة التي عليه القرآن
في اللوح المحفوظ فان العرضة الاخيرة لا بد ان تكون مطابقة بالاصل -
والثالث ان بعد هذا الجمع والترتيب بين ما اشار الله بيانه من التعميم
والتخصيص والتكليل والتخفيف - وقد دقت هذه الامور الثلاث فان النبي
كان يقر عليهم سورة القرآن كاملة وهذا لا يكون الا بعد ان قرأ عليه
بنسق خاص فاخذوها منه ويامرهم بوضع الآيات مجلها اللائق بها ثم بعد
ذلك اذا انزلت عليه آيات مبينة - ضمها بالقرآن فترى هذه المبينات
ربما وضعت بحجب ما تبينه وحينما في آخر السورة ان كانت متعلقة بعمودها
وترى في اكثر هذه الآيات تصرحا بانها بيان من الله تعالى كقوله عز من قائل
”كذلك يبين الله آياته للناس“ ثم عرض عليه جبريل الامين عرضة
اخيرة بعد تمام القرآن كما جاء في الخبر الصحيح المتفق عليه - وهذا يزيل اكثر
معضلات النظام ولعظم شأنه بناه في كتابنا تاريخ القرآن واشهرت

الى هذه المسئلة في ديباجة الكتاب - فليكن هذا القدر بهنا -

(١٥) في قوله تعالى "وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة" تصوير حالتي المصدقين والمكذبين والمقابلة بينهما فوجوه باسمة سرور لما ينتظرون من رحمة الله ووجوه كاحية لما يخافون عذابه كما قال في سورة عبس "وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قفرة" وكما بين امرين للمكذبين من البسور وسؤالظن فكذلك بين المصدقين امرين نظرة الوجوه والاستبشار بثواب الله والثاني كالسبب للاول فان السرور والحزن يظهران في لون الوجه كما قال متمم بن نويرة ع

ولوعة حزن يترك الوجه اسفعا

وهذا كثير. فالنظر في الآيات للانتظار كما جاء في القرآن "قال سنظر اصدقت ام كنت من الكاذبين" وايضا "وانى مرسله اليهم بهدية فنظرة بهم يرجع المرسلون" ولا يخفى عليك ان الاستدلال على روية الله تعالى بقوله تعالى "الى ربها ناظرة" والجواب بان الى واحد الاركلاهما من الوهم والجل بلغة العرب وشؤون الكلام فان الالاء ليست بمعنى النعم كما بيناه في كتاب مفردات القرآن ثم مع الايمان بالتنزيه مانا وللخوض في ذات الله ليس ذلك من علامات ذهاب الدين فاحذر كعنه - وتجد قوله موجزا في تفسير قوله تعالى "ولن تراني" وقوله تعالى "لا يدركه الابصار" -

(١٦) في قوله تعالى "تظن ان يفعل بها فاقرة" حمي يُفْعَلُ بصيغة المجهول يشير الى ان العذاب انما يخاف من جهة الفسنا كما ان النعم تنتظر من الله وصرح بذلك في قوله "ما اصابكم من مصيبة فيها كسبت ايديكم ويعفو عن كثير"

وعلى هذا السلوب قوله "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" فلم يثبت الغضب الى نفسه كما نسب الانعام في قوله "انعمت عليهم" وهذا التقني على رحمة العاقبة ولكن اذا اراد عموم عدله ونفاذ سنته نسب كلها يقع الى ذاته المقدسة والاصل في ذلك ان العبود ومحبوب عند كل عابد الامن كان في منزل درجات الانسانية فلا يرجون منه الا احسنى ويدعون به باسماء تدل على الرحمة وشرح ذلك في تفسير "بسم الله الرحمن الرحيم" واذا قابلت هذه الآية بالتي سبقتها في صفة المؤمنين بدالك ان المؤمنين منتظرون قربة من الله والمؤمن قد نيسوا من رضوانه وعلما بانهم مبعدون كما قال تعالى "كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون".

(١٤) في قوله تعالى "بلغت التراقي" الضمير للنفس كما جاز في سورة الواقعة فلو لا اذا بلغت المخلوق "وانما لم يذكرها لعلمهم بها وتعودهم بهذا الحذف كما قال الحاتم الطائي

اما دى ما يغنى الزرار عن الفقه

اذا حشر جبت يوما وضاق بها الصد

وهذا الحذف من مثلما جاز في القرآن "ما ترك على ظهرها من دابة" في الآية امر آخر من جهة القراءة وذلك انه لا خلاف بين العلماء في ان النبي عليه السلام كان يقف على آخر الايات اى يقطعها فان الفواصل انما جازت تشابهة لام صوتي، وصل المعنى وفصله امر آخر كما ترى في الاشعار والاسجاع وقد علمنا من كلام العرب انهم ربما يحذفون الياء من آخر الكلمة لا سيما الساكنة كما ترى في قوله تعالى "لکم دینکم ولی دین" واصله ديني وذلك كثير في القرآن في الفواصل وجاز في غير المقاطع ايضا في اشعار العرب قالت الخنساء

وتعذرت ائق البلاء فبا د شل لماح
تذرى السواني على السوا م واجديت سبل المساح
فحذفت الياء من آخر السواني وبهرني حاله انصب مثل التراقي وقالت ايضا
فيا عين كى لامرى طار ذكره له تنكى عين الرافضات السواح
حذفت ياء تنكى وانشد سيبويه فى كتابه

فطرت بمنصلى فى عيالات ودامى الايدى نجطن السريجات
فحذفت الياء من آخر الايدى - واذ قد شاع فى كلامهم حذف الياء الساكنة والياء فى
التراقي على تقدير الوقت ساكنة فلا يجد ان تحذف الياء ثم تسكن الطاف كما رأيت
فى مثل "ولى دين" - "فبشر عبدا" بل لما يردوا عند اب

(١٨) "قيل من راق" حكاية عن شدة الامر حين لا يلتفت الى الذى قال -
كان هذا القول بنفسه اول عن ذكر القائل وكان كلهم شريك فى هذا القول
فالجول ههنا ابلغ - ومن قبل نكرة تحيى لثمة الطلب او عند غلبة الياس قال طرفه
اذا القوم قالوا من فنى قلت اننى عفيت فلم اكسل ولم ابتدد وقالت الحنساء
يعطى الجزيل ولا يعطى الخليل ولا يعطى السبيل اذا ما قيل من هاد

فى هيتين سوال عند شدة الحاجة ولكن فى الثانى طرفا من الياس وربما ينتهى
الياس الى الانكار كما هو العادة فى الاستفهام فى جميع الاسئلة المشهورة
ومنه قوله تعالى "من الله غير الله يا تكلم بضياء" والاستفهام للانكار شائع ولكنى
اروت الاستشهاد على حى النكرة بعد من وكشف معناها فى هذا التركيب الخاص
فان الآية محتملة لوجين ولكن المال واحد الاول انه اذا جارت سكرة الموت
وحشربت النفس وقالت العواد اضطربا كما ان الفرقى يثبت بالحشيش
الاراق فيداويه - والثانى انهم قالوا قد حم الامر وانقطع العمر فأتى راق

يشفيه وهذا الشدة يا سهم حنيئة ايمن المحضرا نهم اسلموه وودعوهم و علم انه الفراق
والعرب قد نطقت بهذا المعنى قالت الخمار

لكن سهام المنايا من يصيب
وقال حدي بن زيد

او تكن وجهة فذلك سبيل
الناس لا تمنع الخوف الرواق
فوضعت المعينين بين يديك فخذ يا بما شئت ولا حرج اذا كان المال واحدا وما
انا فارسي الوجه الثاني احسن لقربه من نظام الكلام كما علمت وستعلم
(١٩) معنى "والتفت الساق بالساق" ان لا يقدر المرء على المشي ويكون هذا
من شدة الضعف فانه اذا مات تبين ان قد التفت ساقه بعد ان كان جالسا
كما قال دريد بن الصمة

فان يك عبد الله خلى مكانه
فما كان وقفا ولا طائش اليد
كيش الازار خارج نصف ساقه
صبور على الضراء طلاع نجد
وتصوير الضعف بالتفاف الساق امر ظاهر وجاء في كتب الانبياء فمعنى الكلام
انه بعد ما ليس منه الطيب وودعه القريب وغائه الطورح اعضائه فكيف يكون
ماله وهو مسوق الى ربه قليل الازر كثير الازر والساق بمعنى شدة الامر قول
من لا يعرف من علم اللسان غير همه فلا يميز بين دلالة المجموع ودلالة الاجزاء
الكشف عن الساق انما يدل لمجموعه على الجدة والتشهير والكشف هو الكشف والساق
هي الساق - ودهم الرواة فيمارد واعن ابن عباس انه اخرايا من الدنيا
اول يوم من ايام الآخرة فانه لو صح فهو بيان الواقعة وليس بتفسير للساق
(٢٠) بعد ما علمت المراه من التفات الساق بالساق تبين لك حسن
موقع "الساق" فانه يخرجك عن شناعة غفلته عن التهيؤ لذلك الساق و

قد أتى انما في الدنيا الى ماترى من انقطاع سعيه ويس ساقه فكيف يكون
سيره الى ربه وهذا الكلام يهيك الى ما يملوه كاشفا عن عدمه وسوء فقره
فانه لو عمل صالحا وكان صدق وصلّى لرفع بها مكانا له مثل جناحين قال الله
تعالى "اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" وهذا التاويل الذي
هو ظاهر بنفسه ايضا مناسب لما جاء بعد ذلك من قوله "ثم ذهب الى اهل
يتميم" فهذا يقابل حاله حين ذهب عنه التمطي وصار يلقي على نفسه مفعوفا
في كفنه. وقد ذكر بأسلوب المقابلة حالة سوق الانسان الى ربه وسيره
في سفره الذي يشق الانفس في سورة الانشقاق فانظر هناك تجد كشف
هذا التاويل.

(٢١) لا ترى الحاجة الى شرح ما بقى من الآيات فاني ارجو انك الآن
على طريق جدو. غير اننا نشير الى اهمية الصلوة اشارة وبسطنا الكلام عليه في
كتاب اصول الشرائع فاعلم ان الصلوة والزكاة اول الشريعة وبها
يتحقق الايمان وفي القرآن آيات كثيرة تدل على ذلك وهكذا قال المسيح
عليه السلام مصرحاً حين سئل عن اول الشرائع. ومن قال ان مجر والايان
يكفي فبئس ما فهم من الايمان. ابن الايمان المجرد عن العمل انظر تفسير قوله تعالى
"يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين، ولم نك نطعم
المسكين، وكنا نخوض مع الخافقين، وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين"
فما تفهم شفاة الشافعين" تجد هناك ما يكشف عن رفع منزلة الصلوة و
كذلك انظر تفسير قوله تعالى "ومن يمش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فمولا قرين" وقوله تعالى "اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا"
آيات اخر. فقد اتبع ترك الصلوة بالنهي والتكذيب والحرام من الشناعة

وین لنا اللہ تعالیٰ ان الصلوۃ نشق الاعلیٰ المؤمن حقاً حیث قال "وانما
 کبیرۃ الاعلیٰ الخاشعین الذین یظنون انهم مقربون" و انهم الیہ راجعون
 ہذا و تجدد بعض البسط فی تفسیر سورۃ الفاتحۃ والبقرة وغیرہما۔

(۲۲) قد علمت ربط ہذہ السورۃ بالتی قبلہا فی لفصل الاول و علمت
 ان الکلام یجرى من غایۃ الشدۃ و التصریح الی حد وسط و بین الدلیل
 و یرفع اشبہہ مع بقیۃ التوبیخ و الزجر و لکن السورتین تتخاطبان المنکرین
 ثم فی سورۃ الدھر تری الالتفات الی المؤمنین کان الخطیب
 قد فرغ من الکافرین فاعرض عنہم۔ مع ان عمود ہذہ السورۃ الثلاث
 واحد فوجہ الکلام فیہن من الشدۃ الی اللین و من الزجر و النہر
 الی الاعراض و الالہال لکی یتفکر و یرجعوا الی انفسہن۔ ہذا و یتضح
 لک نظام ہذہ السورۃ بعض کمال الاتصاف بعد ما رايت تفسیر کلہن۔
 ذلک واللہ تعالیٰ اعلم و علمہ احکم۔

تفسير
سورة

من

نظام القرآن

تأويل الفرقان بالفرقان

تأليف

المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعة معارف عظم گڑھ

الهند

تفسير

سورة الذاريات (٥١)

فهرس مطالب القصول-

- ١ (١) في عمود السورة واتصاها بما قبلها ونظمها اجمالاً .
- ٢ (٢) تفسير الكلم وتماويل الجمل في آيات (١ - ١٣) .
- ٤ (٣) بيان وجه الاستشهاد بالرياح والسماء على الذنونة .
- ٩ (٤) نظم هذه الآيات بعضها ببعض وبما بعدها .
- ١٠ (٥) تفسير الكلم وتماويل الجمل في آيات (١٥ - ١٩) .
- ١١ (٦) بيان نظم هذه الآيات ودلالاتها وتوقعها بما قبلها وبما بعدها .
- ١٢ (٧) تفسير الكلم وتماويل الجمل في آيات (٢٠ - ٢٣) .
- ١٣ (٨) بيان وجه الاستدلال بهذه الآيات على وقوع الذنونة .
- ١٥ (٩) بيان الاستدلال بالنطق على المعاد وفيه بيان سبب اختيار النطق من جهة ثلاث :-

- ١٦ " الوجه الاول
- " " الوجه الثاني
- " " الوجه الثالث
- " " وجه الاستدلال بالنطق
- ١٤ " الوجه الاول
- " " الوجه الثاني
- ١٩ " الوجه الثالث
- " " الوجه الرابع

- ٢٠ (١٠) نظم هذه الآيات وما قبلها بالبعد .
- ٢٢ (١١) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (٢٣٤ - ٢٣٥) .
- ٢٥ (١٢) نظم هذه القصة بما قبلها وبالبعد .
- ٢٦ (١٣) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (٣٨ - ٣٩) .
- ٢٩ (١٤) بيان مخصص ما ذكرنا لنظم هذه القصص بما يدبره السورة من القسم .
- ٣٠ (١٥) بيان ان قوم لوط اهلكوا بالريح الذارية .
- ٣١ تنبيه على خطأ دخل في تراجم التوراة .
- ٣١ (١٦) ان فرعون وقومه اغرقوا بالريح الشرقة .
- ٣٢ تنبيه على خطأ من اهل الكتاب في موضع عبور بني اسرائيل وعلى خطأ من زعم بان موسى نجي بالبحر واغرق فرعون بالمد .
- ٣٢ (١٧) ان عاد واهلكوا بالصرص والصاعقة وثمود اهلكوا بالصاعقة .
- ٣٣ (١٨) ان قوم نوح اهلكوا بالريح الشديدة .
- ٣٥ تنبيه على خطأ من اهل الكتاب في قصة طوفان نوح .
- ٣٥ (١٩) نظرة في ترتيب هذه القصص ونظمها بالمقسم به وبالبعد من ذكر الآيات
- ٣٦ (٢٠) نظم هذه الجملة بالبعد .
- ٣٤ (٢١) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (٣٤ - ٣٥) .
- ٣٨ (٢٢) الاستدلال بخلق الزوجين من كل شئ على التوحيد وما يترتب من الايمان بالمعاد والرسالة
- ٣٨ بوجهين : الوجه الاول
- ٣٩ الوجه الثاني
- ٣٠ نظم هذه الجملة في نفسها وبما سبق وبما سق
- ٣١ (٢٣) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (٥٢ - ٥٣) .

(٢٥) تاويل قوله تعالى [وما خلقت الجن والانس] الى قوله [ذو القوة
الميتين.]

(٢٦) نظرة في نظم الآيات النخاتمة وفيما تضمنت من المطالب المهمة

سورة الذریت (۵۱)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالذَّرِیَّتِ ذُرِّوۡا (۱) فَانۡجَلَّتْ وُقُۡرٌ (۲) فَالۡجُرِیَّتِ یَسۡرًا (۳)
 فَالۡمُتَّعَتِ اَھۡرَآ (۴) اِنۡتَا لَوۡعَدُوۡنَ لَصَادِقٌ (۵) وَاِنَّ الدِّیۡنَ
 لَوَ اَقۡعٌ (۶) وَاَلۡسَمَاعُ ذَاۡتِ الْجَبَابِیۡ (۷) اِنَّکُمۡ لَفِیۡ قَوۡلٍ مُّخْتَلَفٍ
 یَٰۤاَیُّهَا الَّذِیۡنَ اٰفَکَ (۸) قَبۡلَ الْاُخۡرَۃِ اَصۡوۡنَ (۹) الَّذِیۡنَ
 هُمۡ فِیۡ غَمَرَةٍ سَاهُوۡنَ (۱۰) یَسۡئَلُوۡنَ اَیَّٰنَ یُّوۡمَ الدِّیۡنِ (۱۱)
 یُّوۡمَ هُمۡ عَلٰی النَّارِ یُفۡتَنُوۡنَ (۱۲) ذُوۡقُوۡا فِیۡنَکُمۡ هٰذَا الَّذِیۡ
 کُنۡتُمۡ بِهٖ تَسۡتَعۡجِلُوۡنَ (۱۳)

(۱) فی عمود السورة واصلها باقبلها ونظمها فی نفسها اجمالا
 اعلم ان هذه هي السورة الثانية من جملة السور السبع التي تثبت الرسالة والقرآن من
 جهة كونه خيرا عن الجزاء ونذير لمن اشرك بالله وكذب برسله وما انزل معهم فعمو هذه السور كلها
 واحد ولكن من جهات مختلفة كما مر بيانها في تفسير السورة السابقة وانما ذكر هنا من جهات ذلك العمود
 ما يخص بهذه السورة وما يبين الفرق بين هذه والتي قبلها فاعلم ان في السابقة اثبات البعث
 والبطال شبهتهم فيه وفي هذه السورة اثبات الجزاء بقدر السابقة بقوله (ق) والقرآن المجيد
 بل عجبوا ان جاءهم نذير منهم فقال الكفرون هذا شيء عجيب - اذ اتنا وكنا ترابا ذلك جع بعيدا
 ثم اتبع ذلك استدلالا على البعث و اشار الى عاقبة المكذبين فقال تعالى [كذبتم قبلهم قوم
 نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وانحوا نوح واصحاب الابكة وقوم تبع كل كذب
 الرسل فحق وعيدا] ولم يفصل قصصهم بل اكتفى بالاشارة اليها وذكر الله لائل الفطرى الواضحة

علی البعث و تخم السورة بامر النبی بالصبر و الصلوة و التذکیر و جعل آخر ما قوله [یوم تتقن الارض
 عنهم سر] عا ذلک حشر علینا یسرة نحن اعلم بالیقین و ما انت علیهم بحار فذكر بالقرآن من یخاف
 و عید [و آما به السورة فلما جعل عودها جهة الدیونہ و البحر ابدیها بالشہادات علیها و صرح
 بها حیث قال تعالیٰ بعد ایراد الشہادة [انما تعدون لصادق و ان الدین لواقع] و ہذا الوعد
 و الدیونہ کما ہایم الرحمة و النعمۃ فان الوعد قد جاہا بکلیہا و کذلک لفظ الدین عام فانه ایضا کل
 ذی حق حقہ و بحسب ہذا العموم جاہا بعد ذلک فان اللہ تعالیٰ ذکر فیہا من القصص ما فیہ جہتان
 کما ستعلم و کما قال [و فی السما و زم و ما تعدون] فاما تعدون نعیم اچتین و بعد ذلک قال
 [ہل اتک حدیث ضیف ابرہیم المکرین] و ہذا الحدیث ہو البشری باجاء قوم و اماتہ قوم کما
 صرح بذلک فی سورة الحج حیث قال تعالیٰ [بنی عبادی الی انا الغفور الرحیم و ان عبادی
 ہو العذاب الالیم و نبہم عن ضیف ابرہیم] و لکن لما جعل فی ہذہ السورة الامتار غالبا ذکر
 و قائل اہلک الاعم و لکن فی کلہا عذاب و رحمۃ کما ستعلم و انما لم یدکر جانب الرحمة بالتصریح
 فی ہذہ القصص لما نبہ علیہا و عقد علیہا سور اخر حیث ذکر نجات المؤمنین فی کل ہذہ القصص و
 لذلك بعد ایراد الوقائع المنذرة اشار الی اصل ذلک و ہوانہ تعالیٰ و حدہ خالق
 کل شئی بقوۃ و حکمۃ فخل انخلی ز و جین لا تمام الفائدة فلم یخلق عبثا و لا ترک خلقہ سدى فلا بد
 من الاجل لا تمام الغایۃ و لا بد من النعمۃ لاجل الرحمة فہذا الی التوحید علی وجہ خاص یدل
 علی البحر و الدیونہ و سیا تیک تفاسیل الامور فی مواضعہا ان شاء اللہ تعالیٰ .

(٢١) (١٢-١) تفسير الكرم وتأويل الجمل في آيات (١٢-١)

[وَالذُّرِّيَّاتِ] أي الرياح الذراريات التي تهب من ثمر النخل والرماد والادراق وذلك من الوصف المعلوم للرياح قال اعشى بكرة بن وائل

تجبري بالغلام شبه حريق في سبين تذروه ربح شمال

فاكتفى به عن تسمية الموصوف كما هو شائع في كلام العرب وكثير في القرآن .

[فَأَكْمَلْتَ وَفَرَأَ] عطف الصفات بالفاء دليل على ترتيب في الصفات وذلك يدل على كونها صفات ثنوية واحد بل ربما يعطف بالواو مع كون القسم شيئا واحدا كما ترى في أول سورة المرسلة قال قول بان هذه الصفات لاشياء مختلفة بخالف النظائر وكلام العرب مثلا - [والعديت ضجعا فالمريرت قد حافا لغيرات صبحا فاشترن به نقعا فوسطن به جمعا] وقال ابن ياتية يالصف زياتة للحارث الصانع فانغتم فالآب .

ثم لا حاجة الى جعل هذه الصفات لاشياء متعددة . فانها كلها مناسبة بالموصوف الواحد كما سترى ولو قرأ الثقل والجمل وههنا مطلق فيعم كلها تحمله الريح وسياتيكم بيانه فيجوز ان يراد به السحاب فقط كما قال تعالى [وننشئ السحاب انقال] ومن وصف الرياح حل السحاب كما جاء في القرآن [وهو الذي يرسل الريح لبشرى بين يدي رحمة حتى اذا اقلت سحابا نقلا لاسقعة لبلد ميت فانزلنا به الماء]

[فَالْمَقْسَمَاتِ أَفْرَأَ] قسم الامر ميره و فرق بين وجهه وكذلك قسم الامر وفي الاول مبالغة مثل كثر وكسر قال المرار بن المنقذ يصف الحمار الذي يظلم مواقع العشب

نظ في اعلى ليعاف جاذلا يقسم الامر قسم الموت

والرياح تبصار فيها تفرق بين قوم وقوم فتكون رحمة لهذا ولقمة لذاك كما سياتيكم بيانه ونسبة الافعال الارادية الى غير ذوى العقول شائع جدا في كلام الناس والقرآن .

إِنَّمَا لِيُعَدِّدَنَّكَ لَصَادِقٍ [توعدون من الوعد أي ما وعدكم الله على لسان

رسوله واقام عليه دلائل بينية وقد كثر في القرآن ان القيامة والبعث والاجزاء حسب
 الاعمال المحنة والسيئة كل ذلك وعد من الله تعالى مثلاً [ايه مرجكم جميعاً وعد الله تعالى انه
 بيد الخلق ثم يعيده ليحرمي الذين آمنوا الآية] ايضاً [واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
 الله من يموت بل وعد الله تعالى ايضاً كما بدأنا اول خلق نعيده وعد علينا اننا كنا فاعلين]
 ايضاً [ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها] وبذلك كثير ثم ليثقل هذا الوعد
 ايضاً ما وعد الله المؤمنين من النصره والكافرين من الخذلان في هذه الحياة وقد جاز ذكر
 ذلك في القرآن فمنه قوله تعالى [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في
 الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية] وبذلك ايضاً كثير فنقول [انما توعدون] بظاهره
 يعلم كل واحد وعدوا ولكن موقعه يخصه با وعد واسن البعث كما جازينها ذكرنا من الآيات وكما
 يفسره ما يتبعه من ذكر وقوع الدين .

[وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ] اي الديونة والاجزاء وذلك داخل في ما توعدون
 فالعطف من قبيل عطف الخاص على العام او الاجزاء على الكل وذلك ليكون بيان
 الاعتناء بالعطف وهو ظاهرهنا فان الدين اي الاجزاء هو المقصود من البعث بعد
 الموت كما صرح بذلك في كثير من المواضع .

[وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْجُبَابِ] السما يطلق على معان ومنها اسحاب كما في قوله تعالى
 [وقيل يا راض بلعي ما رك] ويا سماء اطلعي [وهو المراد بهنا وذلك لوجه :-

الاول ان القسم السابق هو بالرياح والمناسبة بين الرياح والسحاب اظهر وقد ذكرنا
 معاني مواضع . والثاني ان المناسبة بين المقسم عليه والمقسم به تقتضي ذلك كما سيأتي
 بيانه في موضعه والثالث ان الوصف بذات الحجب يدل عليه دلالة واضحة وبيانه ان
 الحجب هو القدر كما قال ابو داود

كان الغصون من الفهدين الى طرف الزوجك العقدة

ومنه الادماج والاحكام في النسج ومنه الجباك وجميع الجبجك للطرائق والاسمة التي
توجد في الثوب المحكم النسج وغيره قال زمير بن ابي سلى يصف ما هرت عليه الرمح فانفشت
فيه غصونات

مكمل باصول النبت تشبيه ربح خريق لصاحي مائه جبجك

قال الفراني قوله تعالى [والسما ذات الجبجك] "الجبجك تكسر كل شئ كالرمة اذا مرت
عليها الرمح الساكنة والمار القاعم اذا مرت به الرمح" وفي حديث الدجال "ان
شعره جبجك جبجك" والسحاب يوصف بذكر فان الجبجك فيه تجعد قطعته مثل الموج
المزبد المتركم او كسباب القطن. قال امرؤ القيس يصف القصور المشافحات
المكحلة بالسحب

تلاعب اولاد الوعل رباعها دوين السماء في روس الجبال

مكحلة بحمراء ذات ابرة لها جبجك كانهما من وصائل

اي مكحلة بحمراء ذات طرائق. وهذا وصف سحاب الشتاء من جهة لونه وقطعته
قالت الخنساء تصف السحاب الشتوي

حين الرياح بلائل نكب بها الجها صوارو

ينفين عن يبط السما رطلانها والمار جاهد

سزقاته ودا الريا ح كانه خرق طرايد

وما قيل من ان المراد به السما التي فيها النجوم اما لاحكامها او لكونها مجردة بالكلية
فلا يصح فان الجبجك ههنا ليس بالمصدر انما هو جمع بمعنى الخطوط والتكسر والغصون فلا
يكون وصفا لهذا السقف المكوّب لامن جهة احكامه ولا من جهة نجومه.

[انكتم لفي قول مختلف] اي في امرؤ القيس الذي كما قال تعالى [عم
تيسار لون. عن النبأ العظيم. الذي هم فيه مختلفون. كلا سيعلمون.] وموقع الجملة متشبه

قولهم وليست بجواب للقسم فانه قد سبق بعد القسم السابق فاغنى عن ذكره وجلة التشنيع ربما
تاتي بعد القسم وجواب القسم ليفهم ولا يذكركم مثلاً قوله تعالى [ق] والقرآن المجيد بل عجوا
ان جازهم منذر منهم فقال الكفرون هذا شيء عجيب [ايضا] والسماء ذات البروج واليوم
الموعود وشاهد ومشهود قل اصحب الاخذ و [و] هذا اكثر.

[يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ] هذه جملة مستقلة وليست بصفة لقول تحلف والمعنى انه
يصرف عن الايقان بالدينونة من اصيب في بصيرته فان الافك هو قلب الشيء ظهرا
لبطن ومنه الافك للكذب والمافوك لفاقدة البصيرة والشد الليث ع
الى اراك عاجزا افيكا -

[قَتَلَ الْخُرَّاصُونَ] خرص النخل والكرم خمن ما عليه من الثمر خرص في الحديث
قال ما لم يعلم اى القائلون في امر القامة اقوالا مختلفة يحضظ النطن كما قال تعالى [بل
ادارك علمهم في الآخرة بل بهم في شك منها] كما ذكر قولهم في القيمة [ان نطن الاطنا وما نحن
بستيقنين]

[الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَمَةٍ سَاهُونَ] في غمرة اى غفلة شديدة كاليقال في عطاء
وعناية وكل ذلك مستعمل في كلامهم ساهون خبر بعد خبر وفائدة بيان عدم انفكاك الغفلة
حتى انهم لا يشعرون بما ينبغي ان يشعروا به وهذا ذكر حالتهم التي كانت اصل دأبهم المذكور
اى هم منغمسون في غفلة والشهوات ولذلك لا يذكرون العاقبة ومفاد الجملة التشنيع
لشكهم الناشئ من كمال الجسارة وعدم المبالاة بالآخرة وبما جاز به المذرون من ربهم وذلك
ليظهر من سواهم الآتى .

[آيَاتِ يَوْمِ الدِّينِ] هذا السؤال يتضمن الانكار والاستعجال والاستهزاء وكل
ذلك من غاية العصيان كما جاز في سورة القيمة [بل يريد الانسان ليفرطامه يسأل
ايان يوم القيمة] ولذلك اجابهم حسب سؤالهم .

[يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنُونَ] نصب يوم على النظرية اى يوم الدين يقع يوم هم يقنون
 واليوم بمعنى الوقت كما قال تعالى [فذلك يومئذ يوم عسير] اى وقتئذ . قيل موضع الرفق
 وانما نصب لاضافته الى غير الممكن وهذا وان كان جائزا من جهة الاعراب ولكن لا يليق بهنا
 فان السوال المتقدم انما هو عن موقع يوم الدين لاعن نفس ذلك اليوم نعم يكن ان يكون الاجابة
 جها فهم من سواهم كانهم قالوا ايان هذا الدين قيل انه يقع يوم كذا فنه امته قال تعالى
 [وقتناك فتونا] ومنه الفقه لكل ما يخبر به عقل الانسان وعزمه من لذة ادا لم ومنه فتنه المرأة
 دهره والشيطان اغواه وقتت الذهب ادخلته فى النار لتتطربا جوده ومنه دنيا رفقون .
 ورق فيتن اى فضة محرقة وبقاا لحرمة فتن كان حجابها محرقة . وكل ذلك وجوه لمعنى واحد
 فقوله تعالى [يفتنون] يلح اولا الى معنى الاحراق وثانيا الى ان هذه النار مما
 فتنهم به فى الدنيا من شهواتها وازخارفها التى انك يوم الدين فصرتم فى غمرتها ساهين كما
 يبينه ما بعده . ولما كان سواهم على سبيل المكابرة والاستهزاء اجابهم بالليق به
 [ذَوُ قُوَّةٍ اَقْتَنَسَكُمْ] اى ما فتنكم فى الدنيا من شهواتها ففى الآن ظهرت عليكم حقيقةها وكنتم
 هناك فى غمرة الغفلة فلم تحسوا بذهابها فالا ن فذوقوها . وموقع الجذبات ليس
 هنا حذف بل لى يجعل الغيب مشهودا خاطبهم فكان يوم الدين قد حضروا كانهم قد عرفوا
 على النار فحطوا بهذا القول .

٣ (بيان وجه الاستشهاد بالرياح والسماء على الدينونة)
 قد تبين ما ذكرنا ان قوله تعالى [والذريت ذروا فاحملت وقرانا فاحجرت يسرا
 فالحقت امرا] اشهاد بالرياح وقوله تعالى [والسموات احجرك] اشهاد بالسماء
 الشتمية التى تنكر فيها الرد والصاعقة وكونها اظهر فى الانذار والتخليف بين شناعة عقابهم
 فى غفلة وغرور واختلاف وظنون كما جازنى قصة عاد [قالوا هذا عارض ممطرنا بل
 هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم] فلم يتهو اعن غفلتهم وقد جاءهم العذاب وراودا

هيته في السماء المقطعة السحب ذات السحب.

واعلم ان كلا الاشهادين في الحقيقة اشهادايات الله الظاهرة واوامره الجارية
فما في برئح فصل السحاب انتقال قسوته الى الارض الجرز وتحمل السفن الموقرة وتجري
بها الى المنافع وربما تصف قذرو الرمال وتقلب حاصبا فمطر الحجارة وربما تقلب
حصرافا في البرود والصواعق وربما تصير طوفانا قاتلي بالمطر الشديد وتهيج الجرد في كل
ذلك تقسيم الامور فان من عجائب قدرة الله تعالى وحكمته وتسيير الرياح انها باتت
بشدتها وربما تهلك بليتها كما ستري في قصته فرعون. بل الامر الواحد يشتمل نعمته
للمؤمنين ونقمة على الكافرين مفترقا بين الرحمة والعذاب ومعاملا للرب كفعل ذي العرش
ويشبه ذلك ما جازني من مور ١٤٠ ف (١٥ - ١٨) "يرسل كلمته في الارض يريد
جدا يجرى قوله. الذي يعطى الثلج كالصوف ويذري الصقيع كالراد يلقى جمده كفات.
قدام برده من يقف. يرسل كلمته فيذيبها. يهب برجه فتسيل المياه." فسمى الريح
كلمة الرب وقوله وهذا من الطف البارة فان في العبرانية لفظة واحدة مشتركة بين الكلام
والريح ومن اجمع الآيات في قوله تعالى [ان في خلق السموات والارض اختلاف ايل والنبات
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاجابه الارض
بعصوتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخرين السماء والارض
لايتقوم ليعقلون.] اي آيات على التوحيد والقدرة والربوبية والرحمة والحكمة
والعدل. والجملة نفى تصريف الرياح والسحب لغيرها العام وضررها المخصوص
حسب شيمة دلالة على ان امور الخلق لا يجري باطلا وشدادته على ذلك تقسيم الرياح
وتفريقها في جريانها بين البرد الفاجر وايضا على احاطة امره فان كل شئ حتى هذه
الرياح التي لا ترى انها لعقل شيئا يجري بامر الله تعالى حسب حكمته وعدله كما
قال تعالى [ولله جنود السموات والارض] وعلى غلبة حربه ففيه بشارة وانذار

كما صرح بذلك في سورة وَالصُّفَّاتِ التي أقسم في أولها بخبوه الموكلة فقال تعالى
 [وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۝ وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ] ^١
 وفي كل ذلك دلالة واضحة على الدينونة وسياتيك مزيد بيان لدلالة الرياح والسماء
 في تفسير قصص الاحم التي اهلكت بالرياح والصواعق.

(٢٧) (نظم هذه الآيات بعضها ببعض وبالأبعد)

لما كان الاشارة بالرياح جاسعا للرحمة والنقمة كما مر وكما ذكرنا في تفسير سورة المرسلات
 والقرآن قد أكثر من ذكر جانب النفع فيها وربما ينبه على ما فيها من العذاب تنبيها
 على كونها مسخرة بأمر الرب الحكيم فاتبه تولايم الرحمة ونقمة وهو قوله تعالى [إِنَّمَا
 تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ] ولما كان الاشارة بالسموات
 الحجب غالباً في جانب الانذار بل صورة هذه السماء هي صورة الزجر الشديد
 والانذار اتبعه ذكر المستهزئين المستعجلين وعدابهم ثم لما كان هذا ذكرا
 لاحد جانبي الوعد والدينونة حسن ان يذكر الجانب الثاني وايضا من
 اسلوب القرآن ضم الترغيب بالترهيب وبيان الصّد بالصد وقد ذكر
 العصاة وبعض اوصافهم فمن بعد هو لا ذكر الصّادهم باوصافهم ثم ايضا
 بان هؤلاء المستهزئين ليسوا كذلك كما صرح به في مواضع من القرآن
 فقال عز من قائل حكيم :-

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ مِنْهُمْ
 أَنَّهُمْ كَالْوُاقِلِ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا
 يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)
 وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩)

(١٥) (تفسير الكلم وتأويل اهل في آيات (١٥-١٦))

[الْمُتَّقِينَ] صفة جامعة فارقة كما مر بنا في تفسير سورة البقرة وموقعها بينناشير
 الى انصافهم بقدر ما ذكرني البجدة اب بقية من اوصاف المنكرين.

[فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ] عبارة عن الفوز والسعادة والى دائمون في النعمة.

[آخِذِينَ] حال وهو احسن لما فيه دلالة على استمرار الانعام فلم يقل انهم اخذوا
 ما آتاهم ليعلم ان ما اعطوا يبقى معهم لان البجدة اب بقية قد دلت على الاستمرار فالغنى
 انهم دائمون في جنات وعيون وعطايا من ربهم.

[أَنَّهُمْ كَالْوُاقِلِ] وصف وضع في محل الدليل وبذلك ايضا دل على ان المنكرين
 على خلاف هذه الاوصاف كما جاء في القرآن كثيرا. وتوقع البجدة شبيهة بالاشقا

في شبه ما مر من قوله تعالى [اذوقوا نكمتكم] كان يوم القيامة قد حفر في صفون بما عملوا
 في الدنيا.

[مُحْسِنِينَ] عام واظهر في الصلوة والزكاة لكونها اولي داهم ولما صرح بكونها
 علامة فارقة ولما بين ذلك بما اتبع من اوصافهم من قلة الجوع والجمود.

[كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ] الجوع هو النوم امي شتغلون في
 الليل بالصلوة والذكر كما قال تعالى [تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا
 وما رزقهم يفتقون] وكما قال تعالى [يا ايها المرسل قم ايل الا قليلا الاية] والبجدة تطف
 لانها بيان لما ذكر من كونهم محسنين. وثني تاليف البجدة وجوه كلها راجع الى معنى واحد

ای انہم کانوا قلیلاً، جو ہم اوماہجوں فیہ من اللیل او کانوا یجھون قلیلاً من اللیل
 واما انہم کانوا قلیلین وانہم لایجھون من اللیل کا ذکرہ الزامی فیعدہ۔
 [وَبِالْأَسْحَارِ] السحر قبیل الاسفار وهو اولی الاوقات بالاستغفار کاجارنے
 وصف المتقین [الصبرین والصدائق والیقین والمنفقین والمستغفرین بالاکار یا
 وجار تصریح ذلک فی صحیح النجہ۔ وقد بنا سبب ذلک فی تفسیر سورۃ آل عمران۔ وہب
 احسن الی جعل الواد ویلا علی اتصال الوصفین فانہ قال «مدوا فی الصلوۃ ونشطوا حتی
 کان الاتسعار لبحر»، ولیس ذلک بظاہر المعنی ولكنہ اشارۃ غیر بعیدۃ واللہ اعلم۔
 [الْمَحْرُومِ] موقوعہ بعد السائل بیدل علی معنایہ ای من لایسأل الناس مع فقرہ عن قنّادۃ
 ہو المسکین الذی لایسأل وعن الزہری ہو المتعفف لعلہا نظراً الی قولہ تعالیٰ
 [لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ احْصَرُوا فِی سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَتَّطِيعُونَ ضَرْبًا فِی الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ
 أَغْنَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ، تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ، لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ اسْأَلًا]۔

(۶) (نظم ہذہ الآیات ودلائلہا وموقعہا بآقلہا وبما بعدہا)

جمع بین الکافرین والمؤمنین علی سبیل التقابل ومن الایجاز ان دل بما ذکر علی ما
 لم یکر فاذا وصف المنکرین بانہم فی غمرۃ الغفلۃ علما ان المتقین علی بصیرۃ ولیقین من
 لقار ربہم ونہ علی ذلک بما ساءہم المتقین فان التقوی ہی اصل البصیرۃ کا ہو مبسوط
 فی موضعہ وکذلک اذ وصف المتقین بالاحسان والصلوۃ والزکوۃ علما ان المنکرین
 اشحاء قاسیۃ القلوب کا ذکر وصفہم فی قولہ تعالیٰ [قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ
 وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْکِینَ] و ہذہ الجملۃ بآقلہا من قولہ تعالیٰ [انکم لفی قول مختلف]
 جار مقترضۃ بعد ایراد دلالتہ علی الجحرا فیدر تبشیع امر المنکرین ثم اتبعہ ذکر مقابلہ کلک
 اعقب الدلیل الرہیب والترغیب ثم بعد ذلک اخذ مرۃ آخری فی اثبات
 الجحرا فانہ عمود الکلام فلذک وصل بالواد واراد ان یتبہ علی
 ان ماسبق من القسم ففیہ دلائل وآیات فقال غرض من قائل حکیم۔

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (۲۰) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصَرُونَ (۲۱) وَفِي السَّمَاءِ
رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (۲۲) فَكُفِّرَتْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ إِنَّهُ لَحَقُّ
مِثْلٍ مَّا أَنْتُمْ تُنَظِّقُونَ (۲۳)

(۴) (تفسیر الکلم و تاویل اہمل فی آیات (۲۰-۲۳))
[وَفِي الْأَرْضِ] الجملة مسطوقة على ما فهم من الاقسام السابقة كما قيل ان في
تصريف الرياح والسحاب لآيات على المعاد وهكذا في الارض وفي انفسكم وقوله
[لِلْمُوقِنِينَ] هذا من منطوقه تعالى [هدى للمؤمنين] وقوله تعالى [ان في ذلك لذكر لمن
له قلب او التقى السمع وهو شهيد] ايضا [تبصرة وذكرى لكل عبد منيب] وايضا
[آيت لمن خاف عذاب الاخرة] وايضا [آيت تقوم يعقلون] وهذا كثير جدا اي انما
هي آية لمن ينتفع بها كما يقال قد اسعد الصبح لذي عينين فامثال ذلك فيها نوعان من التوفيد
الاوّل ان الدلائل ليس فيها الاكراه فيكون نافعا لكل الناس فان لم ينتفع بها الكافر
فانما هو من قبلهم ولا نقص في ظهور الدلائل . والثاني التنبية على الشرط المناسب للانتفاع
ويجب التدبر في هذه المناسبات فلنذكر ما يليق بهذه المقام فاعلم ان قية المؤمنين بدل
على ان الآيات انما يخضع بها من يستدل بها وذلك بان الاستدلال بهن على الايقان
بامرين بما ينشئ عليه الدليل من المقدمات المسلمة او الاوليات والثاني بلزوم الانتاج
فالذين لا يؤمنون قسما امامهم اهل السفطة الذين قد نكروا بالاصول الاولية فكيف بالادلة
وامامهم المقلدون وانفجارهم لا يزالون بالادلة ولكن ينكرون بالزعماء وينتج
منها ذلك نحض المكابرة والقرآن كثير ما يبين هذا التناقض منهم بمثل قوله [فاني لوكون]
[فاني تسحرون] وبالجملة فنبه على اول شرط لما يكتبه الان من العلم
بطريق الاستدلال فمن خلا عنه فهو كما لبها ثم بل اضل منها وخرج من يخاطب وقد

اشارة فيما بعد الى ما هو اصل اليقين كما سيا تيك عن قريب
 هذا - دلم يذكر المؤمنين بفعولهم ليعلم كل ما يوقن به واوله واساسه التوحيد ثم القياسه
 ثم الرساله. وليس المراد به الايقان بحض الشهود فان ذلك ما يستوى فيه المؤمن
 والكافر بل الانسان والبهائم فالمراد به الايقان بالاستدلال بالآيات وذلك
 هو كل رسوخ القتل كما مر في تفسير قوله تعالى [الذين يؤمنون بالنيب] ومع العموم ميل
 موقع الكلام على ان اول النظر ههنا الى الايقان بالمعاد وربا جارية التصريح كان في
 قوله تعالى [وبالآخرة هم يوقنون] [افلا تبصرون] استفهام استنكار فان آيات
 النفس اعظم الآيات واقربها وابنيها. قوله تعالى [وفاي الارض آيت] - الى قوله - وما
 توعدون [جامع لما لا يهسى من الآيات على التوحيد والربوبية والحكمة كما قال تعالى
 [وكاين من آية في السموات والارض يرون عليها وهم عنها معرضون] وقد اكثر
 القرآن من ذكر هذه الآيات اجمالا وتفصيلا فلا حاجة الى ذكرها ههنا وسياتيكم ببعضها
 في هذه السورة مقتضى المقام ان يراد بها ما يدل على المعاد وكل آية من آيات الربوبية
 والقدرة والحكمة والرحمة تدل على المعاد كما هو مذكور في موضعه. واعلم ان نظم الكلام
 ههنا جار على اسلوب خاص من الایجاز وهو الاكتفاء بما ذكر في احد التقريرين عن ذكره
 في الآخرة ذكر الآيات مع الارض اغنى عن ذكرها مع السماء وهكذا ذكر الرزق
 والموعود مع السماء اغنى عن ذكرها مع الارض وقد جاز في غير هذه الموضع التصريح
 بكون الآيات في السماء وهكذا جاء التصريح كثيرا بكون الرزق في الارض وما يكون
 ما يوعدون في الارض فكما قال تعالى في امر القيامة [ثقلت في السموات والارض]
 فكما قد اثقلتا بحملها وكانها منتظران امر الرب بوضعها.

[فَوَرَّبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] هذا القسم يتضمن الدليل على المعاد وذلك
 ظاهر مما ذكر من آيات الارض والسماء ثم اشهد بربها وله لذلك لما جاء بهما

التفتيب فهذه الجملة في غاية الاتصال باقبلها ثم في كلمة الرب إشارة الى أصل الاستدلال وهو ان كل آية في الارض والسماء والنفس انما هي آيات على الربوبية ودلائل المعاد كلها مبنية عليها وسياتيكم بعض البيان لذلك في الفصل الثامن.

[انه الحق] المقسم عليه هنا هو المقسم عليه في اول السورة وهو قوله تعالى [انا توعدون لصادق وان الدين لواقع] وقد مر ايضا ذكر اتوعدون آنفا فاكفى ههنا بالضمير كانه قيل فارب السماء والارض ان بعثكم وجزاءكم حتى لا ريب فيه .
[مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ] نصب مثل على كونه حالا عن الضمير في [انه] وعاطفها حسب اصطلاحهم شبه الفعل اي حتى كقولك زيد حسن ضاحكا اي تا توعدون من التبعث والرجوع الى ربكم والجزاء حسب اعمالكم فهو حق لا مجال فيه للشك وحال الشبهة حال نظكم ولا خلاف في هذا التاويل بين السلف ولكنهم اختلفوا في محل من الذين يصبون من نبطه مرفوعا في المحل ولكنه نصبه لاضافة الى غير الممكن مثل يومئذ واما حمزة والكلبي وابوبكر فقرؤوه بالرفع وكل ذلك راجع الى معنى واحد وموقع هذا التفسير الاستدلال بطريق الاول كما سيأتي بيانه في الفصل التاسع ان شاء الله تعالى .

(٨) (جملة الكلام في الاستدلال على النبوة بالآيات السابقة)
اعلم ان هذه الآيات الاربع جامعة لكلها في الارض والسماء والنفس من الشواهد وذلك بان الله تعالى جعل في أنفسنا وفي الارض والسماء وما بينهما من عظام الخلق وعجائب الصنع وتقدير بعضها لبعض وتيسيرها لمصالحها وتدبيرها لمصالح أخرى ما فيه دلائل واضحة على التوحيد والربوبية من جهة اتصاف الرب تعالى بكمال الملك والقدرة والعلم والحكمة

والعدل والرحمة وفي كل ذلك دلالة على الدينونة فاول الاستدلال انما هو على صفات الرب تعالى الدالة على التوحيد ثم يتدل به على الدينونة كما بينا القرآن في مواضع وقد ذكرنا في كتاب الحج فاشارة بهذه الجملة الى دلائل الربوبية عامة والى دلائل الدينونة خاصة ونبه على ذلك بقوله [و في السماء رزقكم وما تعدون] فان الرب الذي يرزقكم من السماء والارض لم يخلقكم عبثا ولن يترككم سدى كما قال تعالى [انحسبتم انما خلقكم عبثا وانكم الينا لاترجعون] ثم بين ذلك بما اتبعه من قوله [فارب السماء والارض انه حتى مثل ما انكم تنطقون] فاستدل على الدينونة بكونه رب السماء والارض و هما شتمتان على ما لا تخصي من الآيات في الآفاق والانفس الدالة على الربوبية وعلى الدينونة وهذا الذي ذكرنا جارا با وضوح بيان في موضع آخر والقرآن يفسر بعضه بعضا فقال تعالى [سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يبين لهم انه اتقى المعاد كما بينه فيما بعد فقال] اولم كيف بربك انه على كل شئ شهيد [اي في كونه ربا شهيدا على كل شئ دليل كاف على المعاد كما بينه فيما بعد فقال] الا انهم في مرتبة من تقار ربهم الا انه بكل شئ محيط [احاطا بالعلم والقدرة والملك والتدبير والحكمة والرحمة تستلزم الجزاء وبذلك جملة الكلام في وجه الاستدلال وهذه الادلة مفصلة في مواضعها من القرآن فلا نشغل ههنا بتفصيلها ولكن نبين بعض البسط ما يخص بهذا المقام من الاستدلال على المعاد فنقول وبالله التوفيق.

٩ (الاستدلال على المعاد بالنطق الانساني)

لا يخفى ان المفهوم من قوله تعالى [مثل ما انكم تنطقون] مع ما قبله ان بعثكم و جزاءكم حق اي واقع ولا ريب فيه مثل ما انكم تنطقون فلا تشكون فيه وهذا القدر

في غاية الظهور من الكلام ثم في هذا التمثيل من الحكمة ما يحتاج الى التبرر
 قد نبه على ذلك بما اختار مثال النطق فلم يقل مثل ما انكم تنظرون او تسمعون
 او تأكلون او تشربون او غير ذلك من الافعال الظاهرة فاذا افكرت
 في حكمة اختيار هذا المثال هديت الى اسرر عظيمين الاول هو كون النطق
 اولي باليقين من سائر اطوار النفس والثاني كونه متفصلا لما يستعمل به على المعاد كما
 سياتيك بيانه عن قريب وستجد في كلا الامرين من بوالع الحكمة ما يربى العقول و
 يشقى الصدور .

اما الامر الاول وهو كون النطق اولي باليقين فمن ثلاث جهات
 الاولى ان النطق اقرب الى النفس من سائر اطوارها وذلك بان النفس
 تتبته على كل شئ بواسطة الفكر واما الفكر فليس بينه وبين النفس واسطة والفكر
 هو النطق الحقيقي ولذلك سمي العقل نفسا ناطقة والنطق المسموع انما هو ظهور
 ذلك النطق الحقيقي فعلم النفس بنطقها الحقيقي هو ابداه البديهيات واولى اليقين
 والثانية ان النطق ارسخ في النفس وذلك بانه داخل فطرة الانسان و
 خاصة ولذلك عرفوا الانسان بالحي الناطق وقد عرفت العرب ذلك
 قال المرقش الاكبر

هل بالديار ان تحجب صمم لو ان حيانا طعنا كلم
 والثالثة انه ليس في اطوار النفس ما يساوي النطق في كثرة الشهادات
 المتواطئة ولا يخفى ان تطابق الشهادات على شئ امر زائد على كونه بديهيا او
 فطريا واليقين انما يتم بكثرة الشهادات فاذا انطرت الى النطق من هذه الجهة
 وجدت او فرضيها من غيره وذلك بان الناطق ادلا يفكر وهو النطق الحقيقي
 ثم يرى فكره يجري على لسانه مطابعا لما فكر ثم يسمع باذنه ما نطق به لسانه فيجدها

مطابقين ثم لسمع الجواب من المخاطب مناسبا لما تكلم به ثم هذه الشهادة
تتكسر بان في كل كلمة بل كل حرف شهادة على هذه المطابقات فلا شيء كالنطق
ذليلا على وجود النفس ومن ههنا حسن اختيار فعيلة النطق فلم يقل مثل لنطقكم
بل قال تعالى [مثل ما انكم تنطقون] وتبين ما قد منا ان اليقين بكل شيء فرع
على اليقين بالنطق فهو اصل اليقنيات والاستدلالات .

واما الاصل الثاني وهو كون هذا المثال متضمنا للدليل على المعاد فلا يخفى
ان التمثيل ربما يكون محض دعوى كما تجد كثيرا في كلام الشعراء وربما يكون
دليلا وذلك اذا علم من نفس الكلام او العقل ان بين المثل وبين ما ضرب
له المثل امرا جاسما يستلزم اشتراكهما في الحكم كما تقول في مسكرانه حرام مثل
الخمر فانك بهذا التمثيل قد دلت على علة الحُرمة وهذا الجامع يسمى مناط الحكم .
ثم اذا كان مناط الحكم فيما ضرب له المثل اقوى مما هو في المثل كان اثبات الحكم في
الاول بطريق الاول وليسمى قياس الاول كما ترى في قوله تعالى [مثل نوره كشوة
فيها مصباح الآيت] فعلى هذا التمثيل النطق ههنا ليس دعوى محضا ولكنه دليل استدلال
به على ثبوت المعاد فانك اذا تأملت نظم الكلام التضح لك وجوه من الاشتراك
والمماثلة بين النطق الانساني وقضية المعاد والآن نذكر هذه الوجوه وبالله التوفيق
الوجه الاول ما يدل عليه نفس القسم ههنا فان القسم هو الاشهاد كما بيناه في
كتاب الامعان فالاشهاد يكونه تعالى رب السماء والارض وقد سبق انها مائتان
من آيات الربوبية الدالة على المعاد واشهادها وبآيات فيها هي تشهد بانكم مربوبون
ومجازون وهذا النطق منها واضح لا ولى الهى كما قال تعالى [انطقنا الله الذى يطق
كل شيء] وقال تعالى [وان من شيء الا يسج بحمده] فكانه قيل كما انكم تنطقون فكذلك
هذه تنطق بان المعاد الى الرب تعالى حق لا شك فيه .

والوجه الثاني ما يدل عليه الله بر في امر النطق فان الله تعالى جعل الانسان قادرا على تاليف الكلمات فيلقبها جسماء ثم يجد نفسه قادرا على اعادة ما فكره نطق به بل على ان يأتي به احسن وامين وذلك من كماله واكبر نعم الرب كما قال تعالى [خلق الانسان . علمه البيان .] فاذا تأمل الانسان في هذه القدرة منه لم يكن الاثنا بان الرب تعالى قادر على ايجاد الخلق بعد فناءه فان الخلق من تعالى انما هو بحجبه ونطقه فان الرب تعالى يخلق ما يشاء بكملة منه من غير احتياج الى مادة وآلة كما قال تعالى [انما قولنا شي اذ ارادناه ان نقول له كن فيكون .] واذا سيس الخلق الاكلمة منه وقد خلق السماء والارض بكملة منه واذا شاء اعاده بكملة بل هو على اعادة مرة اخرى اقدر كما قال تعالى [وهو الذي سبغ الخلق ثم يعيده وهو ابد عليه] واذا كان ذلك كذلك فهو على اعادة الانسان اقدر كما قال تعالى [اديس الذي خلق السموات والارض بقدر على ان يخلق مثلهم اى يعيدهم بعد انايتهم فان سياق الكلام في اثبات المعاد وقد صرح بذلك في مواضع اخر فان نفس خلق السموات والارض دليل على قدرته على اعادة الانسان وقد صرح بذلك في آيات اوردت في اثبات المعاد بناء على محض كمال صفة الخلق والعلم كما تجر فيما تتبعه من افعال تعالى ابل وهو الخلق العليم . انما امره اذ اراد شيان يقول له كن فيكون . فبمحذ الذي بيده ملكوت كل شى واياه ترجعون .] وهكذا قال تعالى في المعاد [انا كل شى خالق بقدر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر .] وبالجملة نفى انهم منتظرون لكم شهادة بينة على ان الرب تعالى اكبر قدرة على ان يبعثكم منكم على اعادة ما فطسكم به ثم هو ارجون عليه لما انكم في نطقكم محتاجون الى اسباب جعلها الله لكم وربا لا تقدرون على بعضها فتعجزون عنه وربا تتدون ما نطقكم به فلا تقدرون على اعادة افعال بعضنا . واما الرب تعالى فقد رته على النشأة الآخرة كقدرته على الاولى وقد

صرح ما ذكرنا في مواضع مثلاً [ايحسب الانسان ان لن نجعل عظامه بلى
قادرين على ان نسوي بنانه] وايضاً [ولقد علمتم النشأة الاولى فلو لا تذكرون]
وايضاً [قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحياها الذي انشأها اول مرة وهو بكل
خلق عليم] وبذلك يثبت الاستدلال بالاثبات المعاد على من انكره لمحض الاستبعاد
فجاءهم البطلان ذلك.

والوجه الثالث ان النطق يرجع الى اساطير والاكان اصم والاصم للبدن
يكون اعمى واذا كان اصم لنطق فكيف انما خلق منه تعالى اكبر واعظم مثلاً من نطق الانسان
كما مر فلا بد من رجوع الخلق الى الخالق وذلك كمال ملكه فان الخلق قائم بامر ولا
يخرج عن ملكه وتدرجه وعلوه الى ذلك اشارة في قوله تعالى [اوليس الذي خلق
السماوات والارض بقدر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلق العليم انما امره اذا اراد
شيئاً ان يقول كن فيكون فبما الذي بيده ملكوت كل شيء وايه ترجعون] وعلى
هذا فكيف يمكن ان يخلق الرب تعالى ولا يرجع اليه كله اينطق الرب ولا يسمع و
يخلق ولا يرى ادياتي بالخلق من الدم ثم يفوت من قبضته او يدبره ثم لا يملك منه
شيئاً وهذا الاستدلال لا فحاص من يستبعد المعاد من جهة رجوع المعدوم كما جاز ذكر
هم في قوله تعالى [اذا متنا وكنا تراباً انك ترجع عيدين قل علمنا ما تنقص الارض
منهم وعندنا كيب محفوظ] وايضاً [قالوا اذ متنا وكنا تراباً وعظاماً انا لمبعوثون. لقد
وعدنا نحن آباؤنا من قبل ان هذا الاسايطر الا لعين قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل انفا تذكرون قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من يملك يومئذ كل شيء
وهو يحكم ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني تسحر من انا انظر
كيف اكد على كون الخلق في ملكه بان كله له وانه ربه وان ملكوته بيده وانه جبره حقيقاً

وهذا الاستدلال بالملك على اعادة همتهم كثيرا ولا حاجة الى الاستقصاء.

والوجه الرابع وهو الاستدلال بصفة الربوبية وماثلتها بالنطق مع زيادة العدل وهو اصل الاستدلال وقد جاء في القرآن كثيرا على وجه العدل داخل في الربوبية فان السماء والارض قيامها بالعدل كما قال [ولو اتبع الحق أهواهم فسدت السموات والارض ومن فيهن] فبعد ذكر السماء والارض وآياتها استدلال بالربوبية على المعاد وذكر مثل النطق فكانه قيل ان كلما تفعلون وتعلمون فبدايته من تدبر ونطق لنفسي منكم وبهذا تمنazon من اشياء غير ذات نفس ناطقة ثم الرب تعالى حكيم عادل فكلما ترون في السموات والارض من عجائب الصنع والتقدير فهو دليل على تدبر وامر من حكيم مدبر آمرناه وذلك يدل دلالة ظاهرة على تقدير وعاية وحكمة ورحمة فذلك دليل على انكم لم تخلقوا عبثا ولا بد من ايفاء كل ذي عمل حقه ليفرق بين المحسن والمسي وقد صرح بذلك في كثير من المواضع مثلاً قوله تعالى [افحبتم انما خلقنكم عبثا وانكم اليها لاترجعون] وقوله تعالى [افجعل المسلمين كالجبین ما لكم كيف تحكمون] وقوله تعالى [انه يبداء خلق ثم يعيده ليحزى الدنيا آمنوا وعملوا الصلح بالقسط] وقوله تعالى [وما خلقنا السماء والارض وبينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار] ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصلح كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار] وهذا النمط كثير في القرآن وعلى وجهه اصلها ان الحكمة والرحمة والعدل كل ذلك يستلزم المعاد وبالجملة فكانه قيل كما تنطقون عن فكر ومقصد فكذلك خلق السماء والارض والنفوس انما هو عن غاية يؤل اليها بل هذا اثبت واطهر لكون الرب متصفا بكمال الحكمة والعدل وما ذكرنا تبين ان كل هذه الادلة فيها الاستدلال بطريق الاول. هذا ولا يحيط بمعاني كلامه الا هو.

(١٠) بيان نظم هذه الآيات في نفسها وبالسابق واللاحق
 ما تقدم يتبين ما في هذا القول اجماع من رعاية من الترتيب وذكر الاقرب فالاقرب
 ففى قوله [وبنى الارض ايت الى قوله وما توعدون] ذكر الارض ثم النفس ثم السماء
 فالنفس توسطت بينهما ولها جانبان اليها ونبه على ما في هذه الثلاث من الآيات ثم في
 قوله تعالى [فرب السماء والارض انه سحى ترقى الى الدليل اجماع الاصل وهو
 الاستدلال بالربوبية ثم بقوله [مثل ما انكم تطقون] اكد ذلك بتبثيل ما هو من صفة
 النفس التي هي حرات ما في السماء والارض فاشارة الى ما تقدم من قوله تعالى
 [وبنى الارض ايت] واذكركم ضرب المثل بالنطق وهو اصل اليقين والاستدلال
 فوجهك الى قوله [ايت للموقنين] فهذا انظم هذه الآيات في نفسها واما بالسابق واللاحق
 فقد حرر ان هذه الجملة اعني [وبنى الارض ايت للموقنين الى قوله تعالى مثل ما انكم تطقون]
 مقطوعة على ما بدء به السورة من الدلائل فمن اول السورة الى آخره الجملة استدلال
 بآية الفطرة فاشهد بالرياح والسحاب والارض والسماء والنفس ثم بتبثيلها
 ذكر الاحداث ونبذ هذا النمط ترى في سورة الشمس كما بيناه هناك وذلك
 حسب ما تجد كثير في اسلوب القرآن من تشييد ما في الفطرة بما في الوقائع التاريخية
 فعلى هذا حسن ان يذكر من القصص المشهورة ما يمثل لهم امثلة الدينونة الواقعة لينذروهم
 بها وليكون ذلك آية دليلا على الدينونة الكبرى كما قال تعالى [وكذلك اخذ ربك
 اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد] ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب
 الآخرة [هذا تمحله رعاية حسن مواقع الكلام اختار من الوقائع ما يناسب ويمثل
 بخصوص ما قسم به في اول اسورة من الرياح والسحاب ليكون القسم
 من براءة الاستهلال كما ستعرف بعد تمام هذه القصص فقال عز من قائل حكيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٢) إِذْ
 دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا، قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَوَاعَى
 إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَا تَأْكُلُوا
 (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً، قَالُوا لَا تَحْزَنْ، وَلَبَسْتَ مِنْ بَغْلٍ لَمِيعٍ
 (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَنِيعٍ فَصَلَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ
 عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ، إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ
 (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا
 إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حَارَّةً مِنْ طِينٍ (٣٣)
 مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧)

١١ (تفسير الكرم وما ويل الجبل في آيات (٢٢-٢٤))

قد مر ذكر القصة في سورة هود ولكن نبين ههنا بعض ما يخص بهذا المقام
 [الْمُكْرَمِينَ] يدل على أن أكرام الضيف بابتثته والترحيب ول
 يجب على المضيف وعلى أن إبراهيم كان كريما سما.
 [قَوْمٌ مُنْكَرُونَ] هذا الكلام إبراهيم في نفسه فانهم كانوا في زمر الصالحين و
 هم في ذلك الزمان شذوذة قليلة وكانوا من اصحاب إبراهيم ورجاله.
 [فَوَاعَى إِلَى أَهْلِهِ] يدل على حسن خلق إبراهيم وذكره فان الكريم يخفى
 عن ضيفه الاهتمام لضيفه لئلا يثقل عليه وهذا البعد ان وادخل في
 باب اسرار العطاء.

[أَلَا تَأْكُلُونَ] ای بعد ما قرب الطعام اليهم لم يأكلوه فدعاهم اليه بالرفق .
 [فأوجس منهم خيفة] اوجس احس في نفسه ويستعمل خاصة للنفوس . خيفة ای خو
 يسیر . و ذلك بانهم اصرروا على الامتناع من الاكل فعظموا في نفسه اجلالاً و ازداد
 النكارة كما جاء في سورة هود [فلما رأى أيديهم لا تصل اليه بكبرهيم و اوجس منهم
 خيفة .

[لَبِثْتُ مَوْءَةً] ای جهرا حتى سمعت سارة فانها كانت قريبة كما جاء في سورة هود
 [وامرأة قائمة فضحكت فبشرتها باسختي] ولما كانت ابشارة اليها عرضا لم تنسب
 الى الملكة فانهم لم يتكلموا بها واولا .

[عَلَيْهِمْ] يدل على ان ابشارة بالولد لا تتم ان لم تكن البشارة بصلاحه و اكتفى بالعلم
 لكونه مبعيا لصفات الخير و الانصلاح .

[فَأَقْبَلَتْ] بعد ما سمعت البشارة توجهت و اقدمت على اظهار ما في قلبها من
 التعجب كما بينه ما بعده .

[فِي صُرَّةٍ] ای قبض و استنكار من صر الفرس اذ ينه نصبها و هذا لما سمعت
 من الامر العجيب

[فَصَكَّتْ وَجْهَهَا] ای ضربت وجهها بيد باسطة و تصوير الاستعجاب النساء
 و استنكارهن كما جاء في سورة هود [قالت يويلتي و الد وانا عجوزا و ازا
 بعلى شيئا] ان هذا الشئ عجيب .

[حِجَابٌ مِّنْ طِينٍ] ای حصار و يقال لها سجيل معرب من (سنگ گل)
 كما جاء في ذكر هذه القصة في سورة هود [و امطرنا عليها حجارة من سجيل ا
 ن ينهينها معنى سجيل و القرآن يفسر بعضه بعضا .

[مُسَوَّمَةٌ] حنة للحجارة ارجال . اما معنى المسومة فقال ان خشس في قوله تعالى

موسى «معلمين ويكون مرسلين من قولك ستوم فيها الخيل اى اسلها» قال
ابوزيد «الخيل المسومة المرسله وعليها ركبانها وهو من قولك سومت فلانا
اذ خيلته وسومه اى ومايريد» فان كان من العلامة فمعنى مسومه متاعه مقدرة
كان على كل منها كتابه من الرب فلا تصيب الا من كتب له . وان كان من
التخيلة فانها مودة عند الرب للمسلمين ويناسب ذلك ما جازنى سورة هود
[عن بجيل منضود . مسومه عند ربك ، وماهى من الظلمين بعيد] و ما ل التاويلين
[المسكين فين] الاسراف هو التجاوز عن الحد وهو لفظ يعم كل ذنب صغير
او كبير كما قال تعالى [قل يعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من الرحمة
ان الله يغفر الذنوب جميعا] والعام يتعين حسب القرينة فهنا اريد به على طريق
الكناية ما كان قوم لوط يرتكبون من المنكر قوله تعالى [فاخرجنا - اليهم] هذا ليس
من قول الملائكة - وانما هو من قول الله تعالى اخرجنا فعلم بهم فان الملائكة
انما اخرجوا لوطا والذين آمنوا معه بعد ذبا بهم من عند ابراهيم عليه السلام . و
قد دل على انه من كلام الله تعالى بقوله [فيها] كما سنذكره .

[فِيهَا] لم يذكر المرجع وهو ارض قوم لوط وقريةهم الموثقة والارض من الاسماء
التي يرجع اليها الضمير من غير ذكر بالدلالة القرينة والقرينة انه من كلام الله تعالى
فهو متصل بما سبق من قوله تعالى [وفى الارض آيت للوقنين] وقد جاء بالقسمين
لايات الارض وقد ذكرنا فيما سبق ان العرب كانوا اقبلتبن لهم آيات هذه القرى
وقد صرح بذلك فيما اتبعه من قوله [وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم]
يعنى الآية على الدينونة .

[مِنَ الْمُسْلِمِينَ] لم يكن هناك الايت واحد من المسلمين وهو بيت لوط
عليه السلام وفيه من هو مؤمن وقد اخرجهم الله ونجا بهم ولكن امره لوط

امكن من هؤلاء المؤمنين وانما كانت داخل في جامعهم بحسب الظاهر فذلك
اختار اسم المسلمين في ذكر البيت .

(نظم هذه القصة بآيها وما بعدها)

١٢

في الجلة السابقة ذكر ان في الارض آيات للمؤمنين ولا يخفى ان في الارض
آيات على رحمة الرب بما يرزق به العباد وايضا فيها آيات على
نقمة الرب بما ترك فيها من آثار عذابه للمجرمين وكذلك ذكر فيما سبق ان
في السماء رزقكم وما توعدون ففى هذه قصة ابراهيم المشتملة على قصة لوط
مثل لهم الرحمة والبشارة والنقمة والالذار بهذه القصة منظومة في سلك ما
سبق من قوله تعالى [وفي الارض آيات] وقوله تعالى [وفي السماء رزقكم
وما توعدون] ودل على ذلك بما ختم به هذه الجلة فقال تعالى [وتركن فيها آية
للذين يخافون العذاب الاليم] وبما وصل هذه الجلة بما سبق بقوله [فيها]
كما قد منات في الفصل السابق وبما اختار من اسلوب العطف فيما اتى بها
من القصص الاخر فقال [وفي موسى الآية] فدل على ان في قصة ابراهيم
ضعفه وما انزل على قوم لوط لآية لكم . ثم هذه القصة تمثيل لما يدور به السورة
كما يتيك بيان ذلك ما بعد ما من القصص فاتبها امثالها فقال عز من
قائل حكيم :-

وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (۳۸) فَقَوْلِي بُرْكَتِي وَ
 قَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (۳۹) فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ
 مُلِيمٌ (۴۰) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (۴۱) مَا
 تَذَرُونَ شَيْئًا أَتَىٰ عَلَيْهِمْ جَالُوتُهُمْ كَالْحَرِيمِ (۴۲) وَفِي ثَمُودَ إِذْ
 قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (۴۳) فَعْتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْنَا مَثَلَهُمُ
 الصَّخْرَةَ وَهِيَ تَنْظُرُونَ (۴۴) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا
 كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (۴۵) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ
 كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (۴۶)

(۱۳) (تفسیر الکلم و تاویل الجمل فی آیات (۳۸-۴۶) (۱۴۶)
 [فِي مُوسَى] ای کذلک فی قصه موسی و قائله فرعون آیت علی انتقام اللہ تعالیٰ
 من الجمن و نصرتہ للمؤمنین کما جاء فی سورة الشعراء [و انجینا موسی و من معه اجمعین
 ثم اغرقنا الآخرين، ان فی ذلک لآیة]
 [بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ] ای بقوۃ و غلبۃ ظاہرۃ و کلمۃ سلطان جامعۃ لما اعطاه اللہ تعالیٰ
 من الآیات الواضحة علی رسالته و لما اعطاه بہما من الغلبة و الطغرف و الہیبتہ و
 ہکذا و صفہ مبین یوافق منا بالجامع و بین ما ذکرنا ما جاء فی قوله تعالیٰ [قال
 سحرة فک بائعک و نخل لک سلطانا، فلا یصلون الیک، بآیتنا انما و من اتبعکما
 الغلبون فلما جاء ہم موسی بآیتنا مینت الآیہ] و ایضا [فاذہبا بآیتنا انما
 معکم سمعون فاتیا فرعون فقولانا رسول رب العالین] و بعد ذلک
 [قال اولو جنتک بشی مبین] قال فات بہ ان کنت من الصدقین [و
 فقولی بُرکَتِہ] ای اعرض انک راو استکبار انا لکن ہنا ہو الملک

والبار للعدیة كما قال تعالى [واذ انما على الانسان اعرض وناجا بنه] ويشبه هذا
المعنى قوله تعالى في قصة فرعون وقومه [فلما جاءتهم آيتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . ووجدوا
بها واستغفبها انفسهم ظلما وعلوا] فلم يكن انكارهم من شك فان الآية كانت مبصرة
ولكنهم استكبروا ووجدوا بها ظلما وعلوا .

[مَلِيْمٌ] الام جارية يلام عليه اي هينا ظهر خسراؤه وصار بحيث يلومه كل من علم به
[اَلرَّيْحُ الْعَقِيْمُ] اي الريح التي لا تأتي بمطر ونفع وهذا كما سميت الرياح
لوانها اذا درست بالمطر كما قال تعالى [وارسلنا الريح لواتح فائزنا من
السماء ماء فاستقنكموه] والمراد به الريح الباردة كما قال تعالى [فارسلنا عليهم
ريحا صرراني ايام نخت] وسياتيكم بيان ذلك .

[كَالرَّمِيْمِ] اي البالي المنكسر من الجبل والعظم والشجر فان الرميم يطلق على
كل ذلك اذا صار داهنا واهيا . والريح الشديدة تكسر وتزعزع وتلك
والصرصر لبرودها وبها تذهب بالقوة والغضارة والحياة ويشبه ذلك
قوله تعالى في ذكر عاد [انا ارسلنا عليهم ريحا صرراني يوم خمس ممر .
تنزع الناس] انهم اعجاز نخل منقعر .

[تَمْتَعُوا حَتَّىٰ حِينٍ] وعدهم بنعيم صالح بعد ما عقر والناقة ان العذاب
يأخذهم بعد ثلاثة ايام كما جاء في سورة هود [نفقروا فقل تمتعون في داركم
ثلاثة ايام ، ذلك وعد غير مكذوب]

[فَصَبَّوْا عَنْ اٰمْرِ رَبِّيْكُمْ] التو هو العصيان والاستكبار والصله بعن
تمل على تضمنه معنى الاستكبار والاستنكاف .

[الصَّعِقَةُ] القراءة بالالف هي الحجة ويؤيد ما جاء من ذكرهم في سورة
هود [واخذ الذين ظلموا الصيحة] ومن قرأ بغير الالف فاراد التفسير

لما انهم صعدوا شدة الصيحة كما بينه ما بعد ذلك

[وَهُمْ يَنْظُرُونَ] جامع لوجه من المعاني :-

الاول انه كان عيانا وجهه لم يشكوا فيه كما جاء في قصتهم [فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلهم غمار] ونظير الجملة بهذا المعنى قوله تعالى [واغرقال فرعون وانتم تنظرون] وهذا كثير.

والثاني كون عذابهم سرليا بعبث فلم يهلوا كما قال تعالى في ذكرهم [انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر]

والثالث انهم بقوا حيارى لا يهتدون لحيمة وبين ذلك ما يتلوه .

[فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ] اى لما سمعوا الصاعقة من السماء اخذتهم الخوف

والردة الشديدة فالتقوا على الارض كما جاء من ذكرهم في سورة الكهف

[فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جهنم] اى اخذتهم الرجفة فلتصقوا بالارض

[فَمُنْصَبِينَ] اى افعين عن انفسهم كما قال امرؤ القيس

فانشب اظفاره في الف فقلت هبلت الا تنصر

وهذا بيان لما استل عليه ما قبله من نفى استطاعتهم على قيام .

[وَقَوْمٌ نَوح] دل بالعطف على المعنى المفهوم في هذه القصص وقد صرح

به في قصة فرعون حيث قال تعالى [فاخذنه وجوده] فالمعنى انا اخذنا هذه الامم

وكذلك اخذنا قوم نوح من قبل . ويؤيد ذلك نظايرة قال تعالى [فكذبوه

فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جهنم وعادا ونمود] الى ان قال تعالى [وقاروا

وفرعون وابلن] الى ان قال تعالى [فكلا اخذنا بذنبه الاية] ويشبهه قوله تعالى

[وانه اهلك عادا الاولى . ونودا نبالغي . وقوم نوح من قبل .] اى اهلك قوم

نوح فكذلك اهلنا ولا فرق بين اخذ واهلك والاصل في امثاله ما يدل عليه القرينة

۴۱. (بیان وجه اخص ما ذکرنا لنظم هذه القصص بما بد، بالسورة من قسم)
اعلم ان ذکر قوم لوط وفرعون و نوح و اعدائهم و قوم نوح جاء فی مواضع من
القرآن و حمل فی موضع ما فصل فی موضع آخر حذرنا عن محض التکرار و اختصارا
لما یجاز و اکثفا، ا بما یفنی للعظة و العبرة و ربما یلحق الیه الما عا کما قال تعالی
[هل اتک حدیث الجود، فرعون و ثمود و الذین کفروا فی تکذیب] و کذا تری
فی الزبور تلحیث الی الوقائع المعلومة فمن مر علیها من غیر تامل خفی علیہ وجوه نظاها
ولیس هذا موضع تفصیلها و لکن نور و هینا یستین به من هذه السورة براعة
استعملها حسن مواقع امثالها فأعلم ان انتقام الله تعالی من هذه الامم
ونصره المومنین علیهم کان تبصا ریف الراح او بالصاعقة - ا و یکتبها کما سیتک بیانہ
فی الفصول الآتیة فعلى هذا بد، السورة بشواهد الراح و السما و ذات الجحک
و قد مر ان المراد بها سماء الشتاء التي تأتي بالبرد و الصواعق الهاکمة .

۱۵- (ان قوم لوط املکوا بالربح الذاریة)

اعلم ان الله تعالی ارسل علی قوم لوط ریکاً ذاریة فاشتدت و انقلبت عاصبا
فامطرت علیهم حجارة من طین و لم یغتن من شدتها الی ان افکلت ساکنهم کما
قال تعالی [فمنهم من ارسلنا علیه عاصبا] و کما قال تعالی [فجعلنا علیها
سافلها و امطرنا علیهم حجارة من سبیل منضود] ای هبت الزعازع فهدمت
بیوتهم و عر و شهم و غطتهم بالحصی و الرمال کما قال تعالی [و الموتکة ا هو ی
فحشها ما غشی] . فی لسان العرب « الموتکة الراح التي تقلب الارض
ای یجعل لطنها ظهرا کالذی یحرث الارض و اذ اجار سبیل عظیم فغطت الارض
بما ترک علیها من الطین و الرمال فهي ایضا موتکة و جرت ریح فغطتها قليلا
فهي موتکة (لسان العرب اختصارا)

تنبيه - يرى في بادى النظر ان التوراة تحالف القرآن فيما مضى على قوم لوط
 وفي الحقيقة لا مخالفة بينهما الا من سوء الترجمة فانه قد اخطأ مترجموا التوراة في فهم
 ما مضى على قوم لوط فجعله ناراً وكبريتاً. فاما النصارى فليس المراد بها الا الصاعقة
 وبيان ذلك ان التوراة كثيرة ما تعبر عن الصاعقة بالنار وهذا يظهر مما جاء
 في التوراة من ذكرايات موسى التي وقعت على فرعون فقد جاء في
 سفر الخروج ص ٢٣ « وارسل الله عليهم الرعد والبرد والنار
 تسقى على الارض » والقرآن ذكر هذه الآية فقال [وارسلنا
 عليهم الطوفان] فعبّر عن هذه الامور الثلاثة بكلمة جامعة وهي الطوفان كما سنبينه
 في قصة نوح. وما يؤيد ذلك ان التوراة لم تذكر في قصة هذه آية موسى
 ان النار احترقت شيئا مع انها ذكرت البرد والرعد سبع مرات
 وصرحت مرة بانها كانت مطا حيث جاء « وحين رأى فرعون ان المطر
 والبرد والرعد سكن عصي مرة اخرى » وقد ذكرت ما كان من ضرر المطر و
 البرد حيث جاء « كانت الشجر في سنا بلها والكتان في طلعا » ولم تذكر
 ضرر النار شيئا ويشبه ذلك ما جاء في مزبور ٨١: ٨ « النار والبرد و
 الصقيع والنعام والبصر صرتمين كلمة » فالظاهر ان المراد من النار هو البرق
 والصاعقة واما ما ذكرت التوراة في قصة قمرية لوط من ان ابراهيم رأى
 من بعيد ارتفاع الدخان فليس الا ما رآه من ارتفاع الغبار الاسود من بعيد
 هذا واما الكبشيت كما جاء في سفر التكوين ص ١٩ ف ٢٢ « وامطر
 الملك على سدوم وعمورة كبريتا ونارا » فليس المراد به الا الحجارة وبيا
 ذلك ان الكلمة التي ترجموه كبريتا هي الكسبار ودخل من هذا الباب غلط
 في لسان الانكليز في معنى برم اسطون (الحجر المحروق) فظنوا انه الكبريت

ولكن ~~التي~~ ان المراد به الحصباء فانك ترى في سفر ايلوب ~~ما~~
 ها حيث يذكر موت الاشرار "ليكن في بيته من ليس له (اي الاجنبي الذي
 ليس من اهل) يذرع على مريضه كبريت" اي يضد على قبره جنادل كما هو العادة و
 لا معنى لذور الكبريت على مرقده. فقد تبين ما ذكرنا ان الله تعالى ارسل على
 قوم لوط رجا ذارته شديدة فغطتهم ومساكهم وان صح ما في نسخة التوراة فالرب
 عليهم الصاعقة ايضا.

١٤- (ان فرعون وقومه اغرقوا بالريح الشقية)

اعلم انه قد ذكر قصة موسى وفرعون في التوراة والقرآن اجمالا وتقصيلا و
 لم يستوعب كل الاستيعاب في سورة بل ربما اكتفى بمحض التلخيص لشهرتها ومعرفته
 الناس بها وهي مفصلة في التوراة وفيها التصريح بلع الريح العجيب في هذه
 الواقعة فاكثف في القرآن ببعض الاشارة اليه وبيان ذلك انه جاء في
 سفر الخروج ص ١٧٨ "ودم موسى يده على الحجر واذهب الله البحر بريح
 شديدة من المشرق طول الليلة وحمل الجريسيما وانفلق الماء، ثم اهدى الريح
 في الصبح فحين اشدت الريح حملت الماء الغمر الى المغرب في خليج سويس
 وترك ارض النيل الشرقي خليج عقبة يساوحين جرت يسرا رجعت بالماء
 في محله فغشى الذين اتبعوا طريق موسى في البحر وجاء تصديق ذلك في القرآن
 ففي سورة النحان [فاسرعبادى ليلا انكم تبكون. واترك البحر هواء،
 (اي ساكنان ان الرب هو اسكون وسكون البحر يكون بكون الريح) انهم
 جند مغرقون.] وفي سورة طه [ولقد اوحينا الى موسى ان اسرعبادى
 فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى. فاتبهم فرعون مجوده
 فغشيهم من اليم ما غشيهم] وفي سفر الخروج فيا حمدا به موسى ربه ص ١٧٨

ف.. انت ارسلت ريكافقيهم البحر، وفي سفر التثنية ص ١٠ والى
عملها يمشى مصر بخليهم ومراكبهم حيث اطاف مياه بحر سوف على وجوههم حسن سوا
وراءكم فابادهم الرب الى هذا اليوم" وحكمة القول ان الله تعالى نجى موسى
وقومه بالريح الشديدة واهلك فرعون وجنوده بالريح اليلنة وذلك من اجاب
لتصاريها.

تنبيه قد اختلف اهل الكتاب في موضع عبور بني اسرائيل واكثرهم على انهم
عبروا خليج سويس ولكن الصحيح انهم عبروا خليج عقيبته وكذلك وهم بعض المتكلمين
في زماننا ان الله تعالى نجى موسى بالبحر واغرق فرعون بالمد والبطانين
الذين تبعوا بعض البسط في غير هذا الموضع.

١- (ان عاد اهلكوا بالصرص والصاعقة واما ثمود فاهلكوا بالصاعقة فقط)
ما جاء في القرآن من ذكر عاد ولا يخفى على المتوسم ان الصرصر التي اهلكوا بها كانت
مصحوبة بالسماء التي تاتي بالصرص فانه كما صرح بانهم اهلكوا بالريح
كذلك تجدد الصرصر بان جاءهم سحاب خال وصاعقة. ففي سورة الاحقاف
[فلما رأوه عارضاً مستقبلادويهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به
ريح فيها عذاب اليم ثم دمر كل شئ بامر ربها] ولا شك ان هذا كان في اشتاء
حين تهب الشمال بالصرصر في ايام الخس والسنة كما جاء في سورة القمر
[انا ارسلنا عليهم ريحاً صرصر في يوم خمس مزم] وكما جاء في حم السجدة
[فارسلنا عليهم ريحاً صرصر في ايام نخسات] ولا يخفى ان هبوب الصرصر
الايام الخمس من احوال اشتاء قالت ليلى الابخيلة ه
ولا تأخذ الكوم ابلا وسلاهما ثوبه في خمس اشتاء الصاير
وقال الفرزدق ه

بقيت له ذمها ليست بلحقة تدرا إذا ما هب نحسا ثناها
فهذه الريح اشتوتية كثيرا ما تأتي بالسحب المقطعة المحرذات الجبك وبالبرد
والصواعق كما جاء ذكرها في كلام العرب وقد سبق بعضه في الفصل الثاني. ثم
ترى التفرج بالصاعقة في غدا ب عاد كما جاء في حمة السجدة [فان اعرضوا
فقل انذرهم صاعقة مثل صعقة عاد وثمود] وهذا لا ينادر شبهة في ان ارسل عليهم
صاعقة فقد تبين ما ذكرنا ان الله تعالى ارسل عليهم سحبا خاليا وريحا شديدة
تكل الوتر الثقيل وصاعقة بالهة. واما اكثر ذكر الريح لان عملها كان اشد فيهم فعملهم
والقتهم صرع على الارض. وكذلك تبين ان الصاعقة من آثار السماء اشتوتية
فعلما استدلالا من الاثر على الموشربان ثم وارسل عليهم السمارذات الجبك
التي انزلت عليهم الصاعقة الهائلة والصيحة الصاعقة كما ارسل على عاد عارضا ذنبا
واذ كان هلاك ثمود مخض الصاعقة كما جاء في سورة القمر [انا ارسلنا عليهم
صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضرين] اكتفى بذكر الصاعقة ولم يذكر السحاب وهي
تدل عليه التزاما وهذا كما اكثر ذكر الريح في قصة عاد واما ذكر السحاب مرة واحدة
والقرآن كثيرا ما ترك تفاصيل القصص لاسباب قد منها في اول الفصل
الرابع عشر.

١٨ (ان قوم نوح اهلكوا بالريح الشديدة)

لم يذكرني هذه السورة من قصة نوح وقومه غير اشارة الى انهم اخذوا مثل هذه الامم
ولكن النظر فيما ذكر منها في التوراة والقرآن يدل تصريحاً واشارة على انهم اهلكوا
بالريح الشديدة وذلك بانه جاء في سورة العنكبوت [ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظلمون] ولا
شك ان الطوفان مصد بمعنى الدوران ليست عمدا العرب لما يظنون من

الرياح الشديدة قال الراعي صيف الناقة سه

تسمى اذا العيس اوركننا كاشتها خرقا ليعتاو بها الطوفان والزود

وبهذا تجد اسماءها في السنة اخر شلا في الفارسية تسمى گرد باد (الرياح المدورة)
وفي الانكليزية ساكلون (الدوارة) وفي الهندية بگولا (دائرة الرياح) وكان
المصريون يزعمون بالرياح الشديدة ليموت طائفون ومن خاصة هذه الرياح شدة
المطر وفوران الماء من البحر وقد شاهدنا ذلك من طوفان جاء من مشرق بحر الهند
الى مصر وحينئذ كنت في مدينة كراچی فانزل مطرا شديدا وقذفت السفن على
البحال وفعل ما فعل. ويطابق بذلك ما جاء في تصوير طوفان نوح في القرآن والتوراة
قال تعالى في سورة القس [ففتحنا ابواب السماء بما منهزم ففجرنا الارض عيونا
فالتقى الماء على امر قد قدر.] وفي سفر التكوين ص ١١... في
ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء، و
في سورة هود [وهي تجري بهم في موج كالجبال] ومن ركب البحر علم
ان الامواج كالجبال لا تنشأ الا برياح شديدة وفي ذكر الاثر دلالة على الموثر وقد
صرح القرآن في غير ما آية بما ينشأ الامواج والرياح من الملازمة كما قال تعالى
[هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم برّيح طيبة و
فروا بها جواهر تها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان] وفي قوله تعالى
[وهي تجري بهم الآية] دلالة على الرياح كما يؤيده قوله تعالى [ومن آية الجوارف
البحر كالاعلام. ان نشأ يسكن الرياح فيظلمن روادك على ظهرك] وقوله تعالى
من آية ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته وتجري الفلك بامر [و
بذلك القديرين ان الله تعالى ارسل على نوح ريجا شديدة ودائرة مصفة
انزلت مطرا شديدا وهببت الماء من بحور حول ارضهم وانشأت الامواج

العظيمة واجرت سفينة نوح الى جبل الجودي ثم سكت .

تسنيه . في سفر التكوين ص ۱ واجاز الله ريحا على الارض فهدأت المياه ۲ . والنسبت ينازع الغرو طاقات السماء فاقطع المطر .

وتبادر من ذلك ان الله سكن الطوفان بريح أخرى لينته ولكن الاقرب ان المراد به مجرد امر الرب كما جاء في سورة هود [وقيل يا راض ابلعي ما رك . ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى الامر] وذلك لما في العبرانية من كلمة شترة بين الريح والامر والكلمة فجا القرآن بصحح الخبر وان ربنا يأتي بما يصلح ما دخل في كتاب الله من التحريف والتبديل كما هو مبسوط في موضع .
 ۹ (نظرة في ترتيب هذه القصص ونظمها بالمقسمة وبالعبد من ذكر الايات) قد تبين ما سبق ربط هذه القصص اجالا باقسامه في اول السورة وبقية النظري ترتيبها على سبيل التفصيل ولما كان قصص القرآن شتمة على وجه من العبر والدلائل جاءت على ترتيبات مختلفة جسماليت بمواضعها فهنا نكتفي بايين نظمها المرعى في هذا الموضع فاعلم ان قصة ابراهيم ولو ط واصله في جمع البشارة والانهذار وبكذا امر الرياح فانها مبشرات عمومها وحيانا تكون منذرة ففعل قصة ابراهيم تهديد لما ذكر بعد ها من الانذار ثم كانت العرب تمر كثيرا على قرية لوط وترى آثار ما امطر عليهم فكانوا اقرب الى ذكرها ثم هي مطابقة بما هو مقدم في المقسم به وهو قوله تعالى [والذيت ذروا فاجلك وقرا] فان الله تعالى اهلكهم بريح ذرت عليهم الرمال والحصار وحملت منها وقرا ثقيل حتى غطتهم ومساكنهم ثم هذه القصة منظومة في سلك ما تقدم آنفا من قوله تعالى [وفي الارض آيت للمؤثنين] كما مر في الفصل السادس عشر فقد هما لهذه الوجوه الاربعة . واما قصة موسى فهي اكثر القصص ذكرا في القرآن

والتي اثراني الكتاب ثم هي مطابقة لما هو التالي في المقسم به وهو قوله تعالى [فالحملت قرا
 فالحجرت يسرا] اجما سبق من تاديله ثم صدر بهذه القصة والتي قبلها باسماء الانبياء فكانت
 اولى بالتبشير فضمها ببشلائها ثم ذكر ما فيه الانذار فذكر قصة عاد وثمود باسميها وكان عند ايها
 من آيات السماء ذات الحكيم كما علمت فذكرها بعد الاولين وحسب ذلك
 جاء القسم بالسماء بعد القسم بالرياح وقدم عاد القدمة هازمانا ولكون قصتها جامدة للريح
 والسماء فكانت اولى باقبلها.. واقامة فوح فقد جعلها الآية باقية لرمته على جميع الامم
 كما قال تعالى [انا لما طغى الماء علمكم في البحار] ليعلمها لكم تذكرا ولتعيها اذن واعية [وقد
 علمت في الفصل السابق ما كان فيها من ظهور آيات الارض والسماء والريح والسماء
 والفلك والماء فكانت جامعة لآيات الله في الانفس والافاق فكانت مناسبة بما
 بدوه به السورة من القسم بالريح وبما حتم به الدلائل من جوامع الكلم في آيات الارض
 والنفوس والسماء فمن توقعها بعد ذكر الآيات السخاصة تمثيلا جامع لما قدم من الدلائل
 وايضا كان قوم عاد وثمود خلعت بعد قوم نوح فوصل بينهما كما تجدد ذلك حيث يذكرهم
 على ترتيب الزمان واشبه الآيات بذلك قوله تعالى [وانه اهلك عاد الاولى وثمود فمما بقي
 وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واظنى] واكتفى بمجرد الالاماع اليها لشهرة امرها و
 بعد عهدها واشتراك جميع الامم فيها فذكرها اتماما واستطرادا ثم رعاية للايجاز المرعى فيها
 سبق دل على كونها مستقلة لقطعها عن نسق ما تقدم بتغيير الاسلوب فلم يقل "وفي نوح"
 كما قال فيما تقدم [وفي موسى] [وفي عاد] [وفي ثمود] وكذلك لم يأت بهاتي نسق عند تصنيفه

(٢٠)

(نظم هذه الجملة ما بعد ما)

لا يخفى ان اهم مطالب الدعوة الاولى ثلاثة اصول: التوحيد والدينونة والرسالة ولما بين
 هذه الثلاثة من الاتحاد والاتصال ربما تذكر معا وربما تخلص من بعضها الى بعض وقد
 سبق في ادخل الفصل الثامن ان دلائل الدينونة والرسالة متفرقة على التوحيد وارجته

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٢٤) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ
الْمَاهِدُونَ (٢٥) وَمَنْ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٦)
فَقَرَأْ إِلَى اللَّهِ . إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٧) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ . إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٨)

الیه فعلی ید بعد ذکر الاولی علی الدنویۃ اتہا بالاسد لال علی التوحید وکن لم یقطعہا بل
وصلہا وخص منہا الیہا وضمہا المطلب الثالث ویو ذکر الرسالۃ فقال عز من قال خیر
(٢١) (تفسیر الکلم و تاویل اکمل فی آیات (٢٤ - ٢٨))

[وَالسَّمَاءَ] [الـ] عطف علی ما سبق من دلائل الوقائع فان الدلائل الفطرۃ شہادۃ اخرى
[باید] ای بقوة . اتیدہ توادہ . کما قال تعالیٰ [انتم اشد خلقا ام السماء بہا . رفع
سکھما صوبہا] والسماء منظر القوة العظمی والحکمة الباہرۃ کما فصل فی غیر ما آت
[لُمُوسِعُونَ] ای دوسوۃ فی الاقتدار فلانہا یہ لقدرة کما یوظا ہر علی کل من نظر فی السماء
ویناہا وسمتہا واحاطتہا ورفعتہا .

[فَرَشْنَاهَا] [الـ] ای جعلہا فرش موطن کما قال تعالیٰ [جعل لکم الارض فراشا] و
ایضا [لم یخل الارض ہا دا] وایضا [ہو الذی جعل لکم الارض ذلولا فامشکوا
فی مناکبہا]

[خَلَقْنَا] موقع الآیۃ بنہ علی ان بناء السماء وفرش الارض داخل فی قولہ تعالیٰ
[خلقنا] ای کانتہ بنی السماء وفرش الارض واخرج من ہذین الزوجین منافع
لعبادہ فکذہ لک من کل شیء خلق الزوجین لعلکم تذكرون المعاد وتعرفون بکونہا و احدا
فوق اخلق کلمہ مدبر تقدیرا یمایکما وسیاتیک بیان ذلک فی الفصل التالی .
[زَوْجَيْنِ] فی معنی الزوج و جہان الاول کون احدهما تاما لاخر یصلح ہذا الذاک

حتی تا بنیجه من بینها کما قال تعالی [و اصلحنا له زوجة] و آتانی کون احدہما قسما متقلا بل اللہ
 کما قال تعالی [و انزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجنا من نبات شتی] و شدہ [و انبتنا
 فیہا من کل زوج بہج]

[مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] منہ امی من عنده و لیست صلہ للنذیر فانه لا یقال انذرہ منہ بل انذرہ
 ایاہ کما جاء فی القرآن کثیرا . و ہذا القول لم یکر لمحض التاکید بل لکل تاویل علی حدیث حسب
 محله فان محل الاول الترغیب فما ویلہ انہ تعالی من رحمۃ ارسل الیکم نذیرا لینذرکم عواقب
 الغفلة و الرکون الی المویقات لکی تقر و امنہا الی ربکم الرحیم التواب و الثانی محل الترہیب
 فما ویلہ ان الشکر انعم عظیم و لا عذر لکم فانه ارسل الیکم نذیرا مبینا من عنده .

۲۲ (الاستدلال بخلق الزوجین علی التوحید و ما یلزمہ من الایمان بالرسالہ و المعاد)
 اعلم ان الدلیل علی امد الواحد واضح علی العقول فطرۃ و لذلك تری اکثر الملل مذمۃ
 بہ لما ان ہذا الخلق المشہود لبحا بنہ و عظمہ و سعۃ کلہ شاہد علیہ و لکنہم و اہلون عن النظر البصیح
 فیہ فمع الایمان باللہ کانہم لم یؤمنوا بہ کما قال تعالی [و ما یؤمن اکثرہم باللہ الا ہم مشرکون]
 فالقرآن کثیرا ما یدعو الی الخلق بوجہ تنفی الشکر و تتماصل جرثومہ و ینیہ علی ما یلزم
 التوحید من الایمان بالمعاد و ارسالہ و قد اکثر القرآن من ہذا النمط اجمالا و تفصیلا و لیس
 ہذا موضع البسط فلنکتف بہنا بقدر الحاجة فنقول و باللہ التوفیق - اعلم ان الاستدلال
 بہنا بخلق الزوجین من کل شئی علی زوجین حسب معینیس للزوج . اما الوجه الاول فان
 الخلق مع سعۃ و اختلافہ فی الطبائع شاہد علی رب واحد برقاہر علیہ فانه لو کان فی
 کل خلق رب یدبرہ لم یکن بین طبائع افرادہ تواطؤ علی نتیجہ لیست عائدة الیہا فانک
 تری افرادہا مسخرة لنفع البعد ہا زعم الملحدون ان کل موجود نشأ و تم و ترقی لقوی مستترة
 فیہ فابرز اعضاہ لما یصلح بشؤنہ و یقضى حاجاتہ فہذا مع سخاۃ لا یکشف عن امر خارج
 عن نفس الشئی و ہو مناسبتہ لما ہونی غایۃ البعد عن علمہ و حاجاتہ فمناستہ زوج لزوج

تستدعي خالقها خارجا عنها عالما بمصالحها لكي يجعل احد الرزجين موافقا للآخر ولا يخفى ان
هذا العالم بأسره شئ واحد وفيه امور غير تامة تقتضي تمامها زواجهم به وتتم به مصلحة كليهما
وهي الدار الآخرة فهذا الاستدلال يتضمن امرين عظيمين : الاول اثبات خالق قادر حكيم
جبل الخلق بعضه تماما وزوجا للآخر واصلح هذا الذالك حتى يتجنا منافع لعباده والثاني اثبات
معاد ودار أخرى لهذه الدار المشهودة وهذا الاستدلال مبسوط ببعض البسط في تفسير
سورة الشمس فراجعها واما الوجه الثاني فانكم ترون الخلق مختلف الانواع يختلف
بعضها بعضا مع اتحادها في الاصل واما وجهها من الاسباب العامة فهذا يدل على رب
مدبر يرزق هذه الانواع كلها على نقيض فلا بد انه واحد فوق كل ذلك ويسوسها مع تصادها
وتشكسها بحيث لا يتعدى بعضها على بعض فلا خبط ولا شطط وهذا كما يدل على تصرفه بالقدرة
والصرف والعلم والحكمة فكذا يدل على جعل الكل جبا ملحق له فلا بد انه لا يجعل المحسن
كالسي ولا الطالح كالعاصي وهذا برهان واضح على صوة المعاد وقد فصل ذلك في
مواضع من القرآن فاكثفينا ههنا بما يجاز القول - وهذا الاستدلال بخلق الرزجين
بكل الوجوهين كما يدل على خالق واحد مدبر لما خلق فكذا يدل على رب روف ودود
احاط الكل علما ورحمة فنجيع الخلق من السماء الى الارض مسخر مقهور تحت قدرته و
مجرى الى المنافع لعباده واذا احاطت قدرته ورحمته فهو الملجأ والمستعان وحده وبه
انخير كله وبأذنه يقع الضر لمن خالف امره والتمس النجى من غير ما صرح به القرآن
كثيرا ومنه قوله تعالى [ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له
من بعده وهو العزيز الحكيم] يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله
يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فاني توفكون [اي فاني تصرفون عنه وهو
الملجأ والمولى وترون نعم الله ابنة ورحمة الواسعة ومن كمال رحمة انه يبعث الرسل
ليحذروا الناس عن سيئات اعمال الذين يحيدون عن سبيل النجى ويوفكون عن

المولى اتحن فوظيفة الرسل ان يذروا الناس ليفروا الى مولا هم وينسب لهم اطل عليهم من العقاب. فمن استجبر عن الاصغاء الى رسد الناصحين لهم بقول واضح وبيان بين فقد اورد نفسه الهلاك فلا لوم الا عليه وذلك بانه اتى عن مولا ه ثم لم يسمع لداعيه فانكح بما يقع عليه من نتائج اعماله السيئة فذلك ثلثة امور وهذه الايات ناظرة اليها وداعية الى التوحيد بوجه يتضمن الدعوة الى الرسالة والايمان بالمعاد ودين انهما من لوازم الايمان بالله الواحد الرحيم القادر الحكيم.

(٢٣٣) (تنظم هذه الجملة في نفسها وبما سبق وبما اتحن)

اتضح مما سبق ان حاصل هذه الايات الدعوة بآيات الفطرة الى ان الله تعالى هو ربكم الذي آواكم ورزقكم وقد تبين لكم النذر والاشغال من عصوه ولم يسمعوا رسد فان سلكتم طريق بولاء يخاف عليكم بعض ما وقع على تلك الاحم كما قال تعالى [ان اعرضوا فقل انذركم صعقة مثل صعقة عاد وثمود] وايضا تبين انه لا رب ولا مخير سواه كما قال تعالى [وهو يكره ولا يجار عليه] وقد تبين لكم من كل شئ اثار رحمة قدرته وحاطة علمه وحكته ففروا اليه واسمعوا لمن ارسل اليكم داعيا اليه والى جميع انبيات لينفركم فانه واسع المغفرة وترى مثل هذه الدعوة في رسالته توضح كما قال تعالى [انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم. قال يقوم اني لكم نذير مبين. ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون. يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسئى الاية] وهذا من باب جمع الترغيب بالترهيب وترى رعايته ذلك في قصص القرآن كثيرا مثل قوله تعالى [نبى عبادى انى انا الغفور الرحيم. وان عادى هو العذاب الاليم. ونبيه عن ضيف ابراهيم] فهكذا ههنا اورد قصص الاليم للمحض الانذار بل لكي يتوبوا الى الرب الرحيم ثم بعد ما فرغ من البنية على الدلائل الواضحة من كل باب ومن الدعوة الى الرب تعالى الواحد وهو الال

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ
 (٥٢) أَلَوْ صَوَابُهُمْ فَلْيَكُونُوا مِنْ طَاعُونَ (٥٣) فَقُولْ عَنْهُمْ فَمَا أَتَتْ
 بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَمَا
 خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ
 رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ
 الْمَتِينِ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا
 يَسْتَجِيبُونَ (٥٩) قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)

من المطالب الثلاث عطف الى تسليته النبي المتضمنة لمطالب مهمة وهذه كثيرة في
 القرآن ورجاء تراه في اواخر السور كما مر ذكر ذلك في تفسير السورة السابقة مع
 بعض الشواهد فعلى هذا الاصل ختم السورة بالتسليته على اسلوب جامع لمطالب مهمة
 كما سيأتي ذكره فقال عز من قائل حكيم

(٦٢) (تفسير الكلم وتاويل الحتمل في آيات (٥٦-٦٠))

[كَذَلِكَ] اول بالاستئناف على الشروع في خطاب آخر و اشار كذلك الى ما سبق من
 انكار الامم بالرسول فكانه قيل كما ان هؤلاء المذكورين السابقين كذبوا فكذلك كل من قبل
 قومك المبكرين كذبوا برسولهم فلا تحزن عليهم ولا يفتق صدرك من تاخر غلبته اتحي فقتل بالفتح
 [قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ] قد مر سبق من ذكر قول فرعون لوسى (فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون)
 فكذلك كان قول الله كذبته وقد جاء في القرآن ان كفارا لعرب قايوا مثل ذلك

لبنهم فهذا يشير الى قولهم

[أَلَوْ صَوَابُهُمْ فَلْيَكُونُوا مِنْ طَاعُونَ] الاستفهام للاستنكار وبل للاضراب لينذكر ما هو
 الحقيقة كانه قيل ما اجد قولهم فهل تواصوه به فاختلف يتبع السلف تقليدا فلا يعلمون

عقوبهم ثم اضرِب عنه فقال بل ذلك لعقوبهم وطغيانهم.

[فَقُولْ لَعْنَهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ] اى اعرض عنهم واهملهم والامر بذلك لا يكون للاعراض الكلى بل للاهمال لتسكن شدتهم وللصغ عن سئى قولهم تكبرا وتوكيلا الامر بهم الى ربهم كما قال تعالى [فذكر انما انت مذكر مست عليهم بمصيطر الاسن تولى وكفر فيعذب الله العذاب الاكبر ان ايننا اياهم ثم ان علينا حسابهم] وكما قال تعالى [فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب] ولكلف عن الاسحاح الذى هو من شنة الانبياء كما ذكر فى امثال قوله تعالى [لعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا] ومنها قوله تعالى [فلا تذمرب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم باليصنعون] ولهذه الوجة يقرن نه الامر بالتهديد للمكرين وبعده النصر للمؤمنين وتكليم النبي بانه برئ الذممة بعد اتمام الحج والبلاغ المين فلا يلج على المنكرين وبأمر النبي بالتوكل والصلوة والركع باجل الله للكفار من المهلة فان الله تعالى هو الوكيل ويعطى الهداية لمن يشاء حسب علمه باحوال عباده ولا يعجل بالعذاب بل يمهل لكي يتوب بعضهم فعلى النبي والمؤمنين ان يصبروا ويصنفوا ويثقفوا واثبات الحق والفرقان وعلى ما ذكرنا شواهد كثيرة فمنها قوله تعالى [واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا. وذرنى والمكذبين اولى النعمة واهملهم قليلا ان لدينا انكالا جمادا فاعصته وعذابا لاما] وقوله تعالى [واعرض عن المشركين. انا كفيناك المستهزئين. الذين يحيلون مع الله الهما آخر فسوف يعلمون. ولقد نعمناك يضيئ صدرك بما يقولون، فسبح بحمد ربك وكن من السجدين. واعبد ربك حتى ياتيك اليقين.] وقوله تعالى [ولقد سبقنا كلمتنا لعبادنا المرسلين. انهم لهم المنصورون. وان جندنا لهم الغلبون. فقول عنهم حتى حين. والبصر هم فسوف يبرصون. افبعدا بنا يستجيبون. فاذا نزل باخهم فساء صباح المنذرين. وقل عنهم حتى حين. والبصر هم فسوف يبرصون.] وسورة الشعراء كلها تبين طرفا

من هذا التأويل وهو ان الله تعالى لا يعجل بالافذ وان اكثر المنكرين لا يؤمنون
فعلى النبي ان لا يحزن لبطء الفضل فذكر فيها قصص الامم ورجع بعد كل قصته بقوله
[ان في ذلك لآية] وما كان اكثرهم مؤمنين . وان ربك هو العزيز الرحيم .
[وذكر كرم] اى مع الاعراض عن هولاء لا تترك التذكير العام كما من حكمة ذلك فيما بعد .
[الذكرى] اى عاقبته ولكن غالب النظر ههنا الى التذكير بالعباد كما قال تعالى [وذكرهم بما
اللهما دجا وكثير البعد دلائل البعث مثل قوله تعالى [ان في ذلك لذكرى] او قوله [تبصرة وذكرى]
[والتقوة المبين] لكون الوقف على المتين لا يظهر اعرا به فلا يكون موضعاً للاختلاف
القرائة فيه وانما اختلفوا في فهم اعرا به فمنهم من يظنه جرّاً على انه وصف للقوة فان القوة
في الاصل هى طاقة الجبل والجبل يوصف بالمتين عموماً فجاء وصفاً للقوة وانما لم يونس
كونه فيصلاً كما ترى في قوله تعالى [ان رحمة الله قريب من المحسنين] وانه من يظنه
رفعا على انه وصف لذى القوة ولكن المتين لا يوجد في صفات الرب تعالى فلا بد ان
يكون بتقدير فاعله اى المتين قوة فلا اختلاف بين الاعراب من جهة التأويل .
[ذُنُوباً] الذنوب الدلو الملائى ولا يقال لها ذنوب وهى فارغة ومنها للخط و
النصيب قال ابو ذؤيب

لعمرك والمنايا غالبات لكل بنى اب منها ذنوب

وقال علقمة بن عبدة يدح حراثا

وفى كل قوم خطبت نبعمة ففى لشاش من ذاك ذنوب

والمراد ههنا والله اعلم ان هولاء الظالمين خطا محمد ودا من المدة يتمتعون فيها حتى
تتلا هذه المدة من جهة الرب ما قدر لهم من الرزق والمتع ومن جهتهم ما يعطون من سيات
اعمالهم ففى عليهم العذاب وما احسن كلمة ذنوب دلالة على هذا المعنى وسين
هذا التأويل ما بعد ذلك وعليه شواهد كثيرة فمنها قوله تعالى [وربك الغفور

ووالرحمة. لو يو اخذهم باكبو العجل لهم العذاب، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثقا [اي لهم زمان موقت فالمراد بالذوب هو الزمان الذي اعطى لهم فاذا امتدأ بما قدر لهم من المتع وعلموا ما هم عاملون فيه فكان ذلك ذنوبهم اي خطيئهم من الزمان والمهلة (٢٥١) ميل قوله تعالى [وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون] الى قوله [المتين]

لما كان هذه الآيات الثلاث مستتمّة على مطالب مبهمة من بيان غاية خلقها ولزوم العمل بها وبشارة للمؤمنين وانهذار للمكركين كما سنذكرها في هذا الفصل مع امور آخر وكان نظرها متضمنا للاستدلال على المعاد وازالة شبهة تقتري المكركين لعدم اخذهم بالفور وبذلك يتبين اتصاها بما سبق ونحى من الامر بالاعراض والانتظار تخجنا الى بيانها ببعض البسط فنقول بعون الله وتوفيقه. اعلم ان سياق هذه آيات بيان حكمه الاعراض عن هؤلاء المكركين الطاغين واهمالهم لمدة كما صرح بذلك في مواضع وقد سبق بعض الشواهد عليه. فموقع الدليل لما سبق من قوله تعالى [قول عنهم فان لم ينزلنا سلطانا فلنؤمن بالله كي لا ينزلنا سلطانا] ونقصيل هذا الاستدلال ان الله تعالى لم يخلق الجن والانس لاستخدامهم كما يستخدم السادة خدامهم ليجعلوا لهم الارزاق ويكنون لهم قوة وشوكة فانه تعالى هو المتكفل برزق عباده وبالحكمة فانه تعالى لم يخلقهم ليستخدمهم ومع ذلك لم يخلقهم عبدا واهوا فلا بد ان الله تعالى خلقهم لكي يسعدوا ويتنعموا برحمته فمن تأمل ذلك تبين له ان سعاده في ان لا يبدربه لانه لم يامرهم الا بما فيه نفعهم وكاملهم ولذلك قد خلقوا وذلك بان غاية الخلق اكمال وجوده فان الخيرات مكونة فباخلق تظهور وتخرج من القوة الى الفعل فتوجد خيرات اخر حتى يرتقى الخلق الى كمال رفعة وسعاده كما قال تعالى [من كان يريد العزة فلله العزة جميعا. اية يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه] واذا كان ذلك فلا بد من

امرین الاول انه تعالى لا يستجلب بعد ايهام اذا لا بطل ما بقى في الخلق من الخيرات
كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهم من دابة ولكن يوترجم الى اجل
مسي) فلذلك يهملهم حتى يرجع من كان فيه ادنى استعداد او يتم عليهم حجة و
الامر الثاني انهم اذا لم ينهوا عن السيئات وتنت عليهم حجة الرب فلا بد من اهلاكهم
كما قال تعالى (ولمك القرى التي ظلموا جعلنا لهم موعدا) وقوله تعالى
[ذوالقوة المتين] جامع لوجهين الاول ان هؤلاء ليسوا مثل الخدم وبتهم ذبيحة
لكسب الارزاق وسببا للقوة والشوكة حتى اذا خرجوا عن الخدمة دخل الضرر في
منافعهم او انحلت في ملكهم فان الله تعالى لا ضعف في ملكه والثاني انه تعالى اذا
اهملهم لمدة فليسوا خارجين عن بطشه فانه محيط بهم فاذا شاء اخذهم فلذلك جعل
للمنكرين مهلة ومدة كما بين ذلك فيما وصل من قوله (فان للذين ظلموا ذنوبا بالآية) وعلى
هذا فقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس) الى قوله [المتين] كما يدل على
المنكرين على امرين اهما لهم مهلة واهلاكهم بعد اكمالهم فكمذا يدل في جانب النبي
على امرين على محض الدعوة حسب امر به وعلى جعل باقى اوقاته مشغولا بالصلاة
والتضرع وذكر الله وحمده وتبجيله فان كليهما عبادة ويدل على ذلك نظيره
الآيات وهو قوله تعالى (وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها بالنساء)
رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى [ففي كلا الموضعين دل على نفى الاستحرام
وجوب العبادة وقد جاء الامر بالصلاة واستتبل الى الرب وتوكيل امر
المنكرين اليه في مواضع كثيرة فكمذا ههنا دل على ان كلنا عبادة والامور تجري
حسب شئته وحكمته. هـ] وما ذكرنا النسخ ان هذه الآيات
اشتملت على حكم عظيمة ولذا ذكرها الآن :-

(١) حكمته الخلق وغاية وهي العبادة لله وحده

(٢) الفرق بين العبادۃ والخدمۃ وذلك بين حقيقة الربوبية.

(٣) ضرورة الاهمال من جهة حكمة الخلق ورحمة الرب .

(٤) لزوم الدنونة وغلبة الحق من جهة حكمة الخلق وعدل الرب .

(٥) عدم المتيقن لفصل الامر بالغور بل الرضى بما يجري امد من الامور حسب حكمته وعده ورحمته .

(٦) كون الصلوة وذكر الله راس العبادات لتضمنها الخضوع والتوكل .
وعمود هذه الآيات المعاد فان كون الخلق لغاية يدل على ان العباد يسلمون ويخبرون
ثم ذلك ايضا يدل على انهم لا يسبقون الالمدة حسب مقتضى الحكمة وهذا يدل على
غلبة الحق وان الباطل انما هو لوقت وقد صرح بذلك في مواضع ومنها قوله تعالى
[وكم قصنا من قوميه كانت ظالمه وانما بعدا قوم آخرين . فلما احسوا باننا
اذا هم منها يركضون . لا تتركضوا وارجوا الى ما اترقم فيه وسكنتم لعلمكم تسلمون
قالوا ايولنا انما كنا ظالمين . فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا لخادين . وما
خلقنا السماء والارض وما بينهما لعبين . لو اردنا ان نتخذ لهما آتخذة من لدنا
ان كنا فاعلين . اى هو اعلى من ان يتلوه بشي من هذا العالم الاسفل) بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل ما تصفون . وله من في السموات
والارض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحيون . له يسبحون اليل والنهار
لا يفترون .] فبين انه تعالى انما اهلك الامم الظالمة واستخلف بعدا
اته اخرى لانه لم يخلقهم ليعبدوه فابتلى ناسا الى ما يفعلون لا يدينهم ولكنه يريد الحق فيقذفه
على الباطل وكل شي ماسوى الله باطل وانما وجوده من قبل ارتدائه جلباب
الحق بعبوديته لمد الحق حتى الملائكة المقربون باقون له وام عبوديتهم فانهم يصلون
الليل والنهار فان بها استحقاق الوجود فن تخلص عنها جلب على نفسه الهلاك

والعذاب . وكل ذلك يدل على كبرياءه وحكمته وعدله ورحمته وفي ذلك انذار شديد

للاطالمين الطاغين ولشركى عظيمة المحسنين .
(٢٦٦) نظرة في نظم هذه الحكمة النخاتمة وفيما اشتملت عليه من مهمات المطالب

قديمين مما سبق ان هذه الآيات التسع جاءت على وجه التسيية ولكنها اشتملت
من المطالب المهمة على امور : على تعليم المداواة والصنع عما يقول الظالمون .

وعلى تعليم الصبر والانتظار لنجاة الحق وعلى اقصاف الرب تعالى بالحكمة والرحمة
والعدل وعلى حكمة الالهال وعلى تدبيره الامور حسب الآجال . وعلى ذكر غاية الخلق

وكماله وعلى بيان حقيقة الربوبية والعبودية وعلى لزوم المعاد . وجعل نظم هذه

المطالب في غاية الاتساق والاتقان بارتباط ترتيبها

ليستدل بعضها على بعض ويستخلص من السابق

الى اللاحق حتى بلغ الكلام الى عمود السورة

وهو الانذار والتخويف لكي يتوبوا الى

ربهم . هذا آخر ما تيسر لنا ذكره

من تفسير هذه السورة

والله اعلم

العالمين والصلوة على رسوله الامين

محمد وآله وصحبه اجمعين

فہرست مصنفات صاحب ہذا الکتاب

اجزاء من التفسیر لمسی نظام القرآن

آفات

۴۴

تفسیر سورۃ تبت یا الی لب

۴۴

تفسیر سورۃ التحریم

۴۴

تفسیر سورۃ عبس و توئی

۴۴

تفسیر سورۃ القیامہ

۴۴

تفسیر سورۃ الدین

۴۴

تفسیر سورۃ الکفر و کفر

۴۴

تفسیر سورۃ العصر

۴۴

تفسیر سورۃ الذریت

۴۴

امعان فی اقسام القرآن

۴۴

الرای الصحیح فی من ہو الذبیح

۴۴

اسباق النسخ، سہل طرز پر عربی گرامر بزبان اُردو و حصہ اول ۴ حصہ دوم ۶

۴۴

دیوان حمید بزبان فارسی

۴۴

خردنامہ ترجمہ اشغال حضرت سلیمان علیہ السلام منظوم بزبان درسی

۴۴

تحفۃ الاعراب عربی کی نحو جدیدہ اُردو و نظم میں

تطلب من مدرستہ الاسلامیہ، سر اسٹمیر، اعظم گڑھ۔

تفسير
سورة

من
نظام القرآن

تأويل الفرقان بالفرقان

— حد آیت —

المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعة معارف عظم گڑھ

الهند

تفسير سورة المرسلة

فهرس مطالب الفصول

- (١) اجمال القول في عمود السورة ونظمها بالسورة السابقة ١
- (٢) في مواقع ترجيحها آية [دليل يؤيد للكذبين] وانتهاها وجهها كثيرة .. ٢
- (٣) تفسير الكلم وتاويل اكل في آيات (١-١٥) ٣
- (٤) بيان وجه الاستشهاد بالرياح على يوم الفصل ٤
- (٥) تفسير الكلم وتاويل اكل في آيات (١٤-٢٤) ٥
- (٦) تفسير الآيات السابقة ونظمها ودلائل المعاد من ثلاثة وجوه .. ١٠
- (الف) بآيات الآثام الباقية ١١
- (ب) بخلق الانسان ١٢
- (ج) بجعل الارض للان مثل الرحم ١٣
- (٨) تفسير الكلم وتاويل اكل في آيات (٢٩-٣٠) ١٣
- (٩) لامة من قول تعالى [انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب] .. ١٣
- (٩) بيان اسلوب الآيات السابقة ونظمها ١٤
- (١٠) تفسير الكلم وتاويل اكل في آيات (٣١-٥٠) ١٤
- (١١) تاويل الآيات السابقة ونظمها ١٤

تفسیر سورة المزلت

دہی غسون آیت

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَالْمَزْلٰتِ عُرْفًا (۱) فَالْعَصْفِ عَصْفًا (۲) وَالشَّعْرِ شَعْرًا (۳)
فَالْفَرْقِ فَرْقًا (۴) فَالْمَلَقِیْتُ ذِكْرًا (۵) عَنْ رَأٍ اَوْ نُذْرًا (۶)
اِنَّمَا وَعْدٌ وَّ نَوَاقِعٌ (۷) فَاِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (۸) وَاِذَا السَّمَاءُ
فُرِجَتْ (۹) وَاِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ (۱۰) وَاِذَا الرَّسْلُ لُقِیْتُ (۱۱)
لَا اِیَّ یَوْمٍ اُجِلْتُ (۱۲) یَوْمِ الْفَصْلِ (۱۳) وَاِذَا رَاٰكَ مَا یَوْمُ
الْفَصْلِ (۱۴) وَاِذَا یَوْمَ مَعْدِنِ الْمَلٰٓئِكَةِ بَیْنَ (۱۵)

(۱) جملۃ الکلام فی عمود السورۃ و نظمہا بالسالقۃ

(۱)

اعلم ان عمود ہذہ السورۃ مثل انوارہا الی وضعت فی اواخر القرآن ہی اصول الدعویۃ
الاولی دہی ثلثۃ امور: الاول انہ یریوم القیامۃ و انتمتع بد تعالی و الاحسان الی الخلق و
الاول اصل للایمان بالقرآن فان اول تجلیہ کونہ ابناء بالعدل و الجزاء و الائنہ یریوم عظیم
و الثانی اصل للصلوۃ و التوحید و الثالث اصل للشراعیع کلہا ہذہ الامور مبسوطة
فی موضعہا فبحسب ذلک صرف الکلام فی ہذہ السورۃ علی انہا کما قال تعالی [و لقد

صرفنا في هذه القرآن ليزكروا [فعلى هذا بين من هذا العود العام لبعض الجوانب في بعضها
وبعضها في الأخرى ونحيطهم فيها من جهتي الفكر والحس وجانبى العقل والقلب ولذلك
يجمع الأدلة بالترغيب والترهيب على انحاء شتى كما هو مقتضى البلاغة وعلى هذا كما ذكرنا
المعاد والقرآن والصلوة في السورة السابقة ذكر ذلك في هذه ايضا ولكن ما جلد هناك
مما جلد هنا مفصلا. ففي السابقة اوجز الاستدلال على المعاد فبسط في هذه وهناك في تفتت
المعاد بسط جانب الترغيب فهنا بسط جانب الترهيب وذلك رعاية لاحقاق الانذار
بالبشيرة كما قال تعالى [وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين] وهذه جملة الكلام و
يتضح ما ذكرنا من النظر في السورتين والتدبر في نظمها.

(٢) مقدمة في مواقع ترجيعها بقوله تعالى [ويل يومئذ للمكذبين]

اعلم ان هذه السورة من ذوات الترجيع فانك ترى فيها آية [ويل يومئذ للمكذبين]
قد جاءت عشر مرات وقد سبق في تفسير سورة الرحمن ما يتعلق بهذه الاسلوب
فلا يفيد غير امر واحد وهو ان من حسن الترجيع مناسبة ما قبله من الذكر ولذلك
لا بد ان يكون جامعاً لوجوه من المعاني فعلى هذا تجد هذه الآية مناسبة بما قبلها بوجه تخص
بموقعها لما فيها من الوجوه الكثير وذلك من جهة اسلوبها ومن جهة كلماتها الثلاث
فقد ذكرها ما تشتمل من الوجوه :-

(الف) اما اسلوبها فيحمل الانذار والآخبار والاخبار اما لبيان ثبوت الويل لهم كما جاء
في كثير من الآيات مثلاً [ويل لهم ما كتبت ايديهم وويل لهم ما مكسبون] اولبيان قولهم
في ذلك اليوم كما جاء في القرآن [قالوا لو لم نكن نؤمن بالله الايمان] ايضا [قالوا لو لم نكن
من اهلنا من مرقنا] وذكر الويل يدل على كثرة اسبابه على ما يدل الثبوت وعلى
كثرة مواقع على ما يدل تكلمهم بها كما بين ذلك حيث جاء [واذا القوا منها مكانا ضيقا

مقرنين دعوا هنالك ثورا . لاتدعوا اليوم ثورا واحدا وادعوا ثورا كثيرا . [فهذا جامع لكثرة اسباب الويل وكثرة التكلم به .

(ب) اما كلمة ويل فهي تجمع كلها يكون سببا للويل ما يصيبهم من الخزن والحسرة و
الفرح وما أعد لهم من العقاب و ربما يصرح بما يكون سببا للويل كما في قوله تعالى [ويل
للكافرين من عذاب شديد] ايضا [فويل لهم ما كتبت ايديهم وويل لهم ما يكسبون] ايضا
[فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون] وبالجملة فكل كلمة الويل ليست مختصة بامر خاص
وقد سبق ما يبين كثرتها لكثرة اسبابها .

(ج) اما كلمة يومئذ فهي اشارة الى كل ما سبق ذكره فان معناها يوم يكون كذا انقضى
معناها حسب موقعها .

(د) اما اسم المكذبين فهو جامع للتكذيب بالعبث وآيات التوحيد وذلك
هو الاصل و ايضا للتكذيب بالرسول وكتاب الله وذلك تفصيل للاصل وقد صرح
القرآن بهذه الوجوه كلها وبين ايضا ان المكذب بالاصل لابد ان يكذب بما ينطق
على تفصيله كما قال تعالى [واذ اقرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا و جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه و في آذانهم وقرا ، واذ
ذكرت ربك في القرآن وحده ولولا على ادبارهم نفورا] فبين انهم اذ كذبوا
بتقاء الله وتوحيده ثقل عليهم سمع ما يدعوهم اليها وهذا مبسوط في موضعه . وعلى هذا فآية الويل
تلمع بحسب الظاهر الى المكذبين بيوم القيامة ولكن خاتمة السورة تكشف عن وجهها
الاخر وهو التكذيب بهذا القرآن ، لان فرق بينهما في حقيقة الامر غير الاجمال والتفصيل . هذا
فلما كان في آية الترجيع هذه الوجوه من المعاني لابد ان يكون تأويلها حسب موقعها . هذا
واما وجوه تأويلها حسب كل موقع فادخرنا بالمواقفها .

تفسير الكلم وتاويل بعض الجمل في آيات (١-١٥)

[وَالْمُزْمَلَتِ عَرَفًا] ارسل الشئ ضد اسكه والرياح اذا سكنت فكما انها مسكة فاذا جرت فكما انها ارسلت قال تعالى [وارسلنا الرياح لولا تح [والعرف ناصية الفرس كما هو معروف قال امرء القيس

نفس باعرا ف ابياد اكفنا اذا نحن تمنعن شوا وضهب

فهنا شبه الرياح بالافراس وشبه اسكانها واجرائها باخذ ناصية الفرس وارسالها ودل بذلك على انها تجري بامر ربها فهو الكها وصرفها قال تعالى [وامن دابة الا هو آخذ بناصيتها] ارسل الرياح يكون للقع والضرر كلها وقد جاء في القرآن ليس في محض الارسال دلالة على الشدة فلذلك عطف عليه العاصفات بالفاء .

[فَالْعَصْفُ عَصْفًا] اي بعد الارسال تشبهه بهذا يكون كثيرا للضرر قال تعالى [حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرعوا بها جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان الآية]

[وَالنَّشِيطَاتِ لُشُرًا] نشره بسطه ونشه وانثاره وانثته وهذه معان متقاربة قال تعالى [واذا الصحف نشرت] وايضا [وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قطوا وينشر رحمته] وايضا [وجعل النهار نشورا] فان نشرات ههنا الرياح لجمعها وجوها من النشر فانها تثير السحاب وتبسط في السماء وتنشر رحمته الرب وتنبت النبات ولا يخفى ان هذا وصف مستقل غير متعاقب للصحف فعمله بالواو

[فَالْفَرْقَتِ فَرَقًا] اي الرياح تفرق وتميز فاتي بالمطر مرة وتذهب بالسحب اخرى وتتفع توما وتفرقوما كما بنا ذلك في تفسير سورة الذر ميت تحت قوله تعالى [فالمقمت امرا] واذا يكون هذا الفرق بعد فعل النشر عطفه بالفاء .

[فالملقيت ذكرا] قد ذكر القرآن كثيرا ان في تصريف الرياح آية وذكر

فلاجل السبب نسب اليها الفعل وبذا كثير مثلاً نسب فعل الاضلال الى الاضنام في دعا البرهم
[داجنبي وبني ان نعب الاضنام . رب انهن اضلن كثيرا من الناس] فبعد ذكر تصف
الرياح بنه على كونها ما يذكر قدرة الرب وحكمه بالحق .

[عَنْ اَوْفْدُ مَرَّأ] اى هذا القا والذكر من الله تعالى بسبب تصريف الرياح انما هو
ليكون عذرا دحجة على الغافلين وانه ان الله تذكير وكله اذ للتوزيع ويشبه ذلك
ما ذكر الله تعالى عن قول المصلحين من عباده [واذ قالت امه منهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا . قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتيقون .] اى معذرة منا
في حق من لا يتنظروا نفاة في حق من يتقي .

[اِنَّمَا قَوْلُ عِدْوَنَ] يميم كما وعدوا من محي القيامة والبعث والفصل والجزء كما
صرح به في الظاهر وكل ذلك امر واحد ذكرها مجلا .

[طُمِسْتُ] طمس الشئ محاه وعطى على آثاره مثلاً [من قبل ان نطس وجوها او نردا
على ادبارها] ايضا [ربنا اطمس على امواتهم]

[وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ] كما في قوله تعالى [وفجرت السماء فكانت اجزاء]

ايضا [واذ السماء انفطرت] فالعنى ان السماء التي ترونها الآن محلة لافرجة فيها و
لا فطور كما جاء [وما لها من فردج] ايضا [فارجع البصر هل ترى من فطور] فبذله السماء
مع احكام خلقها تنفرج وتنظر ذلك اليوم بامر خالقه .

[وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِفَاتٍ] نفسه كسره وفرقه ودقه ونفضه ومنه المنساف لالة

تكسرها الخطة وتنقص من النصف . قال تعالى اجبا راعن قول موسى [وانظر الى

الهلك الذي ظلت عليه عاكفا لخرقته ثم لنفسه في اليم نسفا] وقال تعالى [ويطونك

عن الجبال فقل فينهار ربي نسفا . فيذرها قاعا صاففا]

[أَقْتَتَ] مبدل من وقت كاجوه من وجوه والتوقيت تقيين الوقت والمضي

آیت لهم الوقت و هذا الاسلوب کثیر كما تقول البني خادما و ارسلني فرسا اى البغى الى خادما
و ارسل الى فرسا اى اذا جئ للرسول و تاسعنا فيسألون عن استهم و يقضى عليهم شهابهم
كما صرح به القرآن فى مواضع .

[اُجِلْتُ] اَجَلٌ لضرب له اجلا و زمانا مينا كما فى قوله تعالى [وبلغنا اجلنا الذى اجلت
لنا] فتاويل اجلت اما كما ذكرنا فى وقت او اجلت الا جال و لا فرق بين التاويلين
من جهة المفهوم .

[وَمَا اَدْرَاكَ] اى عظيم فان هذا الاستفهام ربما ياتى لمحض التفتيم فيستغنى عن الجواب
كما فى قوله تعالى [الحاقة . ما الحاقة . وما ادرك ما الحاقة . كذبت ثمود و عاد بالقارعة]
[وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] قد مر وجه هذه الآفة ذكر ما يناسب هذه الموضع و اما هنا
فاعلم انها ليست بجزء لقوله تعالى [و اذا النجوم طمست] الى آخره فان نظائر ما استقده
مع اتصال معنوى و لائن الجزاء فى نظائر هذه الشرط يكون مصدرا بالفاء الا ان يكون
جملة فعلية او ظرفية مثلا قوله تعالى [فاذا انقرض النور فذلك يومئذ يوم عسير] ايضا [يوم
تبور السماء و تور الكمال سيرا فويل يومئذ للمكذبين] و لانك تجد الجزاء
محدوفا فى نظير هذه الشرط مثلا [اذا السماء انشقت و اذنت لربها و حققت
واذ الارض مدت و اقلت ما فيها و تخلت و اذنت لربها و حققت . يا ايها
الان انك كما دح الآية] فخذ الجزاء لكونه مفهوما من سياق الكلام .

(٣٨) (بيان وجه الاستشهاد بالرياح و نظم هذه الآيات و موقعها)

قد بينا فى كتاب الامعان ان هذه الاقسام شهادات و آيات و آيات و آيات
على المقسم عليه فاشهد الرياح المرسلات العاصفات و النشرات السحب
التي تهب من بين آثاراها فارغها مملوطة و ارض

غير مطورة وقوم مصاب بالنفع وقوم بالضرر من المطر والاعصار والصاعقة والبرد
وذلك يدل على تصرف الرب تعالى اياها حسب مشيئته فانه مع ما جعلها لشي
بين يدي رحمة ربها يهلك بها امته ظالمة وربما يخفي بها امته صالحة وربما يسكنها
وربما يرسلها وقد بينا ذلك في تفسير سورة الذريرت وصرح القرآن بهذه
الامور في غير موضع فلما حجة بيننا الى ايراد الآيات الشاهدة فعلى هذا الاصل استدلل
على يوم الدين بما يظهر من دينية الرب تعالى في الدنيا من تصرف الرياح للراحة
والنقمة والمنافع والمضار فدل على ربوبية وقدرته وحكمته وتدبيره فظهر انه ينعم
على عباده ويعذبهم وليس بغافل عنهم فلا بد ان يدينهم يوم حسب اعمالهم - وهذا
هو اصل الاستدلال على الدينونة ثم لما كانوا من شدة غفلتهم ينكرون يوم الدين
من جهتين: من جهة كونه عجبيا ومن جهة تأخره فانه قد وعدوا به ولما ياتهم فنجس ثقتين
الشبهتين اجري الكلام بهننا. فاما الشبهة الاولى فانه اجاب بان ذكر من امر يوم
القيامة ما هو مشاهد بفعل الرياح فانها تطفئ على الاعلام وآثار الديار وتفرج
السحب ورنات شدة فتخرق البيوت وتذهب بالسقوف وربما تهدم القصور المشيدة
وتحطم وتنتف اجزاء فمن يعتبر بصاريف الريح لا يستبعد ان ياتي امر الله
فيطس النجوم ويفرج السماء وينسف الجبال فنجعل الله افعال الرياح آية على ذلك
واما الشبهة الثانية وهي منظم ما تمسكون به وقد اجاب عنه كثيرا وبوجه مثلا قوله تعالى
[ولو يؤخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل
مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا] واما بهنا فذكر انه يوم
افضل فمن رحمة ان اهلهم برهته واكثرهم من النصيحة والعبرة ليتم الحجة على الغافل
وليخفى من ينتفع بالذرفا انه اذا جاء يوم الفصل لا يقبل من المجرمين العافلين قوبة
ولا يسمع منهم عذر ولا تبقى لهم حيلة تجيهم من الانتقام والبطش الشديدة والعدل التام

أَلَمْ تَهْلِكْ أَلَا قَوْلَيْنِ (١٧) ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٤) كَذَلِكَ
 فَعَلَ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَلَئِنْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ
 مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ
 مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ (٢٣) وَلَئِنْ يَوْمَئِذٍ
 لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نُجْعَلِ الْأَرْضَ كِهَاتَا (٢٥) أَحْيَاءَ
 وَآمُوتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رِجًا وَآسِيًا شَجَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ
 مَاءً قَرَارًا (٢٧) وَلَئِنْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)

كما صرح به فيما يأتي من بعد فنظم أولا امر هذا يوم الفصل والحساب ثم نبه على شناعة امر
 من يكذب بمجئيه اذ لا يخافون ما هوأت وان أحرز الى اجل متى توقع آية (١٥) ايل
 يومئذ للمكذبين [بعد ذكر يوم الفصل ويوم الجزاء، موقع كلام جامع يشمل كلما توقع
 عليهم في ذلك اليوم وقد ذكر بعد ذلك اسباب الويل ودجبه كاسياتيك فبعد
 كل ترجع يتضح طرف خاص من معناه الجامع. هذا وبعد ما استدل عليهم بما سور
 الفطرة العامة عمدا الى الاستدلال بالوقائع الماضية والآثار الدالة وسنن الله المجارية
 عليهم كما هو كثير في القرآن فقال عز من قائل حكيم:-

(٥) (تفسير الكلم وما ويل الكل في آيات (١٤-٢٨))

[مُهَيِّنٍ] [الهيئة عدم الاعتناء، مهنت الابل طليتها عن الصدر ومنه الابتذال والتحقرة
 امتهنت الشيء ابتذله والرجل اضعفته ومنه المماهين النخاوم ومنه المهنته الخدمه
 منه خدمه. قال تعالى {ولا تطع كل حلاف مهين} [اسى من هو مبتذل النفس

ایضا اخبار اعرن قول فرعون حین استخف موسی علیہ السلام [ام انا خیر من هذا الذی
ہو ہمین ولا ینکادین] .

[قَابِر] القرار ہوا سکون و ایضا موضع القرار قال تعالیٰ [وان الآخرة ہے
دار القرار] ای دار السکون وقال تعالیٰ [اتن حل الارض قرارا] ای
موضع القرار ایضا [یصلونها و یس القرار] و منه القرار للستقر المطمئن من الارض
قال تعالیٰ [و آدینھا الی ربوة ذات قرار و معین]

[مکین] مطمئن و یوصف بہ الموضع فیدل علی انه خال عن التعلق و التزعزع کا ہو
ہیسا و ربما یوصف بہ ذو و العتول فیدل علی کونہم ذوی الشقة و الاعتماد و ذوی
الرسوخ فی المرتبة کا قال تعالیٰ [عند ذی العرش مکین . مطاع ثم امین] و کا
اخر عن قول ملک مصر یوسف علیہ السلام [انک الیوم لدینا مکین امین] .
[قدس] قَدَرُ الشیء مبلد و مقداره قال تعالیٰ [انما کل شیء خلقہ بقدر] ایضا [و
ان من شیء الا عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم] و کذلک المعنی بسکون
الدال قال تعالیٰ [قد جعل اللہ لکل شیء قدرا] و ایضا [و کان امر اللہ قدرا مقدورا]

[معلوم] معین و قدر مرث ہ آفا . فان ما لم یعیین فقد ابہم و لم یعلم
[قدسنا] من القدر بمعنی التقدير و قدر مرث ہ آفا و ایضا من القدرة و ہذا کثیر .
ہیسا کا الوجہین سائغ و الخلق یدل علیہا و کل نظر فی القرآن .

[کھانا] من کفۃ ضمد و جمعہ و فی الحدیث «اکفتوا صبیانکم باللیل» و منه کفۃ عن وجہ
صرفہ و منه الکفۃ بالکسر للقدرة الصغیرۃ و الفعل ما یفعل بہ کالزام و لذلک صار
فی قوۃ الفاعل فصیح و قوۃ المفعول بعده .

[ارواسی تمخت] ای جبال الارسیات الاصول عالیات الفروع و
لدلالة الصفة علی الموصوف استغنی عن ذکرہ کا ہوشائغ فی العربیۃ و کثیر فی القرآن

[فرا تا] الفرات هو الماء التام اكلاوة قال تعالى [وهو الذي مرج البحرين هذا
عذب فُرات و هذا ملح اجاج] وقال تعالى [وما يستوى البحران بهذا عذب
فرات سائغ شراب و هذا ملح اجاج] ومنه سمي نهر الكوفة فراتا.

(۶) (تفسير الآيات السابقة ووجه دلالتها على المعاد و نظامها)

لا يخفى ان في هذه الجملة ثلاث ترجعات بعد ثلاث خطابات كلها مصدرة باستفهام
اقرارى فانهم خطبوا بما علوه ثم بكل من هذه الخطابات دل على المعاد بوجه خاص
فدل اولها بالآثار الباقية في الارض وثانها بخلق الانسان وتصويره في بطون
امماتهم وثالثها بجعل الارض لهم مثل الارحام وتفصيل في الاجمال ان الخطاب
الاو دل نذكرهم بما هو المشهود لهم من آثار المجرمين فانهم قد علوا ان الله تعالى
ابك بعض الامم مثل عاد وقوم لوط بالريح. ولما قدم الاستشهاد بالريح و
بذلك انذرهم بما عين لهم من آثار العذاب على المكذبين المجرمين من اهل القرى
المهلكة خو لهم فاكفى بقوله [ألم نهلك الاولين - الى قوله - كذلك نفعل بالمجرمين]
عن ذكر الآثار الدالة على جزائهم وقد فصل في القرآن هذا الدليل في مواضع
مثلا قوله تعالى في قصة عاد [فلما رآه عارض مستقبلا او ديتهم قالوا هذا عارض
مطرنا بل هو ما استعجلتم به ، ريثح فيها عذاب اليم ثم مر كل شئ بامر ربنا فاحصوا
لا يرى الا مسكنهم ، كذلك نجزي القوم المجرمين . ولقد كنكم نياما ان كنتم في] - الى قوله
[ولقد اهلكنا ما حكم من القرى ، وصرنا الايت لعلمهم يرجون .] فبالخطاب الاول
كان قيل لهم لقد اهلكنا المجرمين الاولين وهذه سنقتنا الكبارية فاهلكت امم مجرمة
بعضها بعد بعض وقد علمتوه وسمعوه فهكذا تكون في الآخرة وبذلك دل على وقوع
يوم الفصل فاغنى عن ذكره واتبعة قوله [ويل يومئذ للكذبين] تنبيها على ما يفعل

بالجبر من فان الاول جامع لكما يقع عليهم من العذاب و متوقع الآتيه هيناً يدل على كون
 الكذب يوم الفصل جراً عظيماً فانه كفر بعبد الرب و قدرته و رحمته ثم هو منبع لكل
 اثم و شرک و استكبار عن الايمان بآيات الله و كتبه و رسده و قد صرح بهذه الامور
 كلها في غير موضع و الخطاب الثاني تقييد ما في الارض ما في انفسهم كما قال تعالى [و
 في الارض آيات للمؤمنين . و في انفسكم افلا تبصرون .] و باذكري في هذا الخطاب نهيم على
 ان الله الذي قدر جزئيات خلقكم كيف تترك ما هو الكلي و اجم و ايضا دل على انه تعالى
 اذ قدر على خلقكم و تصويركم اولاً فهو اشد قدرة على بعثكم مرة اخرى كما قال تعالى [و يقول
 الانسان اذا مات لسوف اخرج حياً . او لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل و
 لم يك شيئا] و من كلا الوجهين دل على وقوع يوم الفصل فاغنى عن ذكره ثم اتبعه قوله
 [ويل يومئذ للمكذبين] تنبيها على ستم الاول لهؤلاء الذين كذبوا بالقدرة اذ القدرة فاذا ابط
 ظهر و عليهم اذا شابهوا ما كذبوا به كما قال تعالى [فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون .]
 و قالوا يولينا هذا يوم الدين . هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون .] و الخطاب
 الثالث يضم المثل بالمثل فان الارض كما هي تشتمل على الآثار الدالة على المعاد
 كما هي فما ذكرنا من قصته عاد و ذلك في غاية الظهور و قد جاء في القرآن كثير اقل ذلك
 هي مشابهة بالارحام بل هي اولي منها في الصفات المشتركة بينها و قد دل على
 ذلك ايضا بقوله [كفائا احياء و امواتا] فهذا اجمع . و بيان هذا الاجمال ان الله
 بما جعل في الارض من الجبال و جبلها راسية فجعل بها الارض قرارا لكيما كما قال تعالى
 [و التي في الارض رواسي ان تميد بكم] ثم جعلها شامخات فحفظ بها السحب و
 خزن فيها الماء و فجر منها ينابيع و قد صرح القرآن بهذه الامور و بالجملة فاجري للامان
 من رواسيها و لصاحبها و عودتها ما فراتنا بهذا لك جعل له الارض كالرحم الذي هو
 القرار المكين له كما قال تعالى [فجعلنا في قرار مكين] و يستقي فيه من عروق يجري

منها الیه غذاؤه و لکن الارض اجمع و اتم فی هذه الامور کما فی کمالهم بجمیعهم ثم اذا مات
 الانسان و دفن فیها نکانه وضع فی رحم امه التي ولدته کما قال تعالی [منها خلقنکم
 و فیها نعیدکم و منها نخرجکم تارة اخرى] و الاخراج مرة اخرى لیست باكثر
 عجا من الاول فکیف یکذبون به فلو اعتبروا بامر الارض و محياهم و مماتهم فیها
 لم یکنهم الا سکارا لبعث بل علما انهم اذا ولدوا و انکما انهم حلوا و اذا ماتوا انقذ
 و ضوا ثم من جهة اخرى اذا ماتوا انقذ جلت بهم الارض فلا بد من یوم نخاصها
 و وضعها ما ثقلت به کما قال تعالی [اذا زلزلت الارض زلزالها و
 و اخرجت الارض اثقالها] و حقیقة هذه الکلام هی الاستدلال علی المعادن
 جهة الربوبية و الاحاطة بهم احياء و امواتا . هذا و اذ دل علی یوم الفصل استغنی
 عن ذکره ثم اتبعه قوله [دلیل یومئذ للکذ بین] فدل بموقعه علی تتمم الدلیل لمن
 کذب بالربوبية و الاحاطة فاذا حشر و اجمعوا الی ربهم تبین و یلهم بما کذبوا کما قال تعالی
 [و نفتح فی الصور فاذا هم من الاجداث الی ربهم ینسلون . قالوا یوینا من بیننا
 من مرقدنا هذا ما عد الرحمن و صدق المرسلون] هذا . و من اسلوب
 البلاغة جعل الغائب حاضرا مشهودا فبعد ما ذکر من الدلائل علی یوم الفصل
 خاطبهم بکلام یناسب مشهده کأن ذلک الیوم قد حضر و کانهم قد حشروا الی ربهم
 و قد صاروا ینظرون ما کانوا یکذبون به فقال عز من قائل حکیم :-

انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْتُمُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي
 ثُلُثِ شَعْبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ (٣١)
 اخْتَأَسُّ مِثْلِي بَثْرًا كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جُمُتْ صَفْرًا (٣٣) وَإِلَّ
 يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذِنُ
 لَهُمْ فِعْعِدَ رُؤُونِ (٣٦) وَإِلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا
 يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَكُمْ وَأَوَّلَيْنِ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ
 فَكِيدُوا (٣٩) وَإِلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)

(٤) (تفسير الكهم وما ديل اهل في آيات (٢٩-٣٠))

[ظل ذي ثلث شعب] اي ظل من الدخان فان الدخان اذا علا من نار
 غليظة شديدة اللهب انشعب كالشعلة واسطر كما نطقت وسياتيكم ما ديل ذلك.
 [لا ظليل الآية] اي خال من برد انظر كما بينه بقوله [ولا يغني من اللهب]
 وكما قال تعالى [وظل من يحوم لابلارد ولا كريم] وموقع النفى ازالة ما يوههم
 من لفظ الظل.

[اخفا] اي اللهب التي وراء ذلك الظل.

[كالقصر] القراءة المشهورة الباقية الجارية على الاسن انما هي يسكون
 الصاد فلا يلتفت الى ما نسب الى ابن عباس من ان المراد به اعناق
 الابل على انه جمع القصرة بمعنى اصل الفسق. ثم الفاصلة التي لا تواتر.
 ثم اصل الفسق موضع وليس بعضو مستقل فتشبه به الشرر. وكذلك لا يلتفت

الى قول من زعم انه جمع قصرة لاصول الشجر العظام فان التشبيه التالى لا يواتيه
ثم هما كلمتان غريبتان عن لسان القرآن ولا قرينة بهما واما لفظ القصر فقد جاء فى القرآن
غير مرة فالتدليل الظاهر هو الصحيح وهو الذى روى عن ابن مسعود انه دخل على ابي القاسم
انما هو فى عظم الشجر وعلو مكانه وتكونه فان القصور تبنى على الموضع العاليه وترى
من البعد لامعة مخالفة للون ما تحتها وليس المراد بالتشبيه عظم القصر كما هو بل هما
تيراوى من البعد فان العرب استعملوه مشبها ومشبها به بحسب ما ذكرنا كما قال
عمرو بن كلثوم

واعرضت اليمامة واشمخت كاسيا فبايدى مصلتين

ولذلك كانوا يشبهون الناقة بالقصر والجسر وهذه كثيرة فلا حاجة الى الشواهد والتشبيه
بجملة صفر بعد ذلك يبين ما ذكرنا .

[كَانَ هَاجِلَتْ صُفْرُ] الضمير راجع الى الشرر بحسب اللفظ فان الشرر اسم
الصفى فيستوى فيه المذكور والمؤنث والواحد والكثير والمراد بهما الكثير كما دل
عليه تشبيهه بالجمالة والجمالة هى جماعة ابل المذكورة وهذا التشبيه يصور لون الشرر و
وعظمه معا وانما وصف بالصفرة لكونه يرى وراء الدخان .

(٨) (لامة من قوله تعالى [ظل ذى ثلث شعب])

اعلم ان قوله تعالى [ظل ذى ثلث شعب] يصور جهنم مقبلة اليهم بشعب وغانها
مثل ذوات العقول وقد جاء فى القرآن تصويرها بهذا مثلا فى قوله تعالى [واعتدنا لمن
كذب باساعة سعيه . اذ ارأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها تفيفا وزفيرا] وادفع
من ذلك قوله تعالى [يوم نقول لجهنم بل امتلئت و تقول بل من مزيد] ومنه قوله تعالى
[انها ظلى نزاعة للشوى . تدعو من ادبر وتولى] والظاهر من [ثلث شعب]

شدة دهبان النار فقط ثم للتدبر مجال في التأويل وذلك ان اصل الكفر ثلاث خصال
 الآحول عن الخالق تعالى وعدم المواساة بالخلق والآثار يوم الدين كما هو مبسوط في
 موضعه فتكتفى ببعض الشواهد مثلاً ما جاء في ذكر سوال اهل الجنة اهل النار [ما سلككم في سقر
 قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين وكنا
 نكذب بيوام الدين .] والمراد بالخوض ههنا هو تكذيب القرآن وكان اصل ذلك
 اجباره عن يوم الدين . ايضا قوله تعالى [اما من اعطى والتقى وصدق بالكفى
 فنيسه لليسرى . واما من نكل واستغنى وكذب بالكفى فنيسه للعلسى] ^١
 فحسب هذه الثلاث من خصائصهم تخرج ثلاث شعب من جهنم . تقبل اليهم وتطل
 عليهم كالنطفة . والله تعالى اعلم . وقد ذكر عن ابن عمر ما يقرب من ذلك . روى عن ابي
 عبد الله الجدي قال - اتيت بيت المقدس فاذا عبادة بن الصامت وعبد الله
 بن عمر وكعب الاحبار يجيدون في بيت المقدس فقال عبادة اذ كان يوم القيامة
 جمع الله الاولين والآخرين بصعيد واحد فيفزعهم البصر ويسمعهم الداعى ويقول الله
 [هذ ايوم الفصل جمعكم والاولين فان كان لكم كيد فليكدون] لا يخرج مني جبار عنيد ولا
 شيطان مرید - فقال عبد الله بن عمر فانا نحدث يومئذ انها تخرج عنق من النار
 فتطلق حتى اذا كانت بين ظهراني الناس نادوت ايها الناس اني بعثت
 الى ثلاثة انا اعرف بهم من الالب بولده ومن الاخ باخيه لا ينبيهم عنى وزر
 ولا يخفيهم عنى خافية الذى جعل مع الله الهاء آخر وكل جبار عنيد وشيطان مرید
 قتلوسى عليهم فتقف بهم في النار قبل الحساب باربعين سنة اخرجه ابن
 ابي حاتم . اقول لعل ما ذكر من ثلاث فرق اخذه من قوله تعالى [القياني
 جهنم كل كفار عنيد . مناع للغير مقتد مرید . الذى جعل مع الله الهاء اخر فاليق في العدا
 الشديد] والتامل فيه يبين الصفات التى ذكرنا اى قدم المواساة بالخلق

والانكار بالآخرة والذبول عن الرب تعالى فان الشك من ذلك الباب.

(٩) (النظر في مجموع هذه الآيات ونظمها ومواقع ترجيعها)

قد سبق ان هذا الخطاب جاء على اسلوب يحيل الغائب مشهودا وانه اعظم
تأثيرا في القلوب ولما كان المقصود ذلك التأثير صوره بجملا كحاشية و
بذلك صور لهم الويل الذي يكون لهم فرج بآية الويل ودل موقعها على مفهومها
الخاص بهذا الموضع وهو ان لهم ديل عظيم من شدة العذاب العنيد لهم. ثم
بعد تصوير المحسوس من شدة ذلك اليوم ذكر ما هو المدرك بقلوبهم وهو فوات
الاعتدال والاعتذار وهذا مزيد على شدة ما رآه فرج بآية الويل ودل موقعها
على مفهومها الخاص بهذا الموضع وهو انه لا يبقى لهم في ذلك اليوم غير الويل المحض
والحسرة وانقطاع الرجاء من كل عذر ثم بعد ذكر هذه الترهيبات خاطبهم على سبيل
البنكية والافحام والجواب لانكارهم في الدنيا وذلك كما جاء في قوله تعالى [هذه
النار التي كنتم بها تكذبون. افسحروا ام انتم لا تبصرون.] وفي هذا الخطاب ذكر ستة مجاميع
الاولين والآخرين وخاطبهم مرة اخرى باسلوب يقيم الغائب بين ايدي الخاطبين و
بين فوات كل حيلة وهذه ستة المعنوية. وكما ذكر فيما سبق فوات الاعتذار وذكر ههنا فوات
كل كيد وتدبير وقوة وبذلك اشار الى كونهم متعثرين بحيلهم وتدبيرهم فكأن قيل لهم بل
تستعملون تلك الحيلة ثم بعد ذلك رجح بآية الويل فدل موقعها على مفهومها الخاص بهذا
الموضع وهو انه لا يكون لهم يومئذ حيلة ولا كيد بل يكون لهم ديل وصفا وخزي وشار. وهذا
ولما كان من سنة القرآن واسلوبه الخاص جمع الترغيب والترهيب ورعاية التوسط
بين الشدة واللين رجح بعد الاربعين من الآيات المتدرة الى ذكر الآيات المبشرة
فقال عز من قائل حكيم -

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ قَٰعٍ مُّجْمُوعٍ (۴۱) وَفَوَٰكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ (۴۲)
 كَلَّوْا وَاشْتَبَسُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۴۳) إِنَّا كُنَّا لَكَ نُجْجِي
 الْمُحْسِنِينَ (۴۴) وَثَلْثَ يَوْمٍ مِّنَ اللَّيْلِ يَبِينُ (۴۵) كَلَّوْا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا
 إِنَّا كُنْتُمْ مُّجْرِمُونَ (۴۶) وَثَلْثَ يَوْمٍ مِّنَ اللَّيْلِ يَبِينُ (۴۷) وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (۴۸) وَثَلْثَ يَوْمٍ مِّنَ
 اللَّيْلِ يَبِينُ (۴۹) فَبَآئِيَ حَدِيثٍ بِهَدَنٍ

يَوْمُنُونَ (۵۰)

(۱۰) (تفسیر الکلم و تاویل اہل فی آیات (۴۱-۵۰))

[فِي ظِلِّ] ای بین ذلک کا جاو کثیرا مثلاً [و اصحب الیمین ما اصحب الیمین] نے
 سدر منضود . و طلح منضود . و ظل ممدود . و ما و سکوب . و ناکتہ کثیرہ . لا مقطوعہ و لا

منصوبہ ، و فرش مرفوعہ . و المراد بہ ذکر ما ہم مخوفون بہ کا قال برج بن مسہر الطائی

فتبنا بین ذاک و بین سک نیا عجا عیش لوید دم

[هَنِيئًا] حال من المفعول المفہوم من الفعل المتقدم کا يدل علیہ قولہ تعالیٰ [تَمَتَّعُوا هَنِيئًا]

مریا [و لو کان مصدر اجعلناہ مفعولا مطلقا و وقوع الحال عن ذی حال مفہوم سائغ مثلاً

قولهہم را شد اہدیہ بالمسافر۔

[وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا] اذ اکثر ما تجب للاستقبال . و قد جاء فی القرآن ان الناس

اذا احشروا دعوا للجدد لربہم فالذین لم یسجدوا شد فی الدنیا لم یتطیعوہ ذلک الیوم

کما قال تعالیٰ [یوم یکشف عن ساق و ید عون الی السجود فطایست تطیعون] ناشتہ البصایم

ترتیبهم ذلک وقد کانوا یدعون الی السجود و ہم سالمون [و علی هذا یكون التویل انہم لایكونون
یوم الفصل و کذا ردی عن ابن عباس و ایضا کلمۃ اذا تکن ل بیان العادۃ و علی هذا
یكون التویل انہم لایكونون فی الدنیا و حیثہ یفہم من آیۃ [ویل یومئذ للکذبین] انہم اذا
لم یرکعوا فی الدنیا لایستطیعونہ یوم الفصل و حیثہ یفہم من جمہم و ہذا سبب دلیہم فقال
التویلین واحد .

[بعدہ] ای بعد ہذا الحدیث الذی یدکرہم المعاد و یدعوہم الی ربہم بادخ القول
و ابلغ الحجۃ . کما قال تعالیٰ [نبای حدیث بعد اللہ و آیۃ یومنون] ای بعد
حدیث اللہ و ما اوضح ہم من الآیات : و ہذا اذ وفق بقولہ [نبای حدیث]
ای ای حدیث یكون اوضح و ابلغ فی النفوس فیسوی منوابہ ان لم یومنوا بہذا
الحدیث . و اما القول بان المراد بہ بعد ذلک الیوم فاحتمال ضعیف . فانہم
لا یومنون فی ذلک الیوم کما ہو ظاہر و کما قال تعالیٰ [اذا دقت اللوآقۃ
لیس لوقتہا کاذب] و لو کان ذلک ہو المراد لقیل فلامی لفع بعدہ یومنون فان
استدل بقولہ تعالیٰ [و ان عسی ان یكون قد اقترب اجلہم نبای حدیث
بعدہ یومنون] ای بعد مجی اجلہم قلنا ان ہہنا ذکر الاجل صریح و متصل فیسوغ
رجع الضمیر الیہ حسب الظاہر و لکنہ غیر لازم فان سیاق الکلام الی تشنیع
الکذبین بکتاب اللہ و آیاتہ و رسدہ کما یظہر من النظر فی آیات الاستدلال
ہکذا فہم السلف قال ابن جریر " و قولہ نبای حدیث بعدہ یومنون یقول نبای
تخلیف و تحذیر و ترمیب بعد تحذیر محمد صلی اللہ علیہ وسلم و تربیہ الذی اتاہم
بہ من عند اللہ نبای کتاب یرصدون ان لم یرصدوا بہذا الکتاب " و ہذا قال
آخر دن من المفسرین . فلا استدلال بالاستدلال بہ من النظر .

(۱۱) (تاویل آیات السابقة ونظمها)

قوله تعالى [كلوا واشربوا] تصوير للنائب كما ذكرنا في قوله [انطلقوا] . قوله تعالى
[انما ذلك نجزي المؤمنين] محمل للتأويلين - الاول ان يكون متصلا بامتحان
المتقدم كما قال تعالى بعد ذكر نعيم الآخرة [ان هذا كان لكم جزاء و كان سيكم مشكوا]
وايضا [و تلك الجنة التي اوردتموها بما كنتم تعملون] و الثاني ان يكون التثاقا و
خطابا عاما و لذلك نظائر كثيرة و اكمل على النظائر اقرب . و موقع آية الويل
ههنا المقابلة اي حين يجزي المحسنون بالنعيم كان العذاب للمجرمين . فويل لهم من
نفس العذاب و من حسرتهم على ما فاز به المومنون ، اذ لم يكونوا مثلهم فاصابهم غم
على غم . قوله تعالى [كلوا و تمتوا قليلا انكم مجرمون] التثاق الى الكافرين و جامع
لوجه من البلاغة . فية مقابلة بما ذكر من نعيم المومنين و تهنيتهم و فيه تهديد من عذاب
قريب و فيه تشجيع لغرورهم بالمتاع القليل كمن قضى عليه بعقاب شديد و اهل
قليلا ليمتع بهما و اذلية ما يشتهي من الطعام و الشراب فلا يباله و يكون له
شهي و غصة . و قوله تعالى [انكم مجرمون] دل على يوم الجزاء اي الان كلوا
و تمتوا قليلا فقد قضى عليكم بانكم مجرمون فلا بد من يوم مسئلة و جزاء كما قال تعالى [قل
و تمتوا فان مصيركم الى النار] فحسن موقع آية الويل ههنا و مفادها بيان تحتم الويل
و شدته من الوجهة التي ذكرنا آنفا قوله تعالى [و اذا قيل لهم اركعوا الآية] بيان
لقوله [انكم مجرمون] على كلا التأويلين لقوله [و اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون] فان
من لم يركع يعني انه يناهه ان يركع جرم عظيم . فان اول الفرائض المختوع صدقا
و اكبر الكبائر الاستكبار منه و ذلك لازم التكبیر كما قال تعالى [فلا
صدق ولا صلي و لكن كذب و تولى ثم ذهب الى اهل بيتي ، ادلى لك فاولي .

ثم ادلى لك فادلى [دام على التا ويل الثاني فبانكم مجزون الآن ثم ذكر ان جزمهم
يتبين يوم القيامة اذا دعوهم الى الركوع وعجزوا عنه . ومفاد آية الويل ههنا
بيان كون الويل نتيجة لعدم ركوعهم على كلا التا وطين . وقوله [فباي حديث بعده يؤنون]
خاتمة جامعة لكلام حديثهم به من الدلائل والترغيب والترهيب واسلوب الاستفهام
فيه على علم منزلة هذا الحديث الكامل في التبليغ وعلى فلة الرجا وبأيمانهم وعلى شناعة
تكذيبهم به وموقع الآية يدل على التوديع بعد اتمام الحجته ولهذا الاسلوب نظائر مثلاً قوله
تعالى في آخر سورة الطارق [والسما وذات الارجع ، والارض ذات الصبح ،
انه لقول فصل ، وما هو بالهزل ، انهم يكيدهن كيد ادا كيد كيدا . فهبل الكافرين اهلهم
رويدا] وقوله تعالى في آخر سورة الزخرف [فاصف عنهم وقل سلام نسوف يعطون]
فهكذا ههنا ختم الكلام بما معناه انهم اذ لم يؤمنوا بهذا الحديث فلا يؤنون بحديث
آخر فلتسكت وتبهلهم قليلا . وبهذه الخاتمة قد اوضح طرفا آخر من تاويل
المكذابين وهو انهم هم الذين يكذبون بانزل الله من الحديث
فدل على ان اصل تكذيبهم بالقرآن انما هو تكذيبهم
بيوم الدين وعدم صلواتهم وخشوعهم للرب
وهذا قد صرح به القرآن في مواضع
وقدم بعض الشواهد
في الفصل الثاني
به آخر ما تيسر لنا ذكره في تفسير هذه السورة
والحمد لله رب العالمين
والصلوة على سيدنا
محمد وآله اجمعين

فہرست مصنفات صاحب ہذا الکتاب

۱ جزاء من تفسیر لمسی نظام القرآن

آفات	
تفسیر سورۃ تبت یا الی لب	۴۰
تفسیر سورۃ التحریم	۴۰
تفسیر سورۃ عبس و توئی	۴۰
تفسیر سورۃ القیامہ	۴۰
تفسیر سورۃ الدین	۴۰
تفسیر سورۃ الکفر	۴۰
تفسیر سورۃ العصر	۴۰
تفسیر سورۃ الذریت	۶۰
امعان فی اقسام القرآن	۶۰
الرای الصبح فی من ہوا الذبیح	۱۰
اسباق النخو، سہل طرز پر عربی گرامر بزبان اُردو حصہ اول، حصہ دوم	۶
دیوان حمید بزبان فارسی	۱۲
خردنامہ، ترجمہ اشغال حضرت سلیمان علیہ السلام منظوم بزبان دری	۹
تحفۃ الاعراب، عربی کی نحو جدید، اُردو نظم میں	۲
تطلب من مدرستہ الاصلاح، سہرائے میر، اعظم گڑھ	

تفسير
سورة

من

نظام القرآن

تأويل الفرقان بالفرقان

تأليف

المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعة معارف عظم گڑھ

الهند

لفسائیں سورة عيسى وقول

فہرں مطالب الفصول

- ۱ (۱) جملۃ القول فی عمود السورۃ وموقعہا وربطہا بآئیلہا۔
- ۲ (۲) فی عظیم خلق الانبیاء وعصمتہم وموقع القاب بہم۔
- ۳ (۳) تفسیر الکلم وتاویل الجمل فی آیات (۱-۱۰)۔
- ۵ (۴) موقع تملک الآیات وتصویر قصتها۔
- ۷ (۵) ازادۃ باطل توہمہ فی القسۃ ونی وجہ القاب۔
- ۱۰ (۶) ازادۃ باطل اکبر ما سبق۔
- ۱۱ (۷) نظم الآیات بما یتبہا۔
- ۱۲ (۸) تفسیر الکلم وتاویل الجمل فی آیات (۱۱-۲۲)۔
- ۱۶ (۹) نظم ہذہ الآیات فی نفسها وبالسبق واللاحق۔
- ف (۱۰) توہم الجوہری وغیرہ فی اشتقاق کلمہ آبان۔
- ف (۱۱) البطل ما زعموا من ان سنی الالب لم یکن معلوما کلبا رالصحابۃ۔
- ۱۷ (۱۲) تفسیر الکلم وتاویل الجمل فی آیات (۲۲-۲۳)۔
- ۱۹ (۱۳) نظرۃ فی نظم ما ذکر من اسباب الطعام والمتاع۔
- ۲۱ (۱۴) نظم ہذہ الآیات بالسبق واللاحق۔
- ۲۲ (۱۵) تفسیر الکلم وتاویل الجمل فی آیات (۳۲-۳۳)۔
- ۲۳ (۱۶) نظرۃ فیما دل علیہ نظم السورۃ من الحکمۃ فی ذکر اصناف الخیر والشر۔
- ۲۴ (۱۷) نظرۃ فی نظم جملات السورۃ بما ہما۔

سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّهُ يَنْزِكُنِي (٣) أَوْ يُزَكِّي (٤) فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُنِي (٥) أَمَّا
مَنْ اسْتَغْنَى (٦) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٧) وَمَا عَلَيْكَ
أَلَّا يَنْزِكُنِي (٨) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ لَيْسَ (٩) وَهُوَ مُخْشَى (١٠)
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١١)

(١) (جملة القول في عمود السورة وموقعها ودربطها باقبلها)

لا يخفى ان هذه السورة من النذر وكان الانذار اهم مطالب اول الدعوة و
مع ذلك تتنوع وجوه البيان ففي هذه السورة نبي الكلام على كف النبي عن اصا
الوقت بالذين اصردا على كفرهم وعصيانهم ومن ههنا يعطف وجه المقال الى
تشجيع هؤلاء المصريين والى ذكر الدلائل على شناعة استغنائهم والى ذكر
مال امرهم وعلى طريق المقابلة ذكر الذين هم خلاف هؤلاء لان الشئيتين
بضده ولجميع التهيب والترغيب ولكي يبين للنبي ان الاشتغال باليومين
اقدام وادلى . وقد ختم السورة السابقة بقوله [انما انت منذر من ينشئها] فبين
في هذه السورة انك غير مأمور بالاسحاح على الذين لا ينجثون ولما علم الله ان

النبى عليه الصلوة لغاية راقية لا يكاد يملك نفسه عن الاسحاح اكثر من القرآن من
النبى عنه على طرق شتى . ولما ان القرآن ينظر الوقائع المناسبة لتعليم الامور
فاخذ واقعة الاعمى سببا لصرف النبى عن الاصرار الذى لا يليق بشأنه فاخرج
الكلام مخرج التنبيه والعتاب بحسب الظاهر . والمقصود مما جاء فى القرآن من
الامر بالاعراض عن المنكرين هو زجرهم وتشنيع امرهم وذلك اسلوب من
اتمام الدعوة . ولا تخاف على ما ذكرنا من تاويل هذه السورة عند المتوسم البصير و
لكن زل فيه التعلم من بعض المفسرين عفا الله عنهم كما سيأتى بيانه فى الفصول
الآتية فلنقدم قولا وجيزا فى عظيم خلق الانبياء والوجه الصحيح لما يخاطبون به على اسوة
العتاب .

(٢) (فى عظيم خلق الانبياء وعصمتهم وموقع العتاب بهم)

قد علمنا بصرى العقل والنقل ان الله تعالى يصطفى للرسالة اكرم الناس
واتقاهم كما قال تعالى [والله اعلم حيث يجعل رسالته] وقال فى نبينا [وانك
على خلق عظيم] اذكر ان الخبر الذى جاء فى الصحيحين عن وزن النبى بكفة وجميع الانبياء
بكفة حتى اذا رجمهم اعطى الرسالة مشحونة بعد اصطفاهم يصرفهم الله كيف يشاء
فيمرهم وينهاهم ويعلمهم ما لم يعلموا فكأنهم بين اصبعه ويشنون بين يديه كما قال تعالى
[فانك باعيننا] وقال تعالى [فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا يعلم ان
قد امنوا رسالتهم واحاط بالديهم واحصى كل شى عددا] فهذا بيان لنظره الحكيم
الى رسوله والله تعالى يعصم رسوله عن كل زلزل وتبدل كما قال تعالى [فاذ اجري
فى سميت خطرا لا يهلك الا ريثما تم فرض نبوته ويفزع سجل قوته حسب سنة التد
حكمة فى خلقه فانه يتولى عباده ويخرج ما فى سرهم . وعلى هذا فاذا راى بين يدي

رسول مشرق نبیه و در با نهاده بجهیر الصوت و اسلوب القاب اذا دجید هب
غار زار اسه لکی ینتی و لکی یعلم فطاعة المنی عنه و لکی یتذکر ان لولا الله لعشر فیکثر
و یتذل امامه و یزداد قربا منه و التصاقا به کرضیع تخوفه امه فیلتصق بلبا نهها .
فتبین ما ذکرنا ان الانبیاء متقلبون بین حسنین فان الله تعالی تقاهم عن
اوضار الهوی فلا یجدون الا الی مرضاة الله الا انهم ربما یفیطون فی جانب
فیؤثم ربهم الی حاق العجاة و ذلک لان النبی کالاصل لامة کانهم شقوا من نبذ جلا
علی طبعه و هم مامورون باقتفاء آثاره و اقتباس انواره فادنی افراط منه ازاحة
بجميع الامته . و اما سبب افراطهم فلا یخفی انهم لایعلمون من سریر اللئالی
نهائیة غورها فلا یقطعون الرجاء من اصلاحهم فیا بدون بهم کطیب آس و جمیم
مواس حتی یتبین لهم انهم اعداء الله فخذ یتبرون منهم کما اخبر الله عن ابراهیم (فلما
تبین له انه عدو الذبیر منه ان ابراهیم کلیم اواه منیب) و کذلک ربما یتبع ان
النبی قد قطع الرجاء لما ظهر علیه من تمردهم و مع ذلک فیهم مطع کما وقع یونس
و ذلک بان الله تعالی و صده علیم بان کن الصدور فر ربما یمرهم بالاعراض و الاستغناء
و ربما یشبههم علی المجاہدة بهم و جملة الکلام ان الله تعالی یصرف نبیه کیف
یشاء فثارة یمنع عن رحمة و صنفها غیر موضعها و اخری یشبهه علی الصبر و احتمال الآثام
و العتاب علی الاول و لیل علی کمال رحمة و علی الثانی و لیل علی کمال غیرته فی جنب الله
و هو فی کلمات السحالی تنبری عن هوی النفس و الزینع الباطل .

(۳) (تفسیر الکلم و ما دلیل الجمل فی آیات (۱۰-۱))

(عَبَسَ) کَلَج لکراهیة امر و ینیه (وَقُولِي) اِی اعرض .
(اِنَّ جَاءَ) اِی لان جاءه و هذا ذکر سبب العبوس فان سبب الکراهیة

في ذلك الوقت كان مجيئه لافسه كما ستعلم.

[الأنهي] اتفقوا على انه ابن ام مكتوم - عبر عنه بهذا الوصف للدلالة على ضعفه واجتياحه وعدم اطلاعه على ما كان فيه النبي من الشغل وما كان يقتضي احواله. [وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يَنْكِي] مفعول [ما يدريك] محذوف واتيتم مقامه [لعله يزكي] لدلالة عليه بالمقابلته كما في قوله تعالى [وما يدريك لعل الساعة قريب] اي ما يدريك ان الساعة بعيد فلعلها قريب وكذلك قوله تعالى [وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا] فتاويل الآية - كيف العلم بك انه لم يجز لما يسترك من التزكي او التذكر حتى استحييت من الكفار ان يقولوا انما يتبعه العميان و ضغفاء الناس لسفاهة عقولهم او لما يطعون من محمد لرحمته بهم وكيف نتبعه حتى نكون معهم كما جاء في القرآن كثيرا في ذكر اتوا بهم. وهذا صريح في ان النبي لم يعلم من الاعمى انه جاء للتزكي او التذكر وانما كان سبب الكراهية محض مجيئه الذي كان منطية لما ذكرنا. واما ما روي انه سأل النبي ان يعلم القرآن فتولى عنه فغير ثابت من طريق الرواية فكيف والقرآن صريح في خلافة سياستك بيانه.

قوله [يزكي] اي يظهر من صحبة النبي ودعائه فقبل توبته ويصلح باله.

[يَا كُرَيْشُ] اي يفتق بما يسمع من القرآن وعطى النبي.

[استغفني] اي عن التزكي والتذكرة والالامة والخشية كما دل عليه ما قبله وبعده بالمقابلته فاكتمى به.

[تَصَدَّقْ] اصل تصد من الصد وهو القبال يقال داري بصد داري -

تصدى اي تعرض وهو ضد تولى

[وَمَا عَلَيْكَ الْإِيمَانُ] اي يس عليك باس اوحج اولوم من عدم طلبه للتطهر.

لَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِذْ يَبْسُوقُ بِالْغَيْبِ الْكُنْهِيَّةِ الْمُرَادُ بِهِ الْأَسْرَاحُ بِالْقَوْمِ
لِدَلَالَةِ الْمَوْقِعِ وَكَمَا يَنْبَغِي قَوْلُهُ [دَهْوَ خَشْيَ] وَهَذَا شَيْءٌ مِمَّا مَرِنِي قَوْلُهُ تَعَالَى [فَاسْأَلُوا اللَّهَ عَنْهُ]
[مَخْشَى] جَامِعٌ عَامٌ لِاطْلَاقِهِ فِيهِ النَّظَرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِمَا مَرِنِي السُّورَةُ السَّابِقَةُ
[أَمَّا أَنْتَ مَذْرُوءٌ مَخْشَى]

[تَلَهَّى] أَيْ تَلَهَّى - تَلَهَّى عَنْهُ اشْتَغَلَ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِمْ الْهَانِي عَنْهُ ذَلِكَ أَيْ شَغَلَنِي
عَنْهُ فَاعْتِنَتْ بِهِ قَالَ قُبَّةُ بْنُ بَكْرِ

كَانِي لِحَافِ الصَّنِيفِ وَالْبَيْتِ بَيْتَهُ وَلَمْ يَلْهِنِي عَنْهُ غَرَالُ مَقْنَعِ

(٢٧) (مَوْقِعُ هَذِهِ الْآيَاتِ وَتَصْوِيرُ قِسْمَتِهَا)

مَوْقِعُ هَذِهِ الْآيَاتِ مَعَ الْبَنِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ بِالْمُضَرِّينَ
عَلَى الْكُفْرِ وَحُشَّةً عَلَى التَّزَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيَّانًا ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُ بِتَقْدِيمِ الدَّعْوَةِ
لِرُؤُوسِ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَانُوا ذَوِي الرِّيَاسَةِ الدِّينِيَّةِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ إِذَا تَبَيَّنَ أَصْرَاهُمْ
عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّزَامِ مِنْ تَبَعِهِ مِنَ النَّاسِ . كَمَا قَالَ تَعَالَى [وَانْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
& اخْفِضْ جُنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ .
& تَوَكَّلْ عَلَى الْحَزِينِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرْتَكِبُ جُنْحِينَ تَقُومُ . وَتَقْلِبُكَ فِي السُّجْدِ .] فَاسْتَغْلِ
الْبَيْتَ بِدَعْوَتِهِمْ وَقَدْ رَأَى مِنْهُمْ شِدَّةَ الْإِنْفَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَكَانَ مِنْ شِدَّةِ رَحْمَتِهِ يُصْبِرُ عَلَى
ذَلِكَ وَيَرْجُو أَنْ يَنْقُصُوا أَبُو عَظْمٍ فَكَانَ كَلِمًا زَادَ وَاجْهًا زَادَ الْكَا حَا رَحْمَتِهِمْ وَخَفَقَتْ
عَلَيْهِمْ وَإِيَّاهُ بِفَرِيقَةِ الرِّسَالَةِ الْعَظِيمِ الْخَاتَمَةِ الْمُتَمَّةِ وَرَجَاءُ أَنْ يُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ بِإِيمَانِ
الْأَقْوِيَاءِ ذَوِي الْإِبَاسِ وَالْجِدَّةِ وَقَدْ صَدَّقَ ظَنَّهُ بِإِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَحُمَزَةُ وَآخَرِينَ مِنْ
الْبَاقِينَ الْأَوَّلِينَ وَهُوَ قَامِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَصَرَ مِنَ السَّجْدِ وَالصَّبْرِ فِي مَا فَرَضَ عَلَيْهِ
وَلَكِنْ لِمَا كَانَ فِي ذَلِكَ لِبَعْضِ شَغْلٍ عَنِ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ بِعِبَادَتِهِ وَتَنْزِيلٍ عَنْ سَمُوْحٍ

فان الله تعالى لم يامر به بانخسوع بل ارسل بالفرات شفع والشرف الباذخ
 فكان الله تعالى كثيرا ما يصرفه عن الاسف لهم والاسحاح عليهم الى الاشتغال بالصالحين
 كما قال تعالى [لعلك باخ نفسك على آثا رحيم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا] و
 كما قال تعالى [واصبر لنفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجه
 ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا] اى اهل العدة والعدة كما قال تعالى
 المال والبنون زينة الحياة الدنيا - فان القوة لله تعالى (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن
 ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا . وقل اتح من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء
 فليكفر] وكما قال تعالى [نقول عنهم فما انت بملوم] اى لا لوم عليك ان لم يؤمنوا
 فانك تدافيت بما كان يجب عليك وشكك كثير وما ذكرنا يثبت ان الله تعالى
 كلما وجد نية قد غلاني هذا المنهج ادعى اليه بعض ما يصرف عنه الى التوسط حتى بقيت
 هذه قصة عبد الله بن ام مكتوم والوحى ينتظر الوقائع المناسبة فجعلها الله سببا للزجر
 الاغنياء ودمج الفقراء وطيب المنكرى القلوب بالبلغ ما يكون من اساليب الكلام
 فانزل على نبيه ما كان غاية في التبيين على افراط في المدح والرجز للمصرين على كفرهم و
 صورة الواقعة انه لما جاء اليه ابن ام مكتوم خاف النبي ان يقولوا انما يتبعك
 العميان والضعفاء لما تعينهم وتحم عقولهم اقترب ان تملطنا بهم كلالا لن نتبعك ابدا الا
 ان تطرد هؤلاء فانهم ليسوا باكفائنا . وقد صرح بذلك كما حكى الله تعالى عنهم [قالوا
 انؤمن كما آمن السفهاء] وكما فصل ذلك حيث قال تعالى [وانذر رب الذين
 يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون . ولا تطرد
 الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجه ، ما عليك من حسابهم من شئ
 وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فقلنا لبعضهم
 ببعض ليقولوا اهلولا من الله عليهم من بنينا اليك الله با علم بالشكرين . و

اذا جاءك الذين يؤمنون بالآيات قل سلم عليكم، كتب ربكم على نفسه الرحمة، انه من
 عملكم سوءا يجهلونه ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم. [وقال تعالى] فاصبح
 بما تومروا عرض عن المشركين. انا كفيناك المستهزئين. الذين يجعلون مع الله
 الهما اخرسوف يعلمون. ولقد علم انك يضيق صدرك بما يقولون. [وما يخاف
 من محبي عبد الله بن ام مكتوم في ذلك المجلس ان يذل اصحابه في عيون المؤمنين
 فان النبي سجد سجدة واحدة بالناس كان يحفه الضعفاء والبنى من شدة غيرة و
 حياء لم يكن ليرضى بما يطعنون في اصحابه الذين آمنوا ابتغاء لوجه ربهم لا لطلع دنياه
 فلما وقع هذا الامر حان ان يبين الله لبيه انه قد بلغ من الغلو في الدعوة ما لا ينبغي
 له واخرج الكلام مخرج القاب حسب الظاهر ولكن في الحقيقة زجر للكافرين
 وثناء على النبي وتطيب لقلوب المؤمنين. والبنى في هذا الخطاب شدة مثل راع
 صالح خرج في طلب خروف سمين شريد حتى ذبل ساعة عن قطعة الصالحة التي
 تتبع اثره وتسمع ندائه فان لم يكن هذا الشريد اجدد ررافة من سائر الغنم
 فالذنب له لا للراعي الشفوق فان خاطبه مالك الغنم ليعاتبه مالك قد ضربت
 الصغ عن القطعة الصالحة وتهالك على خروف غير طائل دع يا كاهل الذئب فانه
 اولى به. علم كل ذي عقل ان هذا القاب وان كان بحسب الظاهر متوجها الى الراعي
 ولكنه في الحقيقة سخط بالخروف الاحمق ومدح للقطعة الصالحة ودليل على شدة
 رافة الراعي وغلوه في طاعة مالك وهذا النبي مع ظهوره ودلالة باقي الكلام عليه قد
 التبس على بعض المفسرين فتوهم او با ما تنهاه نفس هذه الآيات والان
 نبين ذلك بتوفيق الله تعالى.

(٥) (ازاحة باطل توهمه في القصة وفي وجه القاب)

روى عن مجاهد قال - كان النبي مستخيا بصديقه من صناديد قريش وهو يدعوه
 الى الله وهو يري حوان يلم اذا قبل عبد الله بن ام مكتوم الاعشى فلما رآه النبي مكره مجيئه
 وقال في نفسه يقول هذا القرشي انما اتبعه العميان والسفلة والعبدة فبس نزل
 الوحى عيسى وتولى الى آخر الآية - فهذا تاويل مجاهد هو الظاهر من القرآن كما
 قدناه في الفصل السابق ولكن آخرين توهموا في القصة ان ابن ام مكتوم جاء
 الى النبي وسأله الرشد والتعليم فاعرض عنه فعاتب الله النبي ونسبوا هذا القول
 الى المشاهير من السلف فنهتهم من يروى عن عائشة ان ابن ام مكتوم قال للنبي
 ارشدني وعنده رجل من عظماء المشركين ومنهم من يروى عن عائشة ان النبي
 كان في مجلس من وجوه قريش منهم ابو جهل وعتبة بن ربيعة ومنهم من يروى عن
 ابن عباس انه كان يناجي عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وابا جهل بن
 هشام فجاء ابن ام مكتوم يستقره آية من القرآن وقال علني ما علمك الله
 فاعرض عنه وعيسى في وجهه وتولى ذكره كلامه . ومنهم من يروى عن الضحاك
 ان النبي لقي رجلا من اشرف قريش فأتاه ابن ام مكتوم فجعل يبالي عن
 اشياء من امر الاسلام ومنهم من يروى عن عائشة ان النبي وعنده عتبة
 وشيبة ومنهم من يروى عن ابي مالك انه كان يصدى لامية بن خلف ومنهم
 من يروى عن انس ان ابن ام مكتوم جاء الى النبي وهو يكلم ابي بن خلف فاعرض
 عنه ولا يخفى ان هذه الروايات كلها تنتهي الى الذين لم يكن واحد منهم شهيدا لواقعة
 فلو صحت لم يكن الاستنباط لاخبرا والظاهر من اختلاف هذه الروايات انها
 ظنون وادها م ناشئة مما توهموا من التاويل فوضعوا القصة وخبروا افتراء
 على من اسندوها اليه فكيف يوثق بها واسانيد باضعيفة جدا والقرآن ظاهر بالدلالة
 على كذبها وذلك بوجه -

الاول ان الآية لا تقول انه عيس من الاعمي او عيس في وجهه كاقيل وابل يحس
الاعمى بالتعيس انما تعيس على مجيئه الذي كان مما يطلق استه بولاء الغفمين فيرد
للقال مجالا ولم يكن لهم ان ينسوا بكلمة حين كان يقدرهم بالذل الال الواضحة على
التوحيد والمعاد وترك الانداجا في السورة وهي الامور التي كان يدعو
اليها حين نزول السورة .

والثاني ان قوله تعالى [وما يدريك لعله يزكى او يذكر فننفعه بالذكر]
صرح في انه عليه الصلوة لم يعلم ان الاعمي جاء اليه ليظهر قلبه او يورث قلبه بالذكر .
فان النبي لو علم بذلك لالقت اليه بالبشارة فكانه قيل له لقد ضقت ذرعا بان
جاءك بانكره وما يدريك ذاك لعله جاء باقربة عليك . وباجل فالتقيا ان بابي
ان يكون النبي قد علم بان الاعمي جاء لامر ديني من التزكي او التذكر ثم عيس له .
والثالث ان قوله تعالى [وما عليك الا يزكى] صرح في ان النبي كان
قد خلا في امر الدعوة كانه قيل له ليس عليك حرج لاجل انهم لا تميزون حتى لا تزال
بهم الى ان يؤمنوا فيتركوا ولذلك نظائر كثيرة مثلاً قوله تعالى [لتست عليهم بمصيطرا
وقوله تعالى [فتول عنهم فما انت بملوم] وقوله تعالى [فان تولوا فانا علىك البع
المبين] واسلوب هذه القول ظاهر في التخفيف عن النبي ما تحمل من الجاهدة
بالنكرين وذلك بمغزل بعيد عن حقيقة العقاب الذي يخشى لو اعرض النبي استهتارا
لمن ضيعت كما توهوا . وهذه الكلام بعد قوله تعالى [اما من استغنى فانت له
تصدى] يبين ان تصدي كان من ولوعه بالدعوة لا لاستكبار في نفسه من الضعفاء
والراغب ان ما بعد هذه الآيات وهو قوله تعالى [كلا انها تذكرة لمن شاء وذكره]
صرح في تعليم الاستغناء عن الذن استغناء عن ذكر الله وفي منع النبي عن
التنازل الى هذا القدر من الالتفات بهم وهكذا ما بعد هو قوله تعالى [اما من جاء]

يسمى وهو غشّي فانت عنه تلبى [يبين ان هذا التلبى والتشاغل لم يكن مما ينبغي لقدر
 بنيه الكريم وكتابه العزيز كما سيأتيك بيانه
 واثمّاس انه ليس ههنا موقع للعتاب التحقيق على تسليم ما روده من ان الاعمى
 كلم النبي يستقر القرآن اذ ياله الرشد او عن اشياء من امر الاسلام كاتيين
 مما يذكره في الفصل الآتي وباجله اذ انطرت في نفس هذه الآيات وما قبلها وما بعدها
 تبين لك ان الكلام ليس الا لتعليم النبي الاستغناء والترفع جباليت بعزته وعزة
 دعوته. واسلوب العتاب ههنا المبلغ ما يكون في منه عن الافراط في اداء فرضية
 الدعوة وفي تطبيب نفسه ونفوس الضعفاء من المؤمنين وفي زجر الاغبياء من
 المتكبرين كما يستقيم كل الاتصاح من النظر فيما يتلو من باقى السورة.

(ازاحة باطل الكبر ماسبق)

(٦)

بعد ما تبين التأويل الصحيح الصريح لم يتبق حاجة الى ذكر ما بنى على محض التوهم
 لكن اردنا ان نريك شناعة ما يجزأ اليه الاعتماد على الروايات الباطلة لتكون
 على حذرک منها فاعلم ان الامام الرازى قد تظن بان ههنا لم يكن موقع للعتاب
 فاجتهد للجواب فقال ما خلاصته كيف عاتب الله رسوله على ما صدر منه فان ابن
 ام مكتوم كان يستحق التأديب والزجر فانه وان كان اعشى ولكنه كان يسمع مخاطبة
 النبي اولئك الكفار فصرف شدة اتهام النبي بشئ نهم فكان اقدامه على قطع
 كلام النبي والقاء عرقه في البين ايداء للنبي وذلك معصية ثم ان الاعم تقدم
 وهو كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه اما اولئك الكفار فيكون اسلامهم سببا
 لاسلام جمع عظيم فاقدم ابن ام مكتوم على ما يكون سببا لقطع انجیر العظیم. ثم انه
 تعالى قال [ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون] فها هم

عن جرد المذاوى غیر وقتہ فیذا انداء ابن ام مکتوم الذی کان کالصارف عن اعظم
 جهات النبی اولی بان یكون ذنباً ثم من الظاہر ان النبی کان ما ذونا تباویب
 اصحابہ وکان ینزجر بهم عن اشیا وفکیف عاتبہ اللہ علی ما کان ما ذونا فیہ قال اللہ
 فیذا جلۃ ما تعلی بہذا الموضع من الاسکالات ثم قال رحمہ اللہ ما خلاصۃ ان الجواب
 من وہمین الاول ان الاحر وان کان علی ما ذکرتم الا ان ظاہر الواقعہ یوہم
 تقدیم الاغنیاء علی الفقراء فلہذا السبب حصلت المعاتبۃ اقول وہذا الوجه سلیم
 من القبح وکنۃ ضعیف فان اللہ تعالیٰ اعلم بالسرائر ولا یغتاب الا للہی فیہل نبی
 النبی عن تادیب اصحابہ کما ذکر فی السؤال وہو ما ذون فیہ قال والثانی ان
 العتاب لعلہ لم یقع علی ما صدر من الرسول من الفعل الظاہر بل علی ان قلبہ قد
 مال الیہم بسبب قرابتہم وشر فہم وعلو منصبہم وکان ینفر طبعہ عن الاعمی بسبب عماہ
 و عدم قرابتہ و قد شرفہ (رحم اللہ الرازی) کانت ام مکتوم خالۃ حدیجہ وناہیک
 بہ شرفاً و قرابتہ لابنہ ف وقعت المعاتبۃ لا علی التادیب بل لاجل ہذہ الداعیۃ
 اقول و ہذا الوجه فی غایۃ الشناعۃ اتینفر النبی عن الاعمی لما ہل ہو اولی بالرحمۃ
 والاسی لمرک ہذا البعد عن مومن فکیف نبی . فانظر کیف اہتدی الرازی رحمہ اللہ
 اولاً لما ہو الحق الصریح و ہو ان ہناک لا وجہ للعتاب علی النبی ولكن اعماہ
 علی الروایات الضعیفۃ اور دہذا المورد اشینع فلئن نذرہ جانب الرب
 تعالیٰ عن العتاب فی غیر محلہ نقد ونس جانب رسولہ بانسب الیہ ما قلہ
 لا یظن بخلفۃ العظیم . و بالجملة فالقرآن و موقع الکلام و احوال النبی کما یبطل ما
 توہمو من التاویل و ذکر و اسن الروایات الباطلۃ الضعیفۃ .

(نظم ہذہ الآیات بما یتبعہا)

كَلَّا إِنَّمَا تَن كِرِيَّةٌ (۱۱) فَصَنُ شَاءَ ذَكْرَةً (۱۲) فِي صُحُفٍ
 مُكْرَمَةٍ (۱۳) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (۱۴) بِأَيْدِي سَفِيَرَةٍ (۱۵)
 كِرَامٍ بَرَرَةٍ (۱۶) قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (۱۷)
 مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (۱۸) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَ سَرَّهُ (۱۹)
 ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ (۲۰) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (۲۱) ثُمَّ إِذَا إِنْشَاءَ النَّفَسِ (۲۲)

لما كان موقع هذه الايات تنبيه النبي على علو منصبه لكيلا يتنازل الى الاسحاح بالذين
 اظهروا الاستغناء حتى يشغل عن الذين يبتغون دجرا بهم اكد هذا الامر بميان علو
 ما انزل اليه يعلم ان الاستغناء عن هؤلاء هو الانسب فقال عز من قائل حكيم :

(۲۸) تفسير الکلم وتأويل البهل فی آیات (۱۱-۲۲)

[كَلَّا] تأكيد لما تقدم من الانكار على علو النبي في الدعوة ومن تعليمه الاستغناء عنه
 قيل - لا يلحق بك ان تلج عليهم بهذا الاسحاح - كما ينبغي ما بعده .

[إِنَّمَا تَن كِرِيَّةٌ] الضمير راجع الى ما تقدم من كلمة [ذكري] والمراد بها القرآن
 وآياته وتلاوته وانما اختار الضمير الموثق لرعاية ما سبق من كلمة الذكرى وما تحق من كلمة
 التذكرة . واهتم موقعها ذكر الدليل لما دل عليه كلمة [كَلَّا] من تعليم الاستغناء .

[فَصَنُ شَاءَ ذَكْرَهُ] اي ذكر ما تلوت عليهم من الذكر و اختار الضمير المذكور لما يتبادر
 اليه الفهم من المراد به وهو القرآن . و موقع الجملة بيان قوله تعالى [انها تذكرة]
 اي القرآن محض البلاغ والتذكرة وليس في شئ من الاكرام والاسحاح كما جازوا
 في القرآن ، واتي هذه الجملة ايجازا واكتفاء باولت عليه بالمقابلة اي فمن شاء ذكره

ومن شاء لم يذكره وربما يصرح به كافي قوله تعالى [فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر] .
 [صَحُفٌ] الصحف جمع صحيفة وهي الورقة المكتوبة كما سميت صحيفة التلس صحيفة
 الجور ولعل الكلمة متلوثة من الصيغة لكل عريض كصيغة الحجر والسلف والفق . وبصيغة الجمع
 ربما يراد بها الكتاب لاشتماله على الاوراق كافي قوله تعالى [رسول من الله يتلو صحفا
 مطهرة] قوله تعالى [في صحف] اي هوني صحف وموقع ايجل بيان اوصاف ما تقدم و
 حذف السند اليه في ذكر الاوصاف السابقة هو الاسلوب المعروف وقد جاء في القرآن
 كثيرا وذكرنا الشواهد فلا نعيد ههنا . وبه الاوصاف مرشح الدلالة على ما ذكرنا من التابل
 من ان منزلة القرآن ارفع جدا من ان تعرضه على هؤلاء بهذا الاحكام فبذلك ايجل تأكيد لما
 دل عليه ما سبق من الاستغناء وبقوها ذكر الدليل على لزوم الاستغناء كما قال تعالى
 [قولوا واستغنى الله]

[مَرْفُوعَةٌ] كلمة جامعة لمعنى العلو والمنزلة كما قال تعالى [وانه في ام الكتب لينا على
 حكيم] وايضا كما قال تعالى [والقرآن المجيد] وبذلك الوجهان بيان جانب من
 صفة [مكرمة]

[مَطْهَرَةٌ] بذه الصفة ايضا تبين جانباً من صفة التكريم . اي لا تصل اليه ايدي الشياطين
 والسفلة من الارواح كما قال تعالى [في كتب مكنون لا يمسه الا المطهرون] وكما قال تعالى
 [بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ] ويشبهه [كتب عزيز]

[سَفَرَةٌ] هي جمع سافر للكتاب والقارى من السفر للكتابة والقراءة وبه الكلمة
 باقية في العبرانية واصل معناها انمخش ومنه الكتابة فان الكتابة كانت اولاً بانمخش
 بقلم الحديد ثم توسع للبيان والقراءة . في العبرانية - ٥ ٦ ٧ - سفره انمخش والكتابة
 والقراءة - ٥ ٦ ٧ - (سافر) كاتب فقيه امام قائم . فصيح ما قال قتاده - هم القراء
 وروى ابن جرير عن ابن عباس السفرة بالنبطية القراء . ويوجد في العبرية ايضا

بمعنی انخس کما قال روتبه

تفسیر موسی الصلح الجلام

و کذا البقی فی العربیة مادة کتب فی اصل معناها کما مر.

[کلام] ای جدرین با تحال بذه الاماتة فلا یتهمون فیها شرافهم.

[ببررة] جمع البار للطلع والمونی بذمه هذا تاکید تخفیف بذه الاماتة کما قال تعالی

[نزل به الروح الامین] و کما قال تعالی [انه نقول رسول کریم] ذی قوه عند ذی العرش

کمین. مطاع ثم امین [ومقادیرہ] بجل بیان رفیع منزلة بذه القرآن لیتین انه لرفعة

منزلة وقدس لیس ما لیرض بهذا الا الاحاح علی هولاء. و هذه الآیات تتضمن امر اعلیا

من وصفه و هو انه یموت عند الله و مقروء و محفوظ من کل ریب و شوب. و اعلم ان

المراد من الرفع والتطهیر والصیحة امور السلا الالی وقد فهمنا المعاد کما بینا و اما تأویلها

وتعیینها و تصویرها فکما یلین بذک المکان الالی.

[قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا اكْفَرَهُ] [الآن] [کثیرا ما یراد به الا کثر منهم و هم الکفار

فاما ان یكون اللام للعهد و اما ان یكون الحکم علی النوع حسب اکثرهم کما قال تعالی

[ان الآن انظروم کفار] و مثله کثیر. [قتل] منقول عن تحقیقة فاما یراد به اظهار السخط

و [ما کفره] بیان سبب بذه السخط و الانکار علی سکره.

[مَنْ آمَنَ شَيْءٌ خَلَقَهُ] استفهام تحقیر و تمهید لما بعده من ذکر حاله الآن

[لُفْظَةً] ما ذلیل ترشح کما قال ابو صقره البولانی

فما لفظ من حب مزین تفادفت به جینا البجودی واللیل واس

و کما قال تعالی [ثم جعلنا من سلالته من اهل بیت] نفی نفس بذه الکلمة البطل

ما استبعده من البعث فان اول الخلقه جمع من مواضع شتی کما قال تعالی [ولقد

علمتم انشاء فلولا تذکر دن]

[فَهْتَارَه] ای قدر اعضاء و قواه کاشا و مفاده بیان عجزه و کمال تصرف ربیه
 فیه کما قال تعالی [فی ای صورۃ ناشاء رگبک] فیه ایضاً بیان نعمۃ الرب علیہ لما جعل
 بهذا التقدير احسن خلقه کما قال تعالی [و صورکم فاحسن صورکم] و تفصیل فی تفسیر سورۃ
 والیتن .

[السبیل] الامام فیه للبعد ای السبیل الذی سبک فیه باستعمال ما قدر فی من الاعضا
 و القوی فیه اده لاستعمالها و هیأله الاسباب کما قال تعالی [الذی خلق فوسی . و الذی
 قدر فهدی] . و کما قال تعالی ذکره عن قول موسی [ربنا الذی اعطی کل شیء خلقه ثم یدری]
 و اذ علمنا من القرآن و الفطرۃ ان الله تعالی یدری الان وین له الخیر و الاشر
 و لم یکیر به من قبل لهذا و لالذاک کما قال تعالی [فجعلنا سمیعاً بصیراً . انما یدری السبیل] ای
 سبیل الخیر له لانه المحل اما شا کرا و اما کفورا . و کما قال تعالی [و نفس و ما سواها .
 فاولها فجو را و تقو بها . قد افلح من زکها و قد خاب من وسها] . و قد علمنا من القرآن
 و صحیح الخبر و صریح العقل ان الیتسیر یاتی من الرب تعالی جہا یتجاره الانسان نفسه
 من سبیل الخیر و الشر کما قال تعالی [انما من اعطی و اتقی و صدق باحسن فنیسیره
 للیسری . و اما من نخل و استغنی و کذب باحسن فنیسیره للعسری] . فالتاویل
 ان الله تعالی بعد ما خلق الانسان و له الخیر و الشر لم یکیر به بل لیسر له ما اتار نفسه
 فجعل اعضاءه و قواه و الاسباب طوع ارا و تمه . و هذا من اکبر النعم کما یجوز
 فی موضعه .

[ناقبره] قبره دفنه و اقبره جل له قبره .

[النشره] نشره بسطه و نشره و الافعال للباغۃ ای اقامه سویا بعد ما کان مقبوراً
 خامه -

نظم هذه البجلة في نفسها وبالسابق واللاحق

(١)

بعد ما بين علو منزلة هذا القرآن وترفعه عن المدنسين الكد شناعة استغناء الانسان
 عن هذه النعمة العظمى بذكر كمال عجزه بجنب كمال قدرة الرب تعالى عليه وهكذا بين شدة
 شناعة كفرانه بذكر كمال نعمته ربه . ولما تضمن هذا البيان وجوب الايمان بقدرته والشكر
 لنعمة اتهمه قوله [ما اكفره] اى ما اكبر تكذيبه وكفرانه بهذا . واعلم ان قوله تعالى [من
 نطقه الى قوله] فاقبره [جامع لهدوالة الانسان ووسطها و آخرها فاما بدوها فانه
 مخلوق من ماء قليل ترشح بتقدير الرب الحكيم من اطراف اجسم وهذا منهم من
 كلمة نطقه كما مر ثم جرى عليه تصرف الرب فهذا بدوها واما وسطها فانه لا يقدر على شئ
 ما يريد في تقلباته الاتيسير الرب تعالى ونيها تين المحالين ظهور قدرة الرب ونعمته عليه
 واما آخرها فانه اماته واقبره وفيها ظهور كمال عجز الانسان وكونه بالكلية تحت قدرة ربه
 ثم بعد ذكر هذه الاحوال الدالة على الربوبية والقدرة تبين لزوم البعث للجزء الذى
 هو مقتضى ما سبق من الدلائل كونه مصنوعا ويمسرا في تقلباته في هذا المعاش و ذكر من
 احوال الانسان ما يكون بعد هذه الحيوة والمات من النشور الى ربه والآن نقابل
 كيف دل على عجز الانسان و فقره الى ربه من اول امره الى يوم نشده فاما بعد
 حاله عن الاستغناء والاعراض عما انزل اليه ربه من الذكر وهو احسن ما يسله
 والغم به عليه مع انه مخلوق وتصرف فيه راجع الى مولاه القادر الحكيم فبعد ما ذكر هذه
 الدلائل التى في نفسه اعتقها مثلها ما يرسف فوقه وتحت وحول من الدلائل على كونه عبدا
 مربوبا مرزوقا بين شناعة عصيانه ونجوره كل بيان فقال عز من قائل حكيم

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَ (٢٢٥) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٢٦)
 أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٢٦) فَأَبْثْنَا
 فِيهَا حَبًّا (٢٢٧) وَعَيْنًا وَقَضْبًا (٢٢٨) وَزَيَّنَّاها وَمَخْلًا (٢٢٩) وَ
 حَدَّائِيَ غُلًّا (٢٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٢٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِالْأَنْعَامِ (٢٣٢)

(١٠) تفسير الكلم وتاويل ايجل في آيات (٢٢٣-٢٢٢)

[كلا] زجر على استغناء وعصيان كما بينه ما بعد ذلك

[لما يقض] اى هو ستم في عصيان الى الآن .

[ما امره] عام لما الهه فطرة من الشكر لهم والمواساة بالخلق ولما انزل اليه

بواسطة الرسل من الاوامر والنواهي

[أنا] موقع ايجلات التالية موقع البديل من الطعام اى فليتنظر الى هذه الامور .

[صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا] اى انزلنا ما وكثيرا كما قال تعالى [وانزلنا من المعصرات ماء

نجايا]

[وَشَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا] بيان جامع لاربعة معان : لما تنشق

الارض انوارها فتشرب الماء فتيقظ ولما جعل الله في الارض من الانهار و

الجور ويؤيده نهره فتنشق وبحره تنشق . ولما تنشق الارض بالنبات فيخرج منها ازواج

شتى - ولما يشقها الحراثون . وكل هذه المعاني مناسبة ههنا فالى بكلمة جامعة .

[قَضْبًا] القَضْبُ نبات يوكل ناعما خضرا ولذلك تسمى الرطبة قصباً وهو بالفارسية

البيست . من قصبه قطعه بصوت مشابه بلفظ حروف قصب ويشبهه لفظ المصنع و

القصب جامع لكل ما يوكل رطبا .

[حَلَقِي] جمع حلقية للروضه المحاطة وتطلق على الاشجار ايضا كالنخل والشجر.
[عُجْلِبًا] جمع اغلب لغليظ العنق و وصف الحمدائق بالغلب اما على كون المراد
بالحمدائق الاشجار كما ذكرنا واما على وصف الشيء بوصف متعلقة كما هو الاسلوب الشائع
في العربية اى غلب الاشجار والاول هو الظاهر لان سائر ما ذكر كلها من النبات
ولان الفعل المتقدم هو انبتنا .

[آبًا] الآب العشب والمرعى من اب يوب آبا و آبا و آباية نشأ وطلع و هي مادة
قديمة جري فيها تصرف اللسان فجددنا في صورتها بهتة مثلا أم و هم و هت و تآهت
فاب صورة اخرى لهب ولذلك نظائر مثلهز و اثر و اراق و هراق قال الأعشى
ع - انخ قد طوى كشأ و آت ليذهبها . اى هب و هم . و اما سمي المرعى آبا للنشأ و لا
بعد المطر منه آبان النبات . لادل خروجه ثم توسع ثقيل آبان الشباب
للمناسبة ظاهرة ثم ايان كل شئ اول دتمة . يقال كل الفواكه في آبانها .

فك و توهم الجوهري وغيره فبحل الآبان نقالا من مادة ابن و لا مناسبة
بينها فان ابنه بشئ اهتم به من الابنة و هي العقدة في العود . و اما فنعلان
من اب لما يدل عليه المناسبة بينها و لما تجدد هذه المادة بهذه المعنى في العبرانية و هي
اخت العربية **لَهْدَد (ا ب ب) لَهْدَد (ا ب ب)** الخصرة و الشجرة **لَهْدَد**

(ايب) السنبلة الخضر و اول شهورهم و هو الربيع ظهور النبات فيه و لا .
فك و ما ذكرنا تبين ان هذه المادة معروفة العرب و اما قل استعملها
في اشعارهم تحت مراد فاتها و لكن اذ لا يريد استعمال كلمة جاسنة
و حسن موقعها ترك بل تكون احسن من غيرها . و حسن موقعها بهنا غير خفي و ياتيك
زيادة البيان في الفصل التالي . فله اطلاق ما يروى من ان ابا بكر و عمر رضي الله
عنها اعترفنا بجهلها به . اول بدين الخبرين منقطع و الثاني مضطرب . و اليقين

بضعها من وجهه : الأول ان هذه السورة مكتبة والصحابة اهتم شغلهم تلاوة القرآن
فكيف لم يأتوا النبي عن معنى كلمة مع طول مدة الصحبة وكيف لم يعلمهم النبي اياها بل
كان القرآن نذرا لوعنة حتى اذا توفى النبي تفرؤا اطلعوا على عدم علمهم بهذه الكلمة
وانتهوا فاعترفوا بجهلهم بها - والثاني انا سجد القرآن اسهل وامين لسانا من
عامته اشعار بهم وخطباتهم وكانت قریش حكامون على الشعراء في عكاظ و
كان ابو بكر من رؤسائهم وخطبائهم وكان عمر لسان قریش وسفيرهم فلا بد ان
يكونا عليهم بصروف الكلام وقد علمنا كثيرا من انتقاد عمر ما يدل على علو محله في علم اللسان
العربي والثالث ان القرآن انما انزل لمسا نهم عربا مبينا ليدعى به الناس
ويقتلوه كما قال تعالى (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قوم) وقال تعالى
[انا جلنله قرآنا عربيا لعلكم تعقلون] والرابع ان المواضيع لم يذكرها ذلك
الا عن اكبر الصحابة واعلمهم ولعلم بشدة حق منفضيهم واهتمامهم بالطنع فيها .
[هتاعا] المتاع مصدر ثم اسم لما يتبع به ومنه للسلعة والمتاع يتضمن قلة
المدة فرما يؤكد بالتصريح بها وربما يكتفى بما يفهم منه كما قال تعالى [متاع في الدنيا
ثم اليها مرجعهم] اي تمتع لمدة قليلة . والشواهد على ما ذكرنا كثيرة وقوله تعالى
[متاعا لكم] سائغ ان يكون مصدرا كما في قوله تعالى [يستكم متاعا حسنا
الى اجل مسمى] وعلى هذا دليله لاجل ان نعمتكم بها . وان يكون حالا اي وهذه
متاعكم ومال التاميلين واحد والاول ادل على الربوبية والانعام لصرته
دلالة على ارادة الرب ان يستمتعهم .

(١١) (نظرة في نظم ما ذكر من اسباب الطعام والمتاع)

فوجهك الى امثال هذه الآيات في ثلاث سور سابقة فان هذه السور الاربعة

تشابهات في مطالبها. وكل موقع أسلوب جديد من الايجاز والتفصيل والترب
 فان الكلام ذو افانين ونذكر ههنا ما يليق بهذا المقام فاعلم ان في هذه الايات
 تقديم الاقدم فالأقدم واختيار التفصيل والاستقصاء مع الايجاز وبيان
 ذلك انه تعالى ذكر الاول ما يلقى كثيرا وهو سريع الاخراج برزته فلو لاصب
 الماء الكثير من السماء لم يحصل للانسان ما هو اكبر قوام عيشه وذلك ثلثة اشياء
 حب وثمر وما يוכל رطبا من الخضراوات والبقول. فقدم المحب لكونها
 اكبر الطعام واجمع لما يعيش به الانسان واعظم الغلات المدخرة ثم ذكر العنب
 وهو راس الامثار ثم هو ما يدخر ذميا ويشرب نبذا طيبا. وقد عرفت العرب
 ذلك فقال اعني قيس

فاروى الزروع واعنا بها على ستة ماؤها اذ قسم

فذكر الزروع ثم العنب وذكر سيقها تماما لما يجعبها من لزوم الاتهام لها ثم ذكر
 العنب وهو جامع لكل ما يוכל رطبا كما قال تعالى [الخروج به جادنا] فاعلم
 هذا النوع الكثير السقي السريع النفع. وذكر ثانيا ما هو بطي الاخراج باكله و
 سقيه السماء وذلك قسم الاشجار كلها تقدم الزيتون لكونه مباركا وكونه اخضر الغلات
 كما سئد ذكر ثم ذكر النخل وهو للعرب قوام ولذة معا فهو جهم وغنهم ثم اس
 هذا النوع ما يستوفي اشجار الثمر الغلاظ المجدوع. ويشبه ما ذكرنا ما جاء في
 التوراة فانها تذكر من غلات الارض المحب والعنب والزيتون ^{وتفصيله}
 ف ١٩- ٢١ ايضا ^{ص ٢٢} ف ٣٨- ٣٩ وانما ترك النخل لان ارض اشام
 لم تكن باجود منابتها فاما العرب فالتمر هو جل غلاتهم ولذلك رجا تذكر مع الزرع
 كما في قوله تعالى [في حنت وعيون، وزرع ونخل طلعها مضيم] ايضا [ونزلنا
 من السماء ماء مباركا فانبثا به حنت وحب الحصيد. والنخل باسقت لها طلع نضيدا]

ایضا [و جنت من اغراب و زرع و نخیل] فہذا ان القمان استوفیا جل ما یرید
 الانسان و یرسہ قبۃ ذلک ذکر ثلث ما یتوفی الباقی من نبات الارض فاتی
 بکلمتین جامعین و ہما الناکبۃ والاب: الاولی للانسان و الثانیۃ للانعام کما صرح بہ
 بقولہ [منا عالمکم و لا تعلمکم] فترى فی ہذا النظم اسلوب الاستدراک بما یتوفی
 الباقی و ہذا کثیر فی القرآن کقولہ تعالیٰ [یا تبصرون و ہا لا تبصرون] و کقولہ تعالیٰ
 بعبہ ذکر اسماء الرسل [و رسلا قد قصصنہم علیک من قبل و رسلا لم نقصصہم علیک]
 و کقولہ تعالیٰ بعد ذکر حالات الاثقال من الخیل و البغال و الحمیر [و تخلق بالاعین]

(۱۳) نظم ہذہ بجملة بالسابق و اللاحق

لا یخفی ان خلاصۃ ہذا النکر ان اللہ تعالیٰ رزقنا و رزق الانعاما نکفنا عیال علیہ و
 الانعاما بذلک تحت ایدینا مع انہما تامل کل شئنا من رزق اللہ فما اشنع بنا ان نقصی
 الرب تعالیٰ ہذا و نظیر ہذا اللہ کرقہ مر فی السورۃ السابقۃ فلا نعید ما قد منا ہناک
 و لکن نذکر ہنا بقدر ما یمین ربط ہذہ بجملة بالسابقۃ و اللاحقۃ. فأعلم ان السابقۃ تذکر
 شناعۃ استغناء من چہ کفرہ و انکارہ و ہذہ تذکر شناعۃ استغناء من چہ
 فخرہ و عصیانہ و فی کلماتہما بکلمتین دلالتہ و اضمتہ علی الربوبیۃ و علی البعث و کل فی لک
 یمیدی الی الایمان بالمجوز و ایضا ما ذکر من امر طعامہ و متاعہ مثل جامع لہذہ
 الحیوۃ و الآخرة کما قال تعالیٰ [یا ایہا الناس انما نعیم علی انفسکم متاع الحیوۃ الدنیا
 ثم الدنیا مرجعکم فمنکم ما کنتم تعلمون] انما مثل الحیوۃ الدنیا کما انزلہ من السماء
 فاحتلط بہ نبات الارض عما یأکل الناس و الانعام حتی اذا اخذت الارض
 زخرفہا و ازینت و ظن اہلہا انہم قد روت علیہا اتمہا امرنا لیلاد و ہنار افعلہا
 حصید اکان لم تن بالاس کذلک نفصل الآیت لقوم یتفکرون [فلما کان

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ (٣٢) يَوْمَ لَفِرَ الْمُرْعَمُنْ أَخِيهِ (٣٣)
 وَأُمِّهِ (٣٤) وَآبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ مَرْمٍ
 مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ
 ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٨) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا
 غَبَرَةٌ (٣٩) تُرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤١)

ذلك كذا لك اتج هذا الذكر ذكر يوم الجزاء ، وايضا من اسلوب القرآن الى
 بالترغيب والترهيب مع الدلائل فقال غز من قائل حكيم :-

(١٣) (تفسير الكلم ، ايجل في آيات (٣٣ - ٣٢))

[الصَّاحَّةُ] صبح سمع اصممه وسميت القيامة صانعة لصيحتها الاولى ولها المذبل
 كما قال تعالى [يوم تنزل كل مرضعة عما رضعته وتضع كل ذات حمل حملها وترى
 الناس سكارى] ولذلك يقال للداية العظيمة . لا يادى وليد بها - فالصانعة جاعته
 لمعينين وصراحة ولالها على المعنى الاول اغنت عن بيان زائد واما المعنى الثاني
 فبينه بالبعد الى قوله تعالى [لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه]

[لَفِرَ] انما هو كناية عن هول ذلك اليوم فيذل بعضهم عن بعض كما بينه بالبعد .
 [مُسْفِرَةٌ] فضيئة من انفر الصبح وذلك كناية عن اول ظهور المسرة وفسره ما بعد
 [ضَاحِكَةٌ] انما هي كناية عن المسرة كما يفسر ما بعد ، والضحك ههنا هو البشاشة
 بما وجد من الامن وقرب المحسن .
 [مُسْتَبْشِرَةٌ] بما يتقوا من النعيم العتيق لهم .

[عَلَيْهَا غَابِرَةٌ] جاء بمقابلة مسفرة ولكن بعن الذلة والغم كما قال تعالى
[ولا يربق وجوههم قتر ولا ذلة] وكما قال امرؤ القيس ج
عليه القمام سئى الظن والبال

أَتَرَهُمَا قَاتِرَةٌ [أى يعلوها السواد والقتره اشد من الغبرة أى نشأها غبرة
ثم تعلوها سواد. وقوله تعالى [عليها غبرة تربتها قاترة] جاء بمقابلة ما سبق من قوله تعالى
[مسفرة ضاحكة مستبشرة] وهذا ان جاء قوله تعالى [يوم تبيض وجوه وتسود وجوه]
[الكهفوة الفجرة] المنكرون آيات الله اتجا حدون نعمة والآثون العصاة
لاوامره بها تان الكفتان جاستان لما فصل فيما سبق من ذكر كفر الانسان ونجوره
واستغناءه.

(۱۴) (نظرة فيما دل عليه نظم السورة من الحكمة فى ذكر خلال الخير والشر)

القرآن لا يترك مراعات الحكمة فى نظم ما يذكر من الامور فاعلم ان السورة ذكر خلال
الخير والشر على سبيل المقابلة اما الاولى فالتركى والتذكر والخشية واما الثانية
فالاستغناء والكفر والبنور والترتيب فى الاولى نازل لان الصالحين يجرون
الى غاية فالغاية اول شئ فى نظريهم والترتيب فى الثانية صاعد لان الفاسقين
لا يعلمون الى ما يجرون اليه. فذلك سبب الاختلاف بين الترتيبين. اما بيان ما ذكرنا
من رعاية الترتيب فلا يخفى ان الخشية اصل العلاج وهى الباعثة على التذكر والتذكر
يهدى الى التركى وهو المقصود. وكذلك الاستغناء اصل الفساد وهو الباعث
على الكفر باحق الواضع والكفر يهدى الى البنور وعلى ما ذكرنا من ترتيب هذه الصفات
شواهد جملة فى القرآن وقد مر فى مواضع فلا نعيد. ومن يارس يطلع.

(١٥) (نظرة في نظم حملات السورة بتمامها)

قد تبين ما تقدم ان اول السورة في تشنيع المستغنين الكافرين الفاجرين على سبيل
التعريض ليستبها وهذا الى عشر آيات فأتبع هذه الجملة ذكر علو منزلته بهذه التذكرة المكررة
المرفوعة الملهمة بايدي الملائكة الكرام وقد انزلها الله لعباده فضلا عليهم فلا يلق بالمتقين
عنهم الكافرين بها وهذا الى ست عشرة آية . ثم اتبعها جملة من وذكر فيها من نعمه
وقدرته ما يوضح هباته الانسان وضعفه وفقره الى ربه لتوضح شناعة كفره ونجوره اما
الجملة الاولى فتذكر النعم التي في نفس وجوه وهي الى اثنتين وعشرين آية واما الجملة
الثانية فتذكر النعم التي تحته وبها بقاؤه وهي الى اثنتين وثلاثين آية وابدأ الاولى
بقوله [قتل الانسان ما كفره] وابدأ الثانية بقوله [كلما لفيض ما امره] امي
ما أشد الكفر من هو نفسه شهادة على عبوديته وفقره ورجوعه الى دار الجزاء
والمحاسب واما افشع طول عصيان من لا يظلم عيشه الا برزق من ربه متوال
وهو يرى ذلك عيانا فذكر الكفر والفجور معا كما يذكر الايمان وعمل الصالحات
حسب ترتيب عقل فان الاعمال تابعة للعقائد والاخلاق كما قال تعالى [ارايت
الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم] وهذا كثير في القرآن . وهذا
خلاصة معنى الجملة - ان الانسان يرى في نفسه نعم خالقه القادر ثم يستغنى عنه
ويكره ان يحاسبه فيبعثه فاكفره اهو كما نرى بقدرته ام نبته افيريد ان ينعم عليه
وتترك سدى . ثم يرى فيما حوله نعم ربه الرزق ثم يعصبه فما افجره - والى هذين
الطرفين من فساد حالهم يشير ما جاء في آخر هذه السورة من قوله تعالى [اولئك
هم الكفرة الفجرة] ثم بعد ما بين فقر الانسان وحرمان نعمته الرب وقدرته عليه
ان يذكر فقره ليهذه المحو يوم يذهب عنه كلما كان سببا لظلمته واستغناءه وكفره
ونجوره وذكر ذلك الى سبع وثلاثين آية فاستحق ذكر القية باجمته لها من الدلائل

وکذا الحق ذکر البعث بما کان دلیلاً علیہ فی بحلہ الاولی فلما جاء بعد ذکر خلقه الانسان
 قوله تعالى [فاذا شاء انشره] فیکذا البعد ذکر رزقه جاء قوله تعالى [فاذا جاء است
 الصاحه] فان الانسان اذا تذکر خلقه تبین له قدره خالقہ علی نشره واذا تذکر ادرار
 رزقه علی تبین له لزوم الحساب ووقوفہ بین یدی مولاه ومرتبه . ویشبه ہذا الاسلوب
 ما جاء فی سورة المس سکت من قوله تعالى [الم تخلقکم من ماء مہین فجعلکم فی
 قرار کمین الی قدر معلوم . فقد رنا نعیم القادرون . ویل یومئذ للکذبین اای الکیین
 بالبعث] الم یخجل الارض کفاتها . اجاء واداءنا . وجعلنا فیہا رواسی فثبتت . واستقیمکم
 ماء فرائنا . ویل یومئذ للکذبین اای بالہیضاء . ولذلک نظرنا فی آخر شمس بعد ذکر
 غایۃ فقر الانسان وشناعۃ استنناء کفرہ و فجورہ ختم السورۃ بذکر مال الفترین
 انما شیتہ المتزکیۃ . الکفۃ البغۃ کما بدہ السورۃ بذکر ہا وذلک الی اثنتین واربعمین
 آیتہ وہی تمام السورۃ . فأنظر کیف یصل سیاق ہذہ السورۃ لذلک شناعۃ استنناء
 الانسان مع کمال فقرہ و احتیاجہ الی ما یسرہ لہ الرب من نعمہ السوائج لا سیما
 ہذہ التذکرۃ الی الی اعظم ما رزقہ بہ و اخرج حجتہ بذال بیان مخرج البینۃ
 لنبیہ علی ان لا یطع علی بولاء المستنین و یشغل بالذین ہم اقواء
 بہذہ النعمۃ العظمی . ہذا آخر ما یسر لنا ذکرہ فی
 ہذا المقام و الحمد لله رب العالمین
 والصلوۃ علی سیدنا محمد وآلہ
 وصحبہ اجمعین

فہرست مصنفات صاحب ہذا الکتاب

اجزاء من التفسیر المسمی نظام القرآن

آفات

تفسیر سورۃ تبت یا الی لب ۴۴

تفسیر سورۃ التحریم ۴۴

تفسیر سورۃ عبس و توئی ۴۴

تفسیر سورۃ القیامہ ۴۴

تفسیر سورۃ الدین ۴۴

تفسیر سورۃ الکفرون ۴۴

تفسیر سورۃ العصر ۴۴

تفسیر سورۃ الذریت ۶۴

امعان فی اقسام القرآن ۶۴

الرای الصحیح فی من ہوا الذبیح ۱۰

اسباق النجوم، سہل طرز پر عربی گرامر بزبان اُردو حصہ اول، حصہ دوم ۶

دیوان حمید، بزبان فارسی ۱۲

خردنامہ، ترجمہ امثال حضرت سلیمان علیہ السلام منظوم بزبان دری ۰

تحفۃ الاعراب، عربی کی نحو جدید، اُردو نظم میں ۲

تطلب من مدرستہ الاصلاح، سرائے میر، اعظم گڑھ۔

تفسیر
سورة

من

نظام القرآن

تأویل الفرقان بالفرقان

تأليف

المعلم عبد الحکیم الفراهی

طبع فی مطبعة معارف عظم گڑھ

الهند

تفسير سورة والتين

فهرس مطالب الفصول

- ١ (١) جملة الكلام في عمود السورة ومضمونها ونظيرها .
- ٣ (٢) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (١-٣) .
- ٥ (٣) تعيين المراد بما اقسم به من المواضع وفيه تحقيق كلمة سينين .
- ٤ (٤) جملة الكلام في الاستشهاد بهذه البقاع .
- ٨ (٥) وجه الاستشهاد بالتين .
- ٩ (٦) " " بالزيتون .
- ١٣ (٧) " " بطور سينين .
- ١٥ (٨) " " بكلمة .
- ١٤ (٩) نظير ذلك في التوراة وفيه تحقيق مقام سميع .
- ١٩ (١٠) نظرة في التفسير من القرآن والتوراة من جهة النظم والبيان .
- ٢١ (١١) قول جامع في تاويل المقسم عليه وهو قوله تعالى [لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم]
- ٢٢ (١٢) تاويل قوله تعالى [فما يكذبك بعد بالدين] الى قوله تعالى - ايسر الله بالحكم الحكمين [
- ٢٥ (١٣) في نظم السورة بما سبق وبما تلى وفيه اثبات براهين البشعة

سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْتِينَ وَالزَّيْتُونَ (۱) وَطُورِ سِينِينَ (۲) وَهَٰذَا الْبَلَدِ
الْأَمِينِ (۳) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (۴)
ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (۵) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (۶) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ
بِالذِّينِ (۷) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْخَالِمِينَ (۸)

(۱) (جمله الکلام فی عمود السورة و مضمونها و نظمها)

یرسی فی بادی النظر ان عمود السورة ہوا ثبات الدین ای الدینونہ و القضاء
على الانسان حسب اعمالہم فبدء السورة بالقسم على سبيل الاستشہاد و قیامنا
فی کتاب الامعان ان ہذہ الاقسام نوع خاص من القسم و
یراد بہ الاستشہاد على ما اقسم علیه و لیست فی شی من التعلیم للقسم بہ فانما ہی
شہادات لا غیر فعلى ہذا الاصل استشهد بارجع شہادات مشیرة الى طائع
الدینونہ فی الدنیا لیتذکر و ان اللہ تعالیٰ لیس بنافل عما یلعبا و فانه
لم یزل یدینہم بالقسط و یکلم علیہم بالحق و البطل بذلک الشہتہ فی وقوع

الدينونة يوم القيامة و هذا النوع من الاستدلال كثير في القرآن مثلا [والذين
ذروا ما كانوا على حكام و قرأوا ما كانوا يحرمون و لم يؤمنوا بآيات الله و لم يؤمنوا
بالدين الواقع] ايضا [يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فهو لك
فعد لك في اى صورة ما شاؤ و ربك كلا بل تكذبون بالدين] فاستشهد بانفعال على كونه
ديانا فبهذا استدل بوقائع الدينونة على وقوع الدين. ثم ختم الكلام بالليل اللهي
و هو الاستدلال بوصف الرب تعالى و هذا اقوى الدلائل مع غفلة الناس غفلة فاقا فيه
اسلوب الاستنباط ليدل على كون الانكار به في غاية الاستبعاد كما ترى ذلك في قوله تعالى
[انفضل المسكين كالجحيمين ما لكم كيف تكلمون] و قوله [كيف تكفرون بالله و كنتم تقولون
ما نكلمكم] و قوله [اني الله شك فاطر السموات و الارض] و هذا كثير في القرآن.
فكذلك هيها اورد البرهان اللهي على اسلوب الاستنباط. و كما ذكر من الشهادات
دل ايضا على طرف خاص من الدينونة و هو اثبات هذه البتة و قد كثرت في القرآن
الاستدلال على النبوة كونه من اكبر مظاهر الدينونة و رجة الرب و حكمه بالعدل فانه
لم يقض على العباد الا بعد ارسال الرسل و كذلك في القيامه يقضى عليهم بشهادة
رسلهم فثبت الرسول و نبوته في الدنيا و قيامه صغرى فانه عند ذلك فرقى بينه و فرقى بملك
و ينقطع عن ربه عند النبوة الكبرى كما قال تعالى [رسلا بشرين و منذرين لتلايكون
للفاس على الله حجة بعد الرسل] و هذا مبسوط في موضعه فعلى هذا الاصل استدلال
بالوقائع الماضية على كمال الامرين اعنى ان الدين لا بد واقع وان هذه البتة جاءت
حسب سنة الله تعالى و جريانها بالعدل و حسب قضاء فيما تقدم من حكمه الحكيم العادل
و ذلك اجمال القول في العمود الذي اقسم عليه و يتضح لك ما ذكرنا مما يتوصل
آخر الفصل -

تفسير الکلم وتاويل الجمل فی آیات (٣-١)

(٣)

[التین والزیتون] انظر الفصل التالی [احسن تقویم] قوم الشی جله متقیما
 قومت الرمح فاستقام ومن ههنا یراد به جعل الشی مناسبا لغایة فهذا التقویم معنوی
 فهو مثل التسویة وكل خالق تسویة قال تعالی [الذی خلق نفوسی] فلم یخلق الله تعالی خلقا
 الا بغایة ففعل خلقه مناسبا لتلك الغایة فعلى هذا اذ خص الانسان باحسن تقویم كان
 المراد منه خلقه مناسبا لاهسن غایة وذلك بان سواه على ترکیب صالح لان
 ینفخ فی روحه .

[سرد دلته] الردیاتی علی وجوه ومنها الاعادة الی الحالة الاولی كما قال تعالی [لو یردکم
 بعد ایامکم کفارا] ای یصیر وکم بعد ایامکم کفارا مرة اخرى . وهذا اقرب من اصل المعنی
 وهو كما قال تعالی [... یردکم علی اعتقادکم فتقبلوا احسن] .

[اسفل سافلین] اسفل اما هو حال عن ضمیر المفعول فی [ردونه] او ظرف
 وعلی هذا یكون المعنی انا صیرناه مرة اخرى فی مقام اسفل كما ترى فی قوله تعالی [اذ
 انتم بالعدوة الدنیا وهم بالعدوة القصوی والركب اسفل منکم] ای بمقام اسفل
 ولا فرق بین التاویلین من جهة المعنی واما التالیف فزعموا انه علی الاضافة ولكن
 العربیة فان اضافة الفعل اذ اكانت الی بحجة فلا بد ان یكون المضاف الیه مفردا كما
 قال تعالی [ولا تكونوا اول کافریة] فالظاهر ان [سافلین] حال مستقل سوا
 کان [اسفل] ظرفا او حالا ولذلك جاء بحجة مع كونه جمعا وهذا اقرب ایضا
 من جهة التاویل فان موقع هذا الحال یدل علی ان الانسان نفسه اختار السفل فکانه
 قیل ثم ردونا الانسان الی مقام اسفل والحال انهم كانوا ذاهبین بانفسهم
 الی السفل واما جمعی الجمع بعد افراد الضمیر فی قوله تعالی [ردونه] فلا ان المراد

بالانسان نوعه فجاء بالجمع رعاية للمعنى و هذا كثير منه قوله تعالى [متاعا لكم و لانا لكم] بعد قوله تعالى
 [فلينظر الانسان الى طعامه اخ] و قوله تعالى [انفلا يعلم اذا البشر ما فى القبور و حصل ما فى الصدور
 ان ربهم بهم يومئذ خبير] و ترجع الى بيان تاويل افضل سائلين فى الفصل الحادى عشر
 [الا] ادلوها الى وجهين الاستثناء المتصل او الاستدراك و الثانى هو الظاهر
 لما اردتها باجزاء و كانى قوله تعالى [فذكر انما انت تذكر است عليهم بمصيطر الامن] قوله
 و كفرين فانه العذاب الاكبر [و كانى قوله تعالى [و حفظها من كل شيطان رجيم] الامن
 استرق السمع فاتبعه شهاب مبین [و سيا تيك بيان الفرق بين التاويلين فى
 الفصل الحادى عشر.

[هتون] من من اذا قطع قال لبديع و دغبر كواسب لايمن طعاهما، غير منون
 اى دغم كما قال تعالى [لا مقطوعة و لا ممنوعة] و ايضا [عطاء غير مجد] و ليس من المنة
 فانه لا نظير لذلك المعنى فى القرآن و كيف تنفى المنة فان كل اجر من الله فضل و منتهى
 [فما ليكن بك بعد بالدين] [كذب بالشيء ضد صدق به و قد جاء فى القرآن كثيرا
 مثلا [اريت الذى يكذب بالدين] و [كل ابل تكذبون بالدين] و [كذبوا بآياتنا الآخرة] و
 اما كذب به فجاء ايضا قال تعالى [فقد كذبواكم بما تقولون] اى فيما تقولون و فى كل ذلك
 تلبس التكذيب الى الرجال و اما ههنا فنصب الى غير ذوى القول فاما ان يكون
 من قبيل نسبة الشهادة و النطق الى الاشياء كما قال تعالى [انه اكتبنا نطقا لعلكم
 باحثى] و على هذا كان المعنى فامشى بعد هذه الشهادات يشبه بانك كاذب
 فى قولك بوقوع الدين و اما ان يكون التكذيب بمعنى الحمل على التكذيب كاذوب
 اليه و غيرى دلم اجد هذا المعنى شاعرا فى القرآن و لاني كلام العرب و وثبت
 لكان تاويلها و انحاء و اما ان يكون بمعنى القاء الامانى و النطق كما قال هتون و هو
 جابلى

والاخير فما لذب المرء نفسه وتقول الله لشيء يا ليت ذايها
اي لاخير فما يحدث المرء نفسه من الاماني والآمال الكاذبة وقال عبيد بن الابريس
والمرء ما عاش في كذب طول الحياة له تعذيب
اي ما عاش في محض الاماني غير فائز بما يتناه فطول الحياة عذاب عليه. فبذرة ثابته
معان للكذب اذ كان متديا واما بيان ما يكون التأويل ههنا فيا تيك
في الفصل الثاني عشر ان شاء الله تعالى -

[الدين] الدين هو الجزاء والديونة من قولهم "وناهم كادونا" وقولهم "ولما تدين
تدان"، وقد جاء في القرآن كثيرا وقدم آلفا بعض الشواهد.

(٣) (تعيين المراد بما أقسم به من المواضع)

لا ينبغي عليك ان المقسم به انما ينظر اليه من جهة كونه دليلا وشاهدا و آية على ما قسم عليه
وقد مر ان المقسم عليه هو امر الديونة فلا بد من اشتراك هذه الاسماء في هذه الجهة
وستعلم في الفصول التالية ما وقع من الديونة على هذه المواضع وذلك يدل على ان
المراد بالتين والزيتون من شعان ليس الا وايضا قرن التين والزيتون بطور سينين و
البلد الامين فدل بالنظم على كونها اسمين الوضمين وايضا لا يخفى عليك انه كان من عادة النبي
التذكير بروية الديار وآثارها وكثر ذلك في كلامهم جدا فذكر المواضع للتبني على ما دونها
اقرب الى اذ بانهم واقع في نفوسهم وعلى هذا كثر في القرآن التذكير بذكر البلاد
كما قال تعالى [ذلك القرى نقص عليك من انبائها] وايضا في التوراة ما يطابق
بهذا التأويل سيما تيك بيانه في الفصل التاسع وعلى هذا لا يغير معنى التين والزيتون
وانما ناه بعض دجوه معنى واحد حسب سنة الكلام كما ستعرف وبذلك سيرفع
الاختلاف من بين قولين لمكرمه حيث قال مرة هو تينكم وزيتونكم مرة انما جلال

هذا - والآن تذكر ما هو المراد بهذه الاسماء - فأما التين فالمراد به موضع خاص عرفة العرب
بهذا الاسم لكونه منبت التين والعرب يسمون الموضع باسم ما ينبت فيه كالنضى
والشجر والنخلة وليس ذلك خروجا عن أصل معنى الكلمة وإنما هو استعمالها في بعض وجهها
بطريق تسمية الطرف بالمطروف . قال النابتة الذبياني من بني غطفان :

وهبت الريح من تلقاؤى ارجل تزجى مع الليل في صرادها صرما

صهب الظلال اتين التين عن عرض يزين غيا قليلا ماله شجبا

اراد بالتين جبلا في الشمال . قال الاولون يمين حلوان وجهان واما خلا فهم من ابي خفيقة
الدينورى مستدلابان ذلك الموضع بعيد من بلاد غطفان فلا تيفت اليه فان الشعراء ربما
يذكرون ما بعد عن بلادهم جدا بهذا النابتة نفسه ذكر كابل وسد يابو ج وتمد من قبل هذه في بلاد غطفان
دجل التين على قول الادلين ليس بهذا البعد فاما هو على جانب من العراق وهم يذكرون
الفرات ودجلة وخابور والخورق والسدير - ولعل ابا خفيقة خطأ معنى قوله « اتين التين »
ظن ان النابتة اراد به الايتان الى بلاده وانما هو اراد المرور فانه يصعب الريح الباردة
الشمالية التي تزجى السحب الصهب القليلة الماء التي مرت بجانب جبل التين فازدادت
به برودة والعرب تذكر كثيرا بريح البرودة من جانب الشمال وهكذا يذكر
البجدي بالبرودة - قال ابو صقرة البولاني وهو جاهلي :

فانظرة من حب مزن تقاذفت به جنبنا البجدي والليل دس

فلما اقرته اللصاب تقفت شمال لا على ماء فهو قارس

فلا شك ان النابتة اراد بالتين جبلا في الشمال ولعله هو البجدي او قريب من
ذلك خطأ الدينورى في بيت النابتة فكذلك خطأ صاحب معجم البلدان في بيت
ابي صقرة فقال انه اراد بالبجدي موضعا في اليمن فظن ان الشاعر لا يذكر الا
بلاد وقد مرّا فغان ذلك ظن باطل ولم يثبت احد ان البجدي جبل في اليمن

وانما الجودي هو الذي ذكرنا ويؤيد ذلك ماروي عن ابن عباس في تأويل هذه الآية فقال
 ان المراد به مسجد نوح الذي بنى على الجودي وعن عكرمة السني و الزيتون جيلان . وعلى هذا اثنين
 ان اثنين اما هو الجودي او قريبا منه وفي التوراة ان بنى آدم تفرقوا بعد نوح عليه السلام
 والقرآن يدل على كونه قريبا من الجودي فيستدل بذلك على ان اثنين كان سكن آدم
 وذريته ويؤيده ايضا ما جاء في التوراة من ان آدم عليه السلام كان يهضف عليه من
 ورق الشين . هذا - واما الزيتون فايضا اطلق اسمه على منبته حسب سنة العربيه كما
 مر آنفا . ولا يخفى ان المراد جبل الزيتون الذي كثر ذكر تفرعات المسيح عليه - لوقا
 (٢١ : ٣٤) وكان في النهار يعلم في الهيكل وفي الليل يخرج ويميت في الجبل الذي يدعى
 جبل الزيتون - وسياتيكم تفصيل ذلك في الفصل السادس ديو ان في ذلك اقول
 السلف منا قد روي عن ابن عباس وعن كعب ان الزيتون بيت المقدس وعن قتادة
 انه الجبل الذي عليه بيت المقدس (ابن جرير) واما طهر سينين فمعروف و
 لكن صورة الكلمة تستدعي بيانا فاعلم ان القرآن ذكره في موضع آخر باسم [طرسينا]
 فمرة اتى بها على التانيث ومرة على جمع السلامة فدل على ان التانيث اما هو كونه وصفا
 للجمع كما تقول جباء و اجمبون وفي التوراة جاء سينا وسينيم وفي العبرانية يسم " علامة الجمع
 وقال بعض علماء اهل الكتاب ان سينيم اسم ارض الصين بدليل انه اسم ارض
 بعيدة عن فلسطين وهذه الدليل كاتري . واما بلد الكاهنين فلا حاجة الى بيانه
 وانما لم يقل مكة ليكون اوضح في الدلالة على وجه الاستشهاد كما ياتيكم ذكره
 في الفصل الثامن ان شاء الله تعالى

(٣١) الاصل الكل في وجوه الاستشهاد بهذه البقاع الاربع

قد مر ان المقسم به في الاستشهاد لا ينظر اليه الا من جهة ما يكون آية وشهادة

على القسم عليه وقد علمت بجلاء ان المقسم عليه في هذه السورة هو امر الدينونة فالآن ننظر الى هذه
البيان من هذه الجهة لا غير. واعلم ان الشئ الواحد ربما يشهد بمن وجوه كثيرة فالحاجة
الى حصر الوجوه وقد جاء في القرآن الاستشهاد بشئ واحد من جهات ثنتي مثلاً استشهد
بالطرس جهة على الربوبية ومن جهة اخرى على البعث بعد الموت وربما يصرح بكثرة الوجوه كما
قال تعالى [هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصران في ذلك آيات] فجعل فيها
آيات لا آية واحدة وكذلك قال تعالى [ان في اختلاف الليل والنهار آيات] وقال تعالى
[ونرى الارض آيت للمؤمنين] وفي انفسكم افلا تبصرون [وهذه الايات ظاهرة ومع ذلك
ان القسم بشئ على امر فخذ ذلك لا يؤخذ من جهات المقسم به الا ما كان شاهداً على المقسم
عليه. وبعد ما تبين هذا الاصل فاعلم ان هذه البقاع الاربع مواضع لطهور الدينونة الدالة
على ان الرب تعالى يدين الانسان بالرحمة. والعمل حسب اعماله فهذا هو الاصل الكلي في
النظر في وجوه الاستشهاد بهذه البقاع واما تفصيل ذلك فنذكره في الفصول الآتية.

(٥) (وجه الاستشهاد على الدينونة بالتين)

اعلم ان التين هو اول موضع لطهور الدينونة على الانسان وذلك بان آدم لما
لما نسي عهد الرب وسمع لقول حاسده وقعت عليه وعلى زوجه الدينونة فاهبطا بعد الرفعة وسلبا
لباس الجنة كما قال تعالى [فطعنا خضعتان عليها من ورق الجنة] وجعل الله تعالى ذلك الامر
تذكارة وموعظة فقال تعالى [اي بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابوكم من الجنة
ينزع عنهما لباسهما] وقد صرح في التوراة بان الشجرة التي خضعوا عليها من ورقها كانت
شجرة التين ثم غمد ذلك ثياباً الى الرب وثياب الرب عليها و وعد بانزال بهيمة واجرن
تبعه من ذرية فاعطاه عهداً ثانياً فواتته التين جمعت السلب والعطاء - الاول لنسبة العهد
الذي كان في الامانة الى الرب. وكذلك وقعت الدينونة على نسله في عهد نوح

عليه السلام عند جبل الزيتون فابلك الظالمون و بورك الباقون كما قال تعالى [وقيل ارض
ابلى ما ذك وينا، افعلى و خيف الماء و قضي الامر و استوت على الجودي و قيل بعد المقوم
الظلمين] ثم بعد ذكر دعاء نوح قال تعالى [وقيل نوح اهبط بسلام منا وبركت عليك
و على امم ممن معك و اعم سنتهم فم يمسهم منا عذاب اليم] اى جعلنا السلام و البركات
لك و للمؤمنين معك و اما الآخرون فلهم ايضا متاع من الدنيا قليل ثم عذاب اليم .
فصار التين آية و تذكرة لما وقع على الانسان من الدينونة و قضاء الرب تعالى . و
ذكرها باسم التين بدل السعير احسن لما هو اوضح دلالة على واقعة هى اقدم و ادسح من
واقعة الطوفان . ثم نرى في الاسم دلالة اخرى سيا يتك ذكرها .

(٤) وجه الاستشهاد على الدينونة بالزيتون)

اعلم ان الزيتون قد وقعت عليه الدينونة النظمى من سلب الامانة و الناموس من اليهود
و اعطاهم له وده اخرى من شجرة ابراهيم اذ وقع ما وقع في آخر عهد المسيح في ليلة سهره على
جبل الزيتون و قد ناجى الرب الى الصحراء و نيس من قومه فخرن غاية الحزن لما علم ان اليهود
يهبون بقتل و بذلك يلعنون و يسلبون الامانة فتعطى لالة جديدة بها كما صرح به المسيح حيث
قال " متى (٢١ : ٢٢) " اما قرأتم تط في الكتاب الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار
راس الزاوية - من قبل الرب كان هذا و هو عجب في اعيننا (قول الحجر الى قولنى اعيننا
منقول من مزمور (١١٨ : ٢٢ - ٢٣) ثم فسر المسيح ذلك فقال (٢٢) لذلك اقول لكم ان ملكوت
الله ينزع منكم و يعطى لالة قتل اثمارة . ٢٢ و من سقط على هذا الحجر يترخص من سقط هو عليه " .
فهذا انزع ملكوت الله و وقع على جبل الزيتون و تبين ما ذكرنا مما جاء في الاناجيل ففى الانجيل
المحل الى لوقا (٢٣ : ٣٩ - ٤٠) " و خرج و مضى كالعادة الى جبل الزيتون و تبعه ايضا
تلاميذه . ٢٠ و لما صار الى المكان قال لهم صلوا لكيلا تدخلوا فى الفتنة (اى الفتنة النظمى التى

تأخذ اليهو عن قريب فيلقون بها كما جاء في القرآن [وحيوا لا تكون فتنة فصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم] فلما بلغوا المنبى حقت عليهم كلمة اللعنة والطور (٣١) والفصل عنهم نحو رمية حجر وبنوا على ركبتيه وصلى (٣٢) قائلاً يا رب ان شئت ان تجيز عني هذه الكاس ولكن لتكن لاشيئي بل شئت لك (٣٣) وظهر ملك من السماء يقويه (٣٤) واذ كان في جهاد كان يصلي باشد كجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض (٣٥) ثم قام من الصلوة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن (٣٦) فقال لهم لماذا انتم نيام تو صلو الصلاة فخلوا في تجربة - (٣٧) وبينما هم يحكم اذا جمع والذي يدعى يهوذا واحد من الاثني عشر يقدهم فذنا من يسوع يقده (٣٨) فقال ليسوع يا يهوذا القبلية سلم ابن الانسان - (٣٩) فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا يا رب انضرب بالسيف - (٤٠) وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة قطع اذنه اليمنى - (٤١) فاجاب يسوع دعوا الى هذا وليس اذنه وابرا (٤٢) ثم قال يسوع لروسا والكهنة وتواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه - (٤٣) على امر خرجتم بسبوت وعصى ..

ولهذه الواقعة الغريبة ذكرني مرقس ومتى ذنى البعض ما لم يذكرني الاخر فجمع لك ما يتم به اطراف هذه القصة ولا تلمن الخطاب الكلام فان الواقعة مهمة جدا ففى مرقس (٣٤) (٣٣-٣٢) ثم اخذ مسحة بطرس (اى شمعون الصفا) ولتقوب ويوحنا وابتدأ يدهش وكتب - (٣٤) فقال لهم نفسى خزية جدا حتى الموت اكلتوا ههنا و اسهروا - (٣٥) ثم تقدم قليلا وخر على الارض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان امكن - (٣٦) وقال يا اسبى الاب كل شئ استطاع لك فاجز عني هذه الكاس ولكن ليكن لاشيئي بل شئت لك - (٣٧) ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس يا سمعان انت نائم اما قدرت ان تسهر ساعة واحدة - (٣٨) اسهروا وصلوا الصلاة فخلوا في تجربة اما الروح فنشط . اما الجسد فضعيف - (٣٩) ومضى ايضا وصلى قائما

ذلک الکلام بعینه - ۴۰ نم رجع و وجد ہم ایضاً یا ما اذکانت اعینہم ثقیدہ فلم یعلموا
 بماذا یکیبونہ (ای علی توبیخ ایاہم) - ۴۱ نم جاء ثالثہ وقال لہم ناموا الآن واسترجعوا
 (ای قدحم الامر ووقت علی الیہود سیات ماکسبوا وانا لم آل جہد نے دعائی لہم
 کلامیہ فقال) یکین - قد ات الساعۃ، والباقی یشبہ باقدم -

دنی متی (۲۶: ۳۶-۴۵) مایشبہ ذلک غیر ان فیہ "نم تقدم قليلا وخر علی وجهہ
 کان یصلی...،، نصح بالسجود دنی لوقا کتبی بذکر الرکوع فقط. واما ثلثو خاتمہ بذکر
 صلوة المسیح و لکن ذکر فی ہذا الموضع من کلامہ علیہ السلام الملم بذکرہ غیرہ مع زیادۃ
 من الکذب فندکر منہ ما یدل علی کون ہذا الکلام عندک الکاذبۃ علی الطرف
 الآخر من قضاء اللہ علی قوم الیہود و ہو طرف الرحمة من الدنیوتہ وادخرہا للرب
 لمن یؤمنون فی الآخرین تلین قلوبہم کاکثر ذکرہ نے التوراة وصرح بہ القرآن
 فی سورۃ الاعراف و ہو قولہ تعالیٰ [قال عبدالبی اصیب بـ من اشاء ورحمتی
 وسعت کل شئی ناکتبہا للذین یتقون ویوتون الزکوۃ والذین ہم بآینا یؤمنون.
 الذین یتبعون الرسول النبی الامی الذی یکذبونہم مکتوب باعدہم فی التوراة والانجیل
 یامرہم بالمعروف وینہیہم عن المنکر ویکل لہم الطیبیت ویضع عنہم الاصر والاخلال
 التی کانت علیہم فالذین آمنوا بہ وعزودہ ونصروہ واتبوا النور الذی انزل منہ
 اولئک ہم المفلحون] فی یوحنا (۱۲: ۲۳-۳۶) "واما یسوع فاجابہما قائلاً
 قد ات الساعۃ لیرفع ابن الانسان - ۴۲ اتحتی اتحتی اتقول لکم ان لم تقع
 جتہ الخبط فی الارض ولقیبت فیہی تبتی وحبہا لکن ان ماتت تاتی ثمر کثیرہ ہن
 یحب نفسہ لیضہبہا من یہین نفسہ فی ہذا العالم یخفظہا الی حیوۃ ابدیۃ - ۲۶ ان
 کان احد یخد منی فلیتبعنی وحبث اکون انا ہناک ایضاً یکون خادمی - وان
 کان احد یخد منی یکرمہ الرب - ۲۷. الآن نفسی قد اضطربت وماذا اتقول

كان اضطراب لأمريين شقوة اليهودية والباطنة بأيديهم والاول قد علم انه لابد واقع والتكاليف
 كان لأمريين خوف ذلة الحق امام الباطل وخوف فتنه الناس بذلك كما جاء في
 القرآن في ذكر دعاء المؤمنين عند خوف غلبة الباطل. [ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين و
 نجنا برحمتك من القوم الكافرين] ايضا [ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير
 ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا] كما بين ذلك ما يتلو فقال ايها الرب نجني من هذه الساعة
 ولكن لاجل هذه الآية الى هذه الساعة - ٢٨ ايها الرب مجد اسمك فجا صوت من السماء
 مجدت و اجد ايضا - ٢٩ فابحى الذي كان واتخذ سمع قال قد حدث رعد وآخرون
 قالوا قد كلته فلأك - ٣٠ اجاب يسوع وقال ليس من اجلي صار هذا الصوت بل من
 اجلكم (اي يرفني ربي ولا تفصل الى ايدي الظالمين لكي تحفظوا عن الفتنة) - ٣١ الآن
 دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا (المراد بالعالم ههنا اليهود والملاحدة
 بطرح رئيسهم طرح اتباعه وقوله خارجا اي عن منصب حل الشريعة فانهم هناك
 طردوا عن القيام امام الرب) - ٣٢ وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب
 الى الجمع ٣٣ قال هذا يشير الى آية ميتة كان مرصعا ان يموت (هذه زيادة من
 الرواة وهي باطلة فان المسيح انما قال ان ارتفعت ولم يقل ان مت وكذلك
 في سائر اقواله) - ٣٤ فاجاب الجمع نحن سمعنا من الناموس ان المسيح يقي الى الابد
 فكيف تقول انت انه ينبغي ان يرتفع ابن الانسان من هو هذا ابن الانسان -
 ٣٥ فقال لهم يسوع انور معكم زمانا قليلا بعد (هذا يشير الى ذاب كتاب الله من عندهم
 بعد زمان حتى جاء ذاك النور مع النبي الذي بشر به المسيح والى هذا يشير ما جاء
 في امر آفان من سورة الاعراف وهو قوله تعالى [واتبعوا النور الذي انزل معه]
 فارج اليه) فيسروا ما دام لكم النور مثلا يدرككم الظلام والذي يسير في الظلام
 لا يعلم الى اين يذهب - ٣٦ ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتسيروا ابنا النور لتكملي

بئذا ثم مضى واخفى عنهم، بئذا اصح وجه القصة ولم يذكره غيره وها هو صريح في ان المسيح غاب عن الناس ولم تقع عليه ايدي اليهود وادري ان اختفاؤه كان آخر القصة ولكن احتطت الروايات وقد مواد اخر وامن غير علم. ايضا (٥: ١٦-١٣) واما الآن فاننا ماض الى الذي ارسلني وليس احد منكم يبالي مني اين تمضي. ٦ لكني لاني قلت لكم بئذا قد ملأ الخزن قلوبكم. ٧ لكني اقول لكم الحق انه خير لكم ان اطلق. ٨ لانه ان لم اطلق لا ياتيكم الفارقليط ولكن ان ذهبت ارسل اليكم. ٩ ومتى جاء ذاك يكيث العالم على خطيته وعلى بر وعلى دينونة. ٩ اما على خطيته فلانهم لا يؤمنون بي. ١٠ واما على بر فلانني ذهبت الى ربي ولا تروني ايضا. ١١ واما على دينونة فلان رئيس هذا العالم قد دين (اي نفخ الميهو وثبثه امور) عدم ايمانهم بالمسيح الذي جاء مصدقا للتوراة ولبشارة وبرائته منهم وخذ لانهم. الذي عبر عنه بقوله "الآن دينونة هذا العالم". الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا، كما مرنا ويدا آفا. (١٢ ان لي امور كثيرة ايضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تسمعوا الآن. ١٣ واما مني جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يحكم من نفسه بل بكل ما يسمع فيحكم به ويخبركم بامور آتية،

ايضا وصاف ٢٠ الحق الحق اقول لكم انكم ستبكون وتوحدون والعالم يفرح. انتم تحزنون ولكن خزنكم تحول الى فرح. ٢١ المرأة وهي تكد تحزن لان ساعها قد جاءت ولكن متى ولدت الطفل لا تكد تذكر الشدة بسبب الفرح لانه قد ولد انسان في العالم. فمثل زمان غيبة بزمان الخاض وزمان ظهور البني الموعود بزمان الولادة ايضا (١٦: ١٢) ٢٢ هوذا انا في ساعة وقد اتت الآن تنفرون فيها كل واحد الى خاصته ويتركوني وحدي وانا لست وحدي لان الرب معي، بعد ذلك ذكر كلامه بالرب ثم ذكر قهقهة هجوم الكهنة عليه ودلالة يهودا. مشايها لما نرى الاناجيل الاخر. ولا شك بانه زيادة غير صحيحة بعد ما قال انه مضى واخفى عنهم. وما ذكرنا يتبين للمقابل ما وقع من الدينونة

الغنى على بقية الزيتون - طرد قوم دوى قوم ثم يدعى التاجون من الاول فكان اختلاط
الرحمة والشفقة والنور والظلمة وعند ذلك تسكب العبرات وتصدد الزفرات وترى السبح
هناك كالشمع فى آخزو بانه دسدة وجمانة . افرغ جده لقومه ثم غم الياس ثم سكة
الرجاء فاضطرب تحت عواصف الهوم كالبحر المتلاطم ثم فى الزيتون المناع
الى دينونة اخرى مع فوح عليه السلام وسياتيك ذكرها -

(٤) (وجه الاستشهاد على الدينونة بطور سينين)

واما طور سينين فلا يخفى ان الله تعالى اعطى عليه الامانة اتمه ضعيفه قد صبرت
على ظلم اعداء الله فاجابها من ايديهم بيقوتية ورفع امرها وددان عدوها ثم اعطاها ما سوا
ذابا سر شهيد على الظالمين الكافرين فكان هذا العطاء العظيم رحمة على الضعفاء
وانتقاما من الاتقياء وكان ايضا اجرا للعاشرين وجزاء للكافرين وهذه اثنين لك
مما جاء فى القرآن والصحف الاولى . وفى القرآن فى ذكر فرعون وقومه [فاستغف
قومه فاطاعوه انهم كانوا قومًا متقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقهم اجمعين فنجبلهم
سلفا ومثلا للآخرين] وايضا [دمت كلمة ربك الحسنى على نبي اسرائيل عاصبرها
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يصرون .] وايضا [ان فرعون علانى
الارض وجبل اهلها شيئا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان
من المفسدين . ونريد ان يبين على الذين استضعفوا فى الارض ونجلهم ائمة ونجسهم الاثمين
ونكمن لهم فى الارض ونرى فرعون واهل من وجوههم ما كانوا يندرون .] اما الصحف
فقد صرحت بان الله تعالى رحم على نبي اسرائيل ليدين به الكفار وليقيم به ما وعد اباهم
الصالحين من البركة والسنة . ففى سفر التثنية (٤ : ٤) ليس من كوكبكم اكثر من سائر الشعوب
المتق الرب كلم واخراكم - لانكم اقل من سائر الشعوب . بل من محبة الرب اياكم

وحفظ القسم الذي اقسم لآبائكم اخرجكم الرب بيد شديدة وفدكم من بيت
 العبودية من يد فرعون ملك مصر ۹ فاعلم ان الرب الهكم هو الله الاله الالامين
 الحافظ العهد والاحسان للذين يحونه ويحفظون وصاياه الى الف جيل ۱۰ والجائزي
 الذي يبنضونه بوجوههم يهلكهم لا يهمل من يفتخروا بصيرته بجائزته ۱۱، وايضا (۹: ۵) ليس لاجل
 برک وعدالة قلبك تدخل لتمتلك ارضهم بل لاجل انهم اولئك الشعوب يطردوهم
 الرب الهكم من اماكنكم ولكني لاني بالكلام الذي اقسم الرب عليه آباءكم ابراهيم
 واسحق ويعقوب ۱۲ فاعلم انه ليس لاجل برک يعطيك الرب الهكم هذه الارض الحبيبة
 لتمتلكها لانك شعب صلب الرقبة ۱۳ اذكر لانس كيف اسخط الرب الهكم
 في البرية من اليوم الذي خرجت فيه من ارض مصر حتى اتيت الى هذا المكان كنتم
 تقاومون الرب ۱۴، ثم ذكر انما ذبحهم العجل حين ذبح عنهم موسى وصعد الى
 طور سيناء لاختد لحي العهد ۱۵، ثم ذكر ما يتبين ان الله تعالى وعاموسى الى الطور
 لاجل اتمام النعمة على ذرية الصالحين لكن بهم في الارض ليكونوا شهداء لله بالدين
 الحق وليهلك بهم المفسدين الكافرين فكان ذلك دينونة رحمة ونقمة وثواب
 وعذاب ليعلموا انه هو العزيز الرحيم الديان الحكيم.

(۸) (وجه الاستشهاد على الدينونة بهذه البلد الامين)

اعلم ان الدينونة التي وقعت في كمة كانت اوسع رحمة للناس وباقية
 الى الابد وبيان ذلك ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه السلام بكلمة فامتهما
 وبعده فوفى حتى قارب في آخر عمره بكبره الوحيد البار السعيد اسمعيل فحينئذ بارك
 الرب ولبشره باسحق واعطاه عهدين في ذرية منهما فاما عهده في اسحق
 عليه السلام فاتممه حين دعاه موسى عليه السلام الى الطور واعطاه الكتابين

ثم استمر على ثلاث اليهود حتى امتلأت كاسهم حين هوى القبل آخر انبياءهم ففزعهم عنهم كما مر
وكان فيه دينونة مخفية بطائفة من بني آدم والى زمان . واما عهدہ فی اسمعیل فاودخرہ
يقيم به النعمة للصالحين والنعمة للجاحدين من الناس اجمعين . فجعل تمام الدينونة المنتشرة
حتى تاتي الدينونة الآخرة يوم القيامة يوم الفصل التام . ولابد للاتمام والاكمال ان ياتي
في الآخر ولكنه موعود ومقرر من ادل الامور والى هذا يشير كثير مما جاء في الصحف الالهية
والقرآن مثلاً « الحجر الذي رفضه البنائون صار راس الزاوية . من قبل الرب
كان هذا هو عجيب في اعيننا ومن سقط على هذا الحجر تير فضض ومن سقط هو عليه يسحق »
وقد ضرب المسيح اشكالا كثيرة لهذه الدينونة المنقطة وسماها ملكوت الله وصرح بان الاله بهم
الآخرون الاولون فقال في مثل الاكارين كما جاء في متى ص ٢٠ ١٤ « هكذا يكون
الآخرون الاولين والاولون آخريين » ، وكذلك صرح بان اتمام الحق والنور يكون
عند ذاك كالتقاء . واذا كان الامر كذلك جعل مركز هذا العهد بلده ايمنا محفوظا عن الاعداء
واختار له خيراتهم ليكونوا شهداء الله على جميع اهل الارض وليثبت فيه نبيا على كافة
الناس واثم به الشرائع والحكمة لكيلا يبقى للناس حجة بعد ذلك عند دينونة
في القيامة وبين القرآن هذه الامور في مواضع فيها قوله تعالى [واذا تبلى ابراهيم
ربه بكلمت قائمهن قال اني جاعلك للناس اماما - قال ومن ذريتي - قال
لا ينال عهدى الظلمين . واذا جعلنا البيت مثابة للناس وامنا - واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى - وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان نطهر ايمتى للطائفين والعاكفين والركع
السجود . واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهل من الثمرات
من آمن منهم بالله . واليوم الآخر قال ومن كفرنا متة قليلا ثم اضطره الى عذاب النار
وبئس المصير . واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل - ربنا تقبل منا انك
انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وازنا

مناسکنا و تب علینا انک انت اتواب الرحیم ربنا و البعث فیہم رسولانہم یتو
 علیہم انیک یعلمہم الکتاب و الحکمت و ینزیکہم انک انت العزیز الحکیم [نا تم اللہ عہدہ
 بابرہیم و جملہ اما للناس باعہد امیہ و الی اسمیل سدانہ بیتہ و جملہ شایہ للناس
 و اسنا و استحاب و عادہ فبعث فیہ رسولاً و کل ذلک لما و جدہ کاملان فی الہودیتہ
 و فی التوراة ان اللہ وعدہ بان یبارک بہ الامم فوقع جمیع ہذہ الامور و بقی
 ہذا البلد مامونان عہد ابراہیم و الخاطبون قد علموا ذلک و قد شہدوا کیف اہلک اللہ
 اصحاب الفیل حین راموا کید اخلاف ہذا البلد ہذا اما مرکز عہدہ فی ذریۃ اسحق
 فدارت علیہ و علی اہل الدوائر و صرح بذلک فی الصحف کثیراً و تجد ذکرہ فی تفسیر
 سورۃ الفیل و نا یحیی ذلک علی من نظر فی الصحف الاولی و اما ذکرنا تبیین مالہ بنوۃ
 الی وقت فی ہذا البلد من اسقہ و احسنی داحد اللہ فی الآخرة و الاولی و جملة
 ما نورنا فی ہذہ الفصول ان اللہ تعالی ذکر ہذہ المواضع لکونہا شاہد لہ بنوۃ انشا
 فی الدنیا و جزاء ایاہم حسب اعمالہم لیبین لہم ان ربہم لم یخلقہم سداً لم یفیل
 عن احوالہم فانزل الیہم الکتاب و الذکر می و اکثر لہم من التذکر و البشری
 فہیاً لہم ما یتدون بہ حسب ما اودع فطرتہم من الاستعداد للرقی الی مدارج
 الکمال و حل ذلک دلیلاً علی وقوع الدین فی الآخر کا قد سنا ذکرہ فی الفصل الاول

(۹) (نظیر ذلک فی التوراة و تحقیق مقام سعیر)

قد جاء فی التوراة ما ہونی غایۃ الشاہدہ باءل ہذہ السورۃ و تذکرہ لما ینہ
 تصریح ببعض ما ذکرنا - سفر التثیۃ (۳۳ : ۱ - ۴۷) و ہذہ ہی البرکۃ الی
 بارک بہا موسی رجل اللہ بنی اسرائیل قبل موته فقال - ۲ جاء الرب من
 سیناء - و اشرق لہم من سعیر - و تلاً لاً من جبل فاران - و اتی من ربوات

القدس - وعن يمينه سنته نار لهم - فاحب الشئ (بعد ذكر ذلك) التفت فحاطب
 الرب قائما) جميع قدسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من اتوا اليك - هم بنائين
 اوصانا موسى ميراثا لجماعة يعقوب ، و بعد ذلك دعا لقومه بالبركة وكان ذلك آخر كلامه
 ولا يخفى على المتدبر ان في تقديم هذه البك قبل البركة اشعارا بان الله تعالى لم يزل يعطي البركة
 للذين اطاعوه و يتجلى لهم بمراحمة فكذلك يبارك في الشئ اذا اطاعوه و يتقبلوا ما انزل
 اليهم من احكام الرب و وصاياه . و اذا تبين لك في الاستبان لك ما في هذا الكلام
 من المشابهة بما ذكرنا من التاويل ومن ان المراد بهذه الاسماء هي مشاهد ظهور الرب
 بافعاله سواء كانت هذه المواضع الاربع مطابقة بالاربع التي في هذه السورة كل المطابقة
 او بعضها و التامل يهدي الى المطابقة التامة فان المطابقة بين الثالثة من هذه الاربع
 ظاهرة جدا . فانه لا يخفى ان سيناء اسم آخر لطور سينين و فاران اسم جبال
 مكة باتفاق اهل العلم منا و في التوراة شواهد على ذلك كما هو مبسوط في تفسير الصلوة
 و ابواب القدس عبارة عن جبال القدس التي كثر ذكرها في الاناجيل بحبل الزيتون
 فلم يبق الا بيان المطابقة بين السنين و سعيير . و نذكر لك ما يؤيد ذلك و الله اعلم .
 قدم في الفصل الثالث ان السنين هو اذل سكن بني آدم و هو الجودي اذ قرب
 منه فالآن نقول ان سعيير سماجا في صحف اليبس و اسم جبال اودوم التي هي
 بنو اسرائيل عن تلكها و هي بلاد نسيجه الارجاء كثيرة الملوك و القبائل و يرمعون
 بان اودوم هي بعيص بن اسحق و ان منهاه الاحمرة و انه كان احمر تويا شديدا بطش
 و اودوم و بنو اودوم هم اولاده سكان سعيير و اما موضع فالتبس عليهم مثل كثير من
 مواضع البلاد كما اعترف به علماء هم و ذلك بانهم جمعوا الروايات المتناقضة
 فمع ظهور انهم يجعلونه في جنوب الشام تراهم يذكر دن ايضا ما يدل على كونه
 في الشمال و المشرق من بلادهم فنفى سفر العدد (٣٤ : ٤) و هذا يكون لكم

تحم الشمال - من البحر الكبير (امی بحر الروم) ترسمون لکم الی جبل ہور، وجبل ہور نے طرف اودوم کا جاؤ فی سفر العدد (۳۳: ۳۷) "ونزلوا فی جبل ہور فی طرف ارض اودوم ویتین من ہذا ان الخط الذی یمر من البحر الکبیر الی الشرق یلج ارض اودوم علی جانب الشمال والشرق من ارض بنی اسرائیل وذلک یطابق ما ذکرنا من موضع التین - ویؤید ذلک امور الاول انہم یدکرون ان اودوم ماخذہ الاولیہ وذلک ہو الماخذ لاسم آدم علیہ السلام فالاقرب ان اودوم سمی بہذا الاسم لماکان مسکن بنی آدم. واثانی انہم یدکرون ان اودوم ہو اسم آخر لسیمر فی العبرانیۃ ہو الطون فالاقرب ان الجودی سمی لسیمر وکان عندہ مسکن بنی آدم الی ان تفرقوا بعد ما کثر اولاد نوح علیہ السلام واثالث انا لا تجد فی مصنفہم امر اعطیہما وقع علی موضع یرسمون ان المراد باسم سیمر فالاقرب ما ذکرنا من مطابقتہ التین لسیمر وادوم - ذلک - والذاعلم

(۱۰) انظرۃ فی الظہیرین من جہۃ النظم والبیان

بعد ظہور المطابقتہ بین الظہیرین لعلک تل عن وجہ الاختلاف بینہما فی ترتیب ہذہ الاسماء فاعلم انہ کثر فی القرآن والتوراة ذکر الامور انفسہا علی اسما من الترتیب وکل وجہ صحیح. والآن ندلک علی وجہ الترتیب ہینا حسبما یظہر عند التعلل اعلم. اما القرآن فرودعی فیہ ترتیب الزمان والمکان وجمع المثل بالمثل وذلک بان قدم الدینیۃ الاولیۃ لقدمہا زمانا ثم اردہا الدینیۃ المسیحیۃ لما بین آدم والمسیح علیہما السلام من الممانتہ کما قال تبارک [ان مثل عیسی عند اللہ کمثل آدم] وایضا شجرۃ التین جلت تذکرۃ للسلب والعطا فانہا تنقری زمانا ثم تلبس وتثمر فصارت آیۃ لما وقع علی آدم وذریۃ کما مر فی الفصل الرابع وکذا الذلک المسیح علیہ السلام ضرب شجرۃ التین فی غیر

اوان ثمرها مثلاً لذها به وشقوة انت به وذا يظهر للمتدبر مما جاء في متى (٢١: ١٨-١٩) وقرس (١١: ١٩) ولوقا (١١: ١-١٩) ثم جعلها مثلاً وهي مورثة لمحيي وسعادة قومه كما هو مصرح به في متى (٢٢: ٣٢-٢) وقرس (١٣: ٢٨-٢٩) ولوقا (٢١: ٢٥-٣١) ثم ذكر الدينونة الموسوية واراد فيها الدينونة المحمدية لما بين موسى ومحمد عليها الصلوات من الملائكة كما هو ظاهر وكما قال تعالى [انا ارسلنا اليكم رسولا كما ارسلنا الى فرعون رسولا] وكما جاء في البشارة المشهورة لبينا صلى الله عليه وسلم في سفر التثنية (١٨: ١٨) " اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم شكك واجعل كلامي في فمهم بكل ما اوصيه اذ يكون ان الان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي انا اطالبه " فانظر كيف راعى الترتيب الزماني بين آدم وحواء وارادها بشليها " جعل النظم كالبجنان المفصل بتمه انظر كيف جعل هذه البقاع مع رعاية المناسبة المنوية مرتبة حسب المكان فان اليتين اقصاها في الشمال والمشرق ثم جعل الزيتون في الشام ثم الطور في المغرب والجنوب ثم مكة في أقصى الجنوب وكذلك كان مسير ابراهيم عليه السلام في هجرته من اور الكلدانيين الى كنان ومصر حتى انتهى الى مكة . وقد مر في الفصل الرابع ان موضع اليتين هو الذي وقعت عنده الدينونة في عهد نوح عليه السلام وكذلك مكة موضع عهد الرب بابراهيم عليه السلام الذي دعا ان يجعلها الرب بلدة امينا وذكرها بهنا بهذا الاسم يلحق الى ذلك نصارات الآيات جامعة لما اظهر الرب من الدينونة في عهد آدم ونوح وموسى وعيسى وابراهيم ومحمد عليهم الصلوة . ونظير ذلك قوله تعالى [ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين] فنخص هؤلاء بالذكر ولا يخفى ما في جمع اليتين بالزيتون وطور سينين بالبلد الامين ايضا من المناسبة الظاهرة جمعا وفترقا . وايضا في قران اليتين بالزيتون مناسبة اخرى لطيفة وذلك بان في الزيتون ايضا الماعا الى بركات نوح . وبيان ذلك ان نوح عليه السلام بنسبه ينسب اليها بالزيتون كما جاء في سفر التكوين (٨: ١٠) فليست ايضا سبعة

ایام اخر و عا و فارسل الکامۃ من الفلک - ۱۱ فانت الیہ الکامۃ عند المساء و اذا ورتۃ
 زیتونۃ خضراء فی نمبہا - فعلم نوح ان المیاء قد قلت عن الارض ،، و لما ذکر تبیین ما فی ہذا
 الترتیب من المناسبتۃ من وجوہ کثیرۃ - و اما التوراة فالنحاطبون بہا البسطاء فبلغ
 فی التصریح نقال جاء الرب و فی التصوير نقال اشرق و ثلثا لأفعلی ہذا الاصل ذکر
 الاقرب فالاقرب . تقدم طور سیناء ثم تقدم خطۃ فذکر سعیر موضع دینوتۃ استخرج
 ثم رجع فذکر من کان مثل موسیٰ و کان ظہورہ من فاران و قد لبسہم بہ و عرفہ ہم
 کل التعریف ثم مثل الاول تقدم خطۃ فذکر من کان قبل آتیا من رجوات القدس
 و اذ کانوا صلب الرقاب راعی جانب التوفی فذکر الیتیم باسم سعیر دلالتہ علی
 موضع الطوفان و کذلک ختم الذکر بقولہ " وعن یمینہ سنتہ نارہم ،، فراعی فی ہذا الکلام
 ایضا وجہ البلاغۃ حسب مقتضی الحال و کل حال مقال و تختلف الصور مع اتحاد المعنی
 و اللہ تعالی اعلم و علہ حکم .

(۱۱) (فی تاویل المقسم علیہ و ہو قولہ تعالی [لقد خلقنا الانسان - غیر ممنون])

قد سبق فی امران المقسم علیہ ہوا امر الدینوتۃ و قد اقسام علیہا فی سور اخر و جعلہا
 اکبر مطالبہا فلان ذکر بہنہا الاماتحتاج الی ذکرہ فی ہذہ السورۃ فاعلم ان اللہ تعالی
 جعل الرحمۃ اصل کما یفعل ببادہ فاعطى الانسان اول احسن تقویم ہذہ
 العیطۃ تلزمہا الدینوتۃ کا وقت و لکنہ تعالی مہدلہ منہا سبیلا الی حمیتہی اکبر و اتم
 فالرحمۃ کما ہی اصل الدینوتۃ و بذربا فکذلک ہی فرعہا و غمرہا و علی ہذا الاصل ذکر
 فی المقسم ثلاث مراتب الانسان اولہا و وسطہا و آخرہا . و اخبر عن عموم حالہ من حیث
 نوعہ و جعل داقۃ آدم علیہ السلام مرآۃ لذلک . و بیان ہذا الاجمال ان اللہ
 خلق الانسان فی غایۃ احسن من انخلقہ علی طریق مستقیم من الفطرۃ حرا کما ملأہا

بالخير والشر فخراني الارادة والفعل كما قال تعالى [ونفس وما سواها فإلهيها
 فجوهرها وتقوها] لكي ينجح جانب الخير من نفسه ويختار جانب التقوى فيطبع ربه بعد
 المحرقة وذلك ارفع منزلة من طاعة من فطر عليها وسخر لها فذلك قوله تعالى [لقد
 خلقنا الانسان في احسن تقويم] فكون الانسان في احسن تقويم هو وضعه بين
 المتقابلين المتضادين من الميل الى الخير والشر مع العلم بهما والاختيار بينهما وجعل حب
 الخير اصل فطرته وذلك بان تربيته التقوى وابرارها واكمالها منوط بالجهد والكسح و
 لا بد للاختيار من هذه المشقة ليخلص الضمار من الخبث وهو المراد من التزكية والابتلاء و
 لولا هذا الجهد والكسح لما رتقي الانسان الى ذروة الكمال الذي اودع الله فطرته وجعله
 بذلك احسن خلقه علما وعملا وحكمة وزكاة . واذ من عليه ربه بالاختيار عامله معاملة الاحرار
 فاخذ منه عهد اللطاعة وبذلك صار موقعا للدينونة فلما نسى العهد قلعه عزمه كما قال تعالى
 [ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما] تصدى للدينونة فذلك قوله تعالى
 [ثم رددناه اسفل سافلين] ولكنه تعالى اذ فتح له غرفة الهام الفجور والتقوى تداركه
 بوحى التوبة كما قال تعالى [فخلقى آدم من ربه كلمت كتاب عليه] فنهض الانسان بعد
 هبوطه احسن مما كان فاجتباها ربه كما قال تعالى [وحصى آدم ربه فغوى ثم اجنبه
 ربه فتاب عليه وهدى] وهذه دينونة ثمانية وكما ان الاولى لم تكن مختصة بآدم بل
 عمت ذرية فذلك جعل هذه الثمانية عاتية فان كل من تاب بعد الالة تاب الله
 عليه ويهدى كما قال تعالى [قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى
 فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون] فكما عرض وحى التوبة على آدم فذلك لك يعرضه على ذرية
 بواسطة الانبياء فمن تلقاه كان على سنة آدم وادبى ما سلب بل ما هو جبر والتقى
 فذلك قوله تعالى [الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون] فهذه ثلاث
 مراتب فى احوال الانسان . ويشبه هذه الايات قوله تعالى [انما عرضنا الامانة

على السموات والارض والجمال فابين ان يجعلها واشفق منها وجعلها الانسان انه كان
 ظلوما جهولا (ظلوما من جهة العمل فاجترأ على امر عظيم فظلم نفسه واوردها بها لك جهولا من جهة
 العلم فجاز على امر لو تبينه وعلم كنهه لاشفق منه ولكن لولاها لما ترقى فان كل فوز في المخاطرة
 كما ذكر نتيجة ذلك فقال تعالى) ليغذب الله المنافقين والمنفقات والمشركين والمشركت
 ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما [فكان احتمال الانسان
 الامانة كمال استمداده وكان ظلمه وجهله لما انطوى به الاستعداد على الزلة
 والعقبات والنهوض فيتوب الله على من انتش بعد العثرة مثل آدم فيفوز بالايجاب -
 وهما ذكر تبين ان هذه الآيات الثلاث جامعة تمام قصة الانسان ودينوته من اول
 خلقه الى نهاية مبلغه وناظرة الى حالة آدم وهبوطه مع ذريته - وعلى هذا يفهم من [اسفل
 سافلين] حالتهم حين ارجعوا الى هذه الدار الدنيا حينذ حرف [الا] للاستدراك
 اى ولكن المؤمنين تسيرون بعد الهبوط فيفوزون باجر دائم - واما من فهم من [اسفل سافلين]
 حالة الكفار فقط جعل الاستثناء متصلا اى بعد خلق الانسان في احسن تقويم ردونا بهم
 اسفل سافلين غير الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهو لا ولم يردوا من الحالة الاولى
 ولا ينحى ان هذا التاويل الاخير ضيق ولبيد كونه غير مطابق لمعوم خلق الانسان ولناظر
 الى قصة آدم وهبوطه مع ذريته فان الرد حينئذ يكون مخصوصا بالكفار - واما التاويل
 الاول فهو ادسع واتم ويؤيده ما ذكرنا من نظيره فان قوله تعالى [انه كان ظلوما
 جهولا] غير مختص بالكفار ثم فرق بين الكافرين والمؤمنين - واعلم ان كلا من
 التاويلين يحمل على فرض التاليف الاضافى في [اسفل سافلين] ولكن
 ان جعلت [سافلين] حالا وهو احسن كان [اسفل] عاما مشيرا الى قصة آدم
 وهبوطه مع ذريته سواء جعلته طرعا وحالا وعلى هذا الاستثناء واما [اسفلين]
 ففيه وجهان - الاول ان تجعله ايضا عاما فان الله تعالى لم يرد بهم الى اسفل الابان

اختار الانسان سفلا نفسه وعلى هذا تكون حرف الالاستمدراك امي- لكن المؤمنين بعد
ان كانوا سافلين حين اهبوا انهم صوابوا فليهم اجر دائم- وهذا ما ويل حسن راجح كما هو
ظاهر. والوجه الثاني ان تخرج المؤمنين من [سافلين] وعلى هذا يكون الاستثناء
متصلا امي المؤمنون مع الهبوط لم يكونوا سافلين ولكنهم عرجوا من السفلى الى العلو واما الكفرون
فبقوا فيما رددوا اليه بل ازدادوا سفلا-

(۱۲) (في تاويل قوله تعالى [فما يكذبك بعد بالدين - احكم الحاكمين])

فوجه اني تاويله الى قولين : الاول - فاي شئ يكذبك ايها الانسان بالدين - واختاره
مجاهد فانه لما قيل له معنى به النبي قال معاذ الله انما عني به الانسان واختاره الزمخشري ثم
زعم ان [يكذبك] معناه يحكمك على الكذب وهذا ما ويل حسن لو ثبت ولعل اخذه
من انكار مجاهد فان الكذب بهذا المعنى محال ان ينسب الى النبي ولكن لم يثبت
على هذا المعنى - والثاني - فما يكذبك ايها النبي بعد ذلك بالدين وذهب اليه الفراء
وهو مصيب في انه لم يصرف الكلمة عن المعنى المتداول ولكن يبعد عن سياق الكلام
وموقع الاستفهام فانه ليس في الكلام ما يناسب به خطاب النبي بهذين الاستفهامين ولا
التفريع بقوله تعالى [فما يكذبك] ولا ان يكذب الله تعالى [بعد] فالظاهر الاقرب من
اسياق حسن النظم ما ذهب اليه مجاهد مع القاء معنى الكذب على ما وجد في
كلام العرب وعلى هذا يسوغ تاويلان - الاول - فاي شئ يهاو و... ايها الانسان
بعد هذه الشهادة يتخالف قوله بوقوع الدين ويكذبك فيه : على انه يكون
الخطاب بالانسان عموما فيكون تثقيا لمن آمن بالدين وشا من تردد فيه : على هذا يتبين
اختيار كلمة [ما] فان الناس لم يزلوا يكذبون بالدين عدا و تقليد او اما
الدلائل والشهادات فليس فيها ما يكذب به نحا طيب نفوسهم لينظروا الى محض

الدلائل فیعلو انہ لیست فیہا ما یکذبہم بہ۔ واثانی۔ فای شئ من الامانی والظنون یخالف
صدرک فی امر الدین بعد ان ولت الوقائع والشواہد وعلیٰ ہذا یکون وجہ الخطاب
الی المنکرین خاصۃً ولہذا الخطاب نظائر دہنہا قولہ تعالیٰ [ایہا الانسان ما غرک بک
الکریم] ویؤیدہ ما جاء من اظہار ہم الظن فی امر الدینونۃ کما اخبر اللہ تعالیٰ عن قولہم
[ان لظن الانا] واما نحن مستیقین [وکلانا وایمان] واضح حسن کا یظہر واللہ تعالیٰ
اعلم وعلہ اعلم۔ وتمام الاستفہام الاول علی کلا التا ویلین ان تقرر الانسان بالذنوب
وتیرک ما یطیٰ الیہ من الشبہات سواء کان من الناس اومن قبل نفسه بعد ان کثر
شواہد ہا وظهرت براہینہا۔ وتمام الاستفہام الثانی ان یدعو بالذینونۃ کونہا من صفات
الرب تعالیٰ کما فیہ فیل ہم ایس اللہ با حکم الحاکمین کیف یکن ان تیرک الانسان
سعی غیر محرمی خیار ہم کاشرا رہم کما قال تعالیٰ [انفعیل المسکین کالجہین مالکم
کیف تکلون]۔

(۱۳) (فی نظم السورۃ یاسق ویا یحییٰ وفيہ اثبات ہذہ البعثۃ)

تقتضی السورتان السابقتان ما حصل البنی من اعباء ہذہ البعثۃ العظمیٰ المتی اسس
نبیہا بید ابراہیم واسمعیل علیہما السلام وحمل لاجلہما ہذا البلد ما سوتا من کید
الاعداء ولذلك اسکن فیہ ابراہیم ذریئہ دسبح ان اللہ تعالیٰ اخر امر ہا وغشی ضوبہا
طلعت الی دہ ما ودعہم دما قلا ہم حی اشترقہ بنور اتم نبیہ فیہ ہذا البنی لیکل مقصد بناء
ہذا البلد وہو التوحید اکمل والمواساة بالصفاء والرب تعالیٰ حکیم عظیم
بالمصالح وحمل کل امر اجلاس فی مذکر فی سورۃ التین کیف یدین اللہ
الانسان بالحدیثہ من ہنیم امہ بعد امہ ویطہم الاماتہ ویرفع قوما ویضع قوما لہنیم
جہادونوا لہنیمہ دامتہ کما قال تعالیٰ [وہو الذی جعلکم خلئ الارض

ورنہ بعضکم فوق بعض درخت لیبلوکم فیما آنکم ان ربک سریع العقاب وانه لغفور رحیم
 فذکر فی ہذہ السورۃ شواہد علی ظہور برکات ہذا البلد دان ہذا بنی علی سنتہ اللہ باللسان
 من اول امرہ واما ذکرنا تبیین ان غایت ہذہ السورۃ اثبات ہذہ البتۃ اثباتا لیا لکون
 الرب تعالیٰ دپاناد احکم الحاکمین واثباتات تاریخیہا کان سلسلہ و جدت کلبا الا الحلقۃ المتمۃ
 او کان قصرا اتم بنیانہ الا البتۃ الاخرۃ کالبشر بہا السج علیہ السلام و جاسف
 الحدیث الصیح و ذکر کتبہ باسم البلد الامین لیشیر الی دعاء ابراہیم علیہ السلام
 من دعا ہذہ البتۃ ولامتہ سلسلہ تقوم بفرایضہا فلما بعث اللہ ہذا النبی امرہ باصرادہ
 و مورد الخفیۃ البیضاء الی کابلہا و هو الاسلام و اقامتہ السلم فی الناس و جعل
 طریقہا تلاوۃ آیات اللہ و تعلیم الشرائع و الحکمۃ و التزکیۃ کما انہما اللہ تعالیٰ عن دعاء
 ابراہیم من دعا ہذا البلد و بنی ہذا البیت المحرم [ربنا و اجعلنا مسلمین لک و
 من ذریتنا امۃ مسلمۃ لک و انا مناسکنا و تب علینا انک انت التواب الرحیم
 ربنا و البش فیہم رسولانہم یتو علیہم آتیک و یعلم الکتاب و الحکمۃ و یرکبکم انک انت
 العزیز الحکیم] و قد وضع اللہ لنا رباط ہذا البلد الامین و الاسلام و تلاوۃ القرآن
 دان ذلک ہو غایت ہذہ البتۃ البتۃ یشق قال تعالیٰ [تعز انما امرت ان اعبد
 ہذا البلدۃ الی حریمہا و لہ کل شیء و امرت ان اکون من المسلمین و ان اتلو القرآن
 فحسب ہذا الرباط نتیجہ سورۃ البلد الامین سورۃ اقرء و جعل نعمۃ القرآن غایتہ
 خلق الانسان و البرہان علی کونہ احسن تقویم و بین ذلک فی السورۃ النالیۃ
 قال [اقرء باسم ربک الذی خلق] الی قولہ [و علم الانسان ما لم یعلم] و اقرب
 منہ قولہ تعالیٰ - [الرحمن علم القرآن - خلق الانسان علمہ البیان] فذل علی ان
 القرآن مثل خلق الانسان من ادفع مظاہر رحمۃ نفع بینہا فانه یعطی کل شیء جماع
 جعلہ مستعدا لہ کما ہو مبوط فی موضعہ و بالجملة فکون الانسان فی احسن تقویم

يتبعه ان يعطى القرآن . فان ذلك هو الرجوع الى اسن تقويم ر
 برونه ما ادع في فطرته من الكمال . هذا والله تعالى
 هو الملهم للشاه والموفق للهاد و آخر دعوانا
 ان الحمد لله رب العالمين والصلوة على
 محمد النبي الامين . وآله وصحبه
 اجمعين

فہرست مصنفات صاحب ہذا الکتاب

اجزاء من التفسیر المسمی نظام القرآن

۲۴

تفسیر سورۃ تبت یا الی لب ۴

تفسیر سورۃ التحریم ۴

تفسیر سورۃ عبس و توتی ۴

تفسیر سورۃ القیامہ ۴

تفسیر سورۃ الدین ۴

تفسیر سورۃ الکفر و کفر ۴

تفسیر سورۃ العصر ۴

تفسیر سورۃ الذریت ۶

امعان فی اقسام القرآن ۶

الرای الصحیح فی من ہوا الذبیح ۱۰

اسباق النجوم، سہل طرز پر عربی گرامر بزبان اُردو حصہ اول ۴ حصہ دوم ۶

دیوان حمید، بزبان فارسی ۱۲

خردنامہ، ترجمہ امثال حضرت سلیمان علیہ السلام منظوم بزبان درسی ۱۰

تحفۃ الاعراب، عربی کی نحو جدید، اُردو نظم میں ۲

تطلب من مدرستہ الاسلامیہ، سرائے میر، اعظم گڑھ۔

تفسير
سورة

من

نظام القرآن تأويل الفرقان بالفرقان

تأليف
المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعة معارف أعظم كره

الهند

تفسير سورة الكوثر

فهرس مطالب الفصول التي في تفسير هذه السورة

- (١) ربط السورة اجالا بالتي قبلها والتي بعدها
- (٢) معنى كلمة كوثر لغته وتاويلها
- (٣) اقوال السلف في تاويل كوثر
- (٤) ماخذاق الهم ومرجها الى الاتفاق
- (٥) اللوامع الدالة على ان الكوثر هو بيت الله واحوله
الى لومة الاولى من قسمته بالكوثر من جهة الحج
- الثنائية من جهة تشبيه المساجد بالنهر
- الثنائية من جهة اشتراك معنى الكوثر
- الرابطة من الاشتراك في الواردين
- انما سميت كون فتح مكة ينبوع الكثرة
- السادسة لما سمي الله مكة مباركا
- السابعة من موقع نزول السورة
- الثامنة من تطبيق موضع منه بمبنة صلى الله عليه وسلم
- التاسعة من اشارته الى موضعه
- العاشرة من تطبيق طول الكوثر بالحرم
- (٦) انهر الكوثر صورة لروحانية الكعبة وما حولها من مترودا لبحاج

- ۱۱ (۷) نظیر ذلک فی ذکر روحانیت اور شلیم
- ۱۲ (۸) تاویل قولہ تعالیٰ «انا اعطینک الکونین»
- ۱۳ (۹) تاویل قولہ تعالیٰ «فصل لربک والنحر» و بیان ربطہ باقبلہ بوجہ :-
- ۱۴ الوجه الاول انه تبنیہ علی المقصود
- ۱۵ « الثانی انه اخبار بما یبقی الطاء
- ۱۵ « الثالث ان فیہ تسلیم
- ۱۵ « الرابع انه بیان ما عاہدنا بہ من الحج والصلوة والنحر
- ۱۶ « الخامس انه عہد بالتوحید
- ۱۶ (۱۰) المناسبہ بین الصلوۃ والنحر من وجہ :-
- ۱۷ الوجه الاول مناسبتہ الایمان والاسلام و فیہ بیان کون اوضاع
- الصلوۃ اقوالا لبلان الحال وان الصلوۃ اول الشرائع
- ۱۹ « الثانی مناسبتہ ایحیۃ والموت
- ۲۱ « الثالث کون الصلوۃ نحرًا
- ۲۲ « الرابع کون النحر صلوۃ
- ۲۴ « الخامس کوہما ذکر اللہ تعالیٰ
- ۲۴ « السادس کوہما شکر اللہ تعالیٰ
- ۲۴ « السابع کوہما تحقیق اللقوی
- ۲۵ « الثامن کوہما من المعاد
- ۲۶ « التاسع کوہما من الصبر
- ۲۸ « العاشر کوہما اقرار بالملک
- ۲۸ « الحادی عشر کوہما تقر بالی اللہ تعالیٰ

- ٢٩ الوجه الثاني عشر كونهما جلع العبادة الفطرية
- ٣٠ (١١) فيما يستتبع من تاويل الآية الوسطى وهي امور :-
- الامر الاول محل هذه الشريعة في الوسط الجامع وهو الكمال
- والثاني انحصار توبة اليهود والنصارى في قبول هذه الشريعة
- والثالث كون المسلمين فقط ورثة ابراهيم عليه السلام
- ٣٣ (١٢) تاويل كلمتي «دشانتك»، و«دالابر»،
- ٣٤ (١٣) تاويل قوله تعالى «وان شانتك هو الابر»،
- ٣٥ (١٤) موقع النزول ودلالته الصورية على البشارة
- ٣٨ (١٥) دلالات من مجموع السورة على امور مهمة وهي خمسة
- ٣٩ (١٦) بشارة الرضوان لامة محمد صلى الله عليه وسلم
- ٤٠ (١٧) برهان دائم متصل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم
- ٤١ (١٨) تصديق ما وعد الله ابراهيم من عموم البركة وفيه ذكر المشايخ بين ابراهيم
- ٤٢ وتحمي عليها الصلوة وان الكعبة هي ينبوع الكوثر

سورة الكوش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوشَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَسْ (٢) إِنَّ
شَانِكَ هُوَ الْكَابُتُ (٣)

(في عمود السورة وربطها بقلبها وبابها)

١- قد مر في تفسير السورة السابقة - أنها نزلت في ذكر الذين كبرت خيانتهم في ولاية الكعبة لما أهدم سد الحج ومناسكها وابلغوا حقيقة الصلوة والنحر بالطلال التوحيد والوحدة بالمساكين فبادر بالويل واللعنة، وحق لهم أن يسبهم الله بهذا الخير ويعطيهم من استحقه حسب سنته كما قال [وان تولوا يستبدل قوا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم] وكان الله تعالى ينزع ولاية الكعبة عن الخائنين فبهذه السورة بشر الله تعالى بنيه بأنه اصطفاها وامتد لولاية بيته المحرم وسكن خليفه وذريته التي يبارك بها الأمم، كما جاء في التوراة ولذلك سمي الله تعالى بهذا البيت [مباركاً وهدى للناس] ولا شك ان هذا العطاء هو الفوز الأكبر والخير الكوش وهو الضمان للوحش الكوش الذي يعطيه الله تعالى في الآخرة، فوضع هذه السورة بالتي قبلها كوقع ذكر النعمة بعد النعمة والعطاء بعد العطاء، والمتخلفين بعد المهلكين، وذلك أسلوب عام في القرآن، ذلك ولما كانت السورة الثالثة في إعلان الهجرة من جوارية حسن في نظم الكلام تقديم سورة التبشير

والتسليّة ليدل القرآن بتظمه على ان الله تعالى قضى باليسر قبل العسرة وان كان
وقوعه بعدها، قرى ان اعلان الهجرة الذي تضمنته سورة الكهف ون وضع بين سورتي
التبشير اعنى سورة الكوثر وسورة النقص ثم لما كانت هذه السورة بشارة
للنبي بكثرة اجابه و تقطع اعداؤه عن بركات المكتبة جاءت سورة الكهفون يانا لاصل
هذه المقاطعة وهو التوحيد الذي نبى عليه هذا بيت الله الواحد فلهذا اجمال القول
في عموم السورة وربطها، واما الاطمينان با ذكرنا فيرجى من تفصيل متبعه -

(تفسير كلمة كوثر و تاويلها)

٢- اعلّم ان تاويل هذه السورة مجوّز تحت كلمة كوثر، فالادلى ان نجث ادلا
عن معناها وقد اختلف فيه اقوال السلف رحمهم الله فلا بد من بسط الكلام حتى تبين
القول الرابع والتاويل الواضح والله تعالى هو الموافق للسادس .
لا يخفى ان الكوثر مبالغة الكثير فهو ذكثرة عطية وبركة وشروة فان الكثير هو الشروة
وقد سموه ابر الرجال كما سموهم بكثير وكثير وترى استعماله على طريق الصفة في قول لبيد
وصاحب ملحوب فجعا بموت وعند الرءاع بيت آخر كوثر
في قول امية بن ابى عائذ الهذلي

يخامى التحقيق اذا ما احدث من جسم في كوثر كما بجلال
فاستعمل الصفة بتقدير الموصوف اى في غبار كوثر، وقد جعلوا منه فعلا كما قال
حسان بن نشبة

ابو الان يجوا جارهم بعدوهم وقد ثار نفع الموت حتى تكوثر
فاكوثر بهما من جهة اللسان مخمل لثالثة وجوه من التاويل الاول انه
منقول الى الاسمية فصا مختصا بشئ سماه الله تعالى بالكوثر - والثاني انه

صفة قد رويها نصارى بعض التخصيص كقولهم "مرد على جرد" اى رجال مرد على خيل جرد وكقوله تعالى [والذريات] اى الرياح الذريات و [ذات الواح و دسر] اى تلك ذات الواح و دسر و هذا الكثير فى القرآن وكلام العرب ولكنه لا يوجد الا اذا كانت الصفة خاصة بالموصوف فيفهم من ذكر مجرد الصفة دولت على الموصوف قرينة اخرى . والثالث انه وصف باق على عموم معناه كاسماء الصنف التى تقع على القليل والكثير ولا تختص وحيفة يكون من جوامع الكلم و يحتمل كلها كان فيه خير كثيرة كحل حسب القرائن على بعض الافراد واعلم ان اصل ما تمسك به فى تاويل الكوثر هو نظم السورة وموقع آياتها ورباها معانيها وحسن تأويلها كما تبين لك من النظر فى الفصول التى بعد الفصل السابع واما ذكر الوجه الآخر وتطبيق الروايات فلدفع الشكوك عن قلوب اعتناؤه بحاجس النظم ومعاني التأويل . وبعد ذكر هذا البتة نذكر اقوال السلف فى تأويل الكوثر .

(اقوال السلف فى تأويل الكوثر)

١- ذكر ابن جرير رحمه الله فى تأويل الكوثر ثلاثة اقوال الاولى انه نهر فى الجنة وروى ذلك عن عائشة رضى الله عنها وابن عباس رضى الله عنهما وعمر رضى الله عنه وعن مجاهد وابى العالية رحمهم الله والثانى انه اخير الكثير وروى ذلك عن ابن عباس وعن سعيد بن جبير وعكرمة وقاتادة ومجاهد رحمهم الله والثالث انه حوض فى الجنة وروى ذلك عن عطاء رحمه الله ولاارى فرقاً بين القول الاول والثالث . وسمى بالحوض فى الموقف وبالخير فى الجنة . فان ذلك الحوض من ذلك النهر الجارى منه روى عن عكرمة الذى قال انه اخير الكثير ايضا انه النبوة وروايت انه القرآن وانه الحكمة وانه الاسلام . واتفق ابن جرير رحمه

بعد ذكر هذه الروايات انه اسم نهر في الجنة مستند على روايات عن انس
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتجشم التطبيق بين هذه الاقوال مع ان القائل
بالقول الثاني هو القائل بالقول الاول وكذلك منهم من قال بالقول الثاني.
ثم قال تارة انه القرآن والحكمة وتارة انه الاسلام والنبوة. ثم يعلم من الروايات
انهم كانوا يعلمون ان الكوثر نهر في الجنة وقد اخبره النبي صلى الله عليه وسلم
وعرفه لهم فكيف يختلفون بعد العلم لاسيما في اجبرالات وترجمان القرآن وتلميذه
عكرته فلابد من التامل في كلامهم ليتخلص لنا لباب الحق خاليا عن العسف.

(ماخذ اقوالهم وان مرجعها الى امر جامع)

٣- اعلم ان من اراد من الكوثر نهرا في الجنة ادعوا في الموقف فقد جلد
اسما منقول عن الوصفية واعتقد في علي ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الكوثر الذي
يعطيه الله في الآخرة. ومن اراد انه الخير الكثير اما بتقدير الموصوف وهو الخيفان
الموقع موقع ذكر النعمة واما بجعل الصفة نفسها خيرا كثيرا واما لها واحد. فالظاهر
انه تمسك بوجه الاول انه لو كان منقولا الى الاسمية لكانت كرامة مثل سلسيل
وتسليم وعلمين وسجين وعلمين ولعمري القرآن لكونه عربيا سينا واسمية وضع جديد
فاستمال الكوثر كلام التعريف مع انه اسم شئ لم يعرفه يخرج القرآن عن
العربي المبين فلا تحيل التسمية على طريق النص ولكن يراد منه شئ في الخير الكثير
على سبيل التاميل والثاني انه من عادة القرآن ذكر عطايا الآخرة بصيغة
المستقبل او بما يدل عليه مثل قوله تعالى [ولسوف يعطيك ربك فترضى] و
[يبئك ربك مقاما محمودا] والثالث ان ابقاء اللفظ على عمومته يجعله
اوسع واجمع والقرآن انزل جم المعاني ثم الكوثر نفسه يقتضي الوسعة

فالاقتصار لا يوافقه. ثم اعلم ان من اراد ان الخير الكثير لم ينكر الخير الذي جاء في
كثرة الآخرة. انما جلوه عام وسيعا ثم بعد ذلك حملوه على نهر الجنة من عطايا الآخرة و
من العطايا الموجودة الآن على القرآن والحكمة والنبوة والاسلام على سبيل
التفصيل لا على جهة التسمية والتعيين. فذكر ذلك الكل الافراد مع ابقاء اللفظ على عمومته.
ومن عادتهم التفسير بالقرآن. فحملوا الكثرة على القرآن لما وصفه الله بالمبارك و
على الحكمة لقوله تعالى [ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا] ولا فرق بينها فان القرآن
جامع للحكم. وعلى النبوة لقوله تعالى [وما ارسلناك الا رحمة للعالمين] وبكذلك الاسلام
بل الاسلام يشمل الخلق كله لقوله تعالى [ولا اسلم من في السموات والارض]
فهذه الاقوال كلها مأخوذة ومستنبطة من القرآن وما لها الى امر واحد وان
اختلفت الالفاظ. وما ما ذكر الامام الرازي رحمه الله من كثرة الاولاد والعلماء
والاتباع والفضائل ورفعة الذكر والخلق المحسن والمقام المحمود وبه السورة
وجمع نعم الله وبذا الآخرة نقده عن ابن عباس رضي الله عنهما ببعضها يرجع الى ما قدمنا وبعضها
لا يناسب لفظ الكثرة ومع ذلك كلها داخل تحت عموم اللفظ ولكن تفسير السلف
اقوم واوضح استنباط المقصود مما ذكرنا ان بهنا مذهبين فذهب لاناذهب
كثيرة كما يظهر بادئي الرأي وهو ان الكثرة اما هوشى خاص بعينه من عوض او نهر
او حكمة او قرآن وانشال ذلك - او هو عام يشمل كلها كان ذاخير كثير وسمته القائل
بالتعيين ان النبي صلى الله عليه وسلم سماه بهذه الاسم وسمته القائل بانه يشمل النهر
وغيره تطبيق خبر النبي بالقرآن فاولوا القرآن حسب مقتضى عبارته ثم اولوا ما جاءهم
عن النبي بما لا يخالفه فهذا اجمع بين التاويلين فانه لا تباين بين العام والخاص
وكذلك جمع سعيد بن جبير بن قولي ابن عباس في كماروي ابن جرير قال
حد ثنا ابو كريب قال ثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سيد بن جبير عن ابن عباس

قال الكوثر نهرني الجنة حاتمنا من ذهب وفضة يجري على الياقوت والذرماة
ابيض من الثلج واحلى من العسل، «وردى ايضا وهكذا في صحيح البخاري»
«قال حدثني يعقوب قال ثني هشيم قال اخبرنا ابو بشر وعطاء بن السائب
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكوثر هو الخير الكثير الذي اعطاه الله
اياها قال ابو بشر نقلت لسعيد بن جبير فان ناسيا زعمون انه نهرني الجنة قال
نقل سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياها، «هذه توفيق بين
التولين توفيق الخاص بالعام ثم ان امكن التوفيق العام بين القرآن والحديث
بان يقال ان الكوثر الذي اعطاه الله رسوله في الدنيا هي التي في الحقيقة عوض في
الموقف ونهرني الجنة كان ذلك احسن توفيقا وقد وجدناه ايضا احسن تأويلا
وتذكره في الفصول الآتية بعونه تعالى»-

(اللوامع الدالة على ان الكوثر هو الكعبة وما حولها -)

٥- قد ظهر ما سبق ان السلف رجمهم الله لم يختلفوا في كونه الآخرة ولكن حملوا اللفظ
على العموم وراعوا صيغة الماضي فذكر واما يدخل في مدلول هذا الاسم ليكون اللفظ
عاما وسيا كونه في ذلك واذ لك ساغ للتأخرين من المفسرين التماس
امور اخرى يروى عن السلف فلو كان القول فيه بدعة وضلالة لكتبو او لكت
السلف ولم يختلفوا فان التمس قول لا يجعل الكوثرين واحدا لم ارني مخالفا
للسلف كما اني لا اراهم مخالفين بعضهم لبعض يده انهم جعلوا الكوثر عاما فخلوه على
عوض او نهرني الجنة وعلى غيره مما فيه الخير العظيم من القرآن والحكمة والاسلام
والنبوة من غير رعاية مناسبة بالجوهر او النهر واما انا فاطمنا على ما هو اشد شي
بجود او نهر وصفة النبي وكشف له في ليلة المعراج فان الله تعالى اراه

فيه حقائق امور اخرو وروحانيتهما من الامور التي في الدنيا فكذا لك ارواه روحانية
الكوثر الذي اعطاه في الدنيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم ربما يصرح بما
يكشف لك كما قال في امر سورتي البقرة وآل عمران انها تانيان كتمانين. وان
الدنيا تاتي كجوز شمساء وان الموت ياتي في صورة كبش صبا يكفي بالاشارة لكي تفكروا
ويشبطوا فيكون تعليمات و تربية لعقولهم. فان لم يبلغنا التصريح منه عليه الصلوة بان الكعبة
تكون يوم القيامة حوضا كوثر افقد لنا بشارات وقد رغبنا في التفكر والتوسم والان
نذكر ما كشف لنا من اللوايح الدالة على ما ذكرنا. **الكوثر** ان النفس لها شدة وقوة
الى الرب ولا تظن بعد هاجته وبذه الفطرة غشا الديانات في الناس حتى لا تخلو
عنها انه وما يعبر عن هذا الشوق الروحاني غير العطش وكثر في الزبور هذا التمثيل
فان صح ذلك فالموحدون عند الحج لاشبه شئ بالعطاش المجتبعين عند حوض
بعد مقاساة الظما الشديد فالكعبة لهم في الدنيا هي كالحوض الكوثر الذي يردون فيه
المحتر. **والثانية** ان النبي صلى الله عليه وسلم شبه مساجدنا بالبحر كما روى
البحاري في صحيحه قال عليه السلام: **ارأيتم لو ان نهر ابواب احدكم يغتسل فيه**
كل يوم خمسا الحديث. فهذا التمثيل من جهة اخرى للماء فان الماء كما انه روحا فكذلك
هو ظهور. ولا شك ان مورد صلواتنا هذا البيت الذي بكه فكان لاجل اهل في كل
مكان يصلون فيه **والثالثة** ان كانت تعلق كثرة هذه الامة على الامم عند الكعبة
فكذا لك تكون عند الحوض ولا شئ اذل على كثرة هذه الامة من اجتماعهم في موضع
واحد وان هذا الاجتماع لادل على كثرتهم لعلم الناس بان هذه الجماعة انما هي قطرة
من بحر امة المتمد على بساط الارض فكما تضح زيادة هذه الامة على اعم النبيين الآخرين
في القيامة عند اجتماعهم على الحوض فكذا لك ترى كثرتهم حول الكعبة في الموسم.
فاسم الكوثر اظهر مطابقة بها. **والرابعة** ان النبي صلى الله عليه وسلم

اخبرنا يعرف الله على الحوض بانثار الوضوء فيه اشارة الى ان الذين يردون
 هذا البيت بقلوبهم هم الذين يردون في الآخرة ذلك الحوض الذي هو حقيقة
 هذا البيت . والخامسة ان الله تعالى قد جعل استخلاص الكتبة ينوعا للكثرة فدخلوا
 في دين الله اذوا جالده الحج الاكبر . والسادسة ان الله تعالى سعى مسجد مكة مباركا
 حيث قال [ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة وبرى للعالمين] و
 جعل الله لهذا البيت من البركة ما عم فيه جميع العرب بل جميع العالم كما وعد ابراهيم
 عليه السلام فظهرت بركة في اسمعيل اكثر من بركة اسحق كما مر في تفسير سورة الفيل
 ولا يخفى ان كل هذه البركات من هذا البيت ومن الصلوة والنحر والامامة
 القرآن بالبارك فمن جهة كونه كالمطر النازل من السماء فمباركا كما سمي المطر
 مباركا فكما ان المطر يحيى الارض فكذلك القرآن يحيى القلوب فسمي القرآن
 بالبارك لانه يجدها بالمشبه بالحوض والبلانة تنكره في التشبيه لعل مكانة القرآن
 وسعة التي لا نهاية لها . والسابعة ان هذه السورة نزلت يوم صلح الحديبية
 الذي فتح باب الوصول الى بيت الله والحج والصلوة والنحر وظهور الاسلام
 وكثرة حتى سماه الله فتحا مبينا . ونكلم على زمان نزولها في الفصل الرابع عشر
 بعض البسط ان شاء الله تعالى . والثامنة ان النبي صلى الله عليه وسلم
 اخبر عن موضع طرف من ذلك الحوض فاشار الى الباقي كما روى البخاري
 في صحيحه قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري
 على حوضي ، فيستنبط من ذلك ان هذه الارض المباركة التي تيرد وفيها الحجاج
 هي التي تصير حوضه الكثر الذي اخبر عنه ومنه الكتبة والى هذا اري اشارة في قوله
 عليه الصلوة والسلام كما روى البخاري في صحيحه وهي التاسعة ان النبي
 صلى الله عليه وسلم خرج يوما فاصلى على احد صلواته على الميت ثم انصرف

الى المنبر (اى منبره فى المسجد مقام خطيبا) فقال انى فرط لكم وانا شهيد عليكم وانى
والله لاناظر الى حوضى الآن وانى اعطيت مفاتيح خزائن الارض او مفاتيح الارض
وانى والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدى ولكن اخاف عليكم ان تنافسوا فيها
الفرط من تقدم القوم الى الماء ليهبى بهم الارسان والدلاء ويألبم الحوض . وشهيد
عليكم اى يعرفهم ويشهد على كونهم من امته فيكون ذلك شفاعة لهم . هذا بيان ما يقع فى
الآخرة ثم اشار الى ان ظاهر ذلك الحوض بين يديه فان منبره على حوضه
كأمر آتفا وما ذكر من اعطاء مفاتيح الارض فذلك ما انجزه الله تعالى فان فتح مكة
كان مقاحا لفتح الارض وخزائنها والعاشية انه عليه الصلوات اجر ان طول
حوضه ما بين مكة والمدينة فاشارة لطيفة الى المطابقة التى بين ارض الحرم وحوضه
فان قيل فهذا ذكر ما اراد بالتصريح قلنا انما اختار به الاسم لكثرة دلالة ولتفكروا
فدل على كثرة الامته وفتح مكة وكثرة اجتماعهم فى الحج وبنى الموقف على حوضه . واما
ذكرنا هذه الامارات تمهيد او تائيد للمادل عليه نظم الايات كما سيتضح لك
النشأ الله تعالى به اتمم التدبير فى بياة الحوض الكوثر ليدلنا على ما ذكرنا من كون
الكوثر الاخرى صورة روحانية للكعبة وما حولها . وذكر ذلك فى الفصل الآتى .

(النهر الكوثر صورة لروحانية الكعبة وما حولها من متردد الحجاج)

٤- من تأمل فى صفة النهر الكوثر الذى كشف للبنى صلى الله عليه وسلم حين
عرج به بحبه مثالا روحانيا للكعبة وما حولها وذلك لما روى من طرق كثيرة من
ان الكوثر نهر على حافة قباب الدرالمحرف وارضه ياقوت ومرجان وذبرجد
وفيه آنية مثل نجوم السماء ، وماؤه ابيض من اللبن واحلى من العسل
داير من الثلج . وتربته اطيب من المسك نوره يضيء انعامها كاعناق الجوز .

قال رجل انهن لائنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها انعم منها وخير ماؤه مثلاً بجمع احدكم اذا دخل اصبعه في اذنيه . وحصل لنا هذا الوصف بجمع الروايا ولفظ البخاري « قال بينا انا اسير في البجعة اذا انا بنهر حافاه قباب الدرامجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك قال ف ضرب الملك يده فاذا طينه مسك اذ فزع فقفت بهنما وتامل البكجة وما حولها حين ترد عليها الموحدون من اقطار الارض ليطفئون غليل شوقهم الى ربهم اليست حصبا بطحا ثما عند حرم الكرواحا اكرم وايه من الياقوت والزربرجد وترا بها الطيب من المسك وقباب الكجاج فخلها احسن من الدر . ثم تامل مع ورود الكجاج ورود البدن كالطيور على الماء وذلك اسعد حال لهن فانهن يقربن الى الله نياتهن عن الانس فكناهن من الانس فاعظم فوزهن . ثم تامل آكلهن ضيوف الله الناعمين المتجيين وتامل كيف اشار بتشبيه الطيور الواردات بالبدن وذكر آكلها الى ان البدن هي الطيور وكيف جعل الاشارة لطيفة تشبه اعناق الطيور باعناق البدن ليدل الجزء على الكل وكيف جانب لفظ البدن وذكر الجزء وكل ذلك ليحث العقول السليمة على الاستنباط كما يذكر الله الدلائل في القرآن ويتبها بمثل قوله [ان في ذلك آيات لقوم يعقلون] « ويعلمون » « وتفكرون » ، والبنى احسن المعلمين فكان يربي العقول ويعلمهم الحكمة . وكان ربها يأل اصحابه عن مناسبات الامور كما سأل عن مثل المؤمن في الاشجار وكذا لك كان عيسى يضرب لهم الامثال فلو لم لا يصرح القول فاجابهم فيها الا لعتلاء ، وكذا في القرآن [وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون] وجدة الكلام ان للاشارة محلا وحكمة في التعليم والتربوية . ذلك .

(نظیر ذلک ماجاء من روحانیہ ارشلیم)

« - ویشبه ذلک ماجاء فی مکاشفات یوحنا ص ۱۲ » وذهب بی الروح الی
 جبل عظیم عال واران فی المدینة العظیمة ودرشلیم المقدسة نازلة من السماء من عند
 لها مجد الله (ای علیها نور من الله) ولعابها شبه اكرم حجر کجرب شب بلوری (ثم
 ذکر سورها و مساقمتها و ابوابها و سکا بنها من اسباط اسرائیل ثم قال) کان بنا سویدا
 من لیشب و المدینة ذهب نقی شبه زجاج نقی و اساسات سور المدینة مزینة
 بکل حجر کریم . الاساس الاول لیشب الثانی یاقوت ازرق . الثالث
 عقیق ابض . الرابع زمرد زبابی . الخامس جزع عقیقی . السادس عقیق
 احمر . السابع زبرجد . الثامن زمرد سلفی . التاسع یاقوت اصفر . العاشر
 عقیق اخضر . الحادی عشر اسمانجونی . الثانی عشر حبشت . والثالث عشر بابا اثنا عشر
 لؤلؤة کل واحد من الابواب کان من لؤلؤة واحدة . و سوق المدینة ذهب
 نقی کزجاج شفاف » ثم ذکر انه لیس فیها هیکل و لیعبودن الله وحده و لا
 آسن بعض التحریف و الزیادة فیما نقلوا و انما المقصود ان المثال الروحانی
 لما فی الدنیاسن الاغیان و الاعراض امر معروف معلوم . و قد الوصف
 الذی ذکره یوحنا یکتف ماتحه الباصرة فقط و ماجاء فی وصف روحانیة الکبة
 فقد جمع اوصافا لکل حاسته حتی السمع بما ذکر من خیر ما و لا و خیر الماد من
 البعید لاشبهی و احلی للعطشان . ثم الماء الحلو البارد اقرب تادیة لما لطفی
 شوق الموحدين المخلصین العطاش البیاع مد . و عنهم اخبر المسیح علیه السلام
 بقوله « طوبی للبیاع و العطاش لانهم یشبعون »

(تأويل قوله تعالى انا اعطيتك الكوثر)

٨ - بعد ما فهمنا دلالة كلمة الكوثر انما تعني الآيات الاولي وهو انما انجبا رعا اعطاه الله تعالى من البركة وكثرة الامة واخبر به حين دنا انجازه في الدنيا لكي يشر النبي ثم المسلمين بظهور الاسلام وانتشاره في البلاد وافتح مكة احي اعطاك الله اتمه عظيمة من المصلين المنفقين يحجون بيت الله الحرام كما قال تعالى [واذ بوئنا لبراهيم مكان البيت الا نترك في شياطينا طهرتني للظالمين والعاكفين والركع السجود] (اي المصلين) واذن في الناس باحج يا توك رجالا وعلى كل ضامريتين من كل فج عميق :-
 (اي ياتوا لزيارة البيت من القرب رجالا ومن البعد تضرع الركاب ومن اقطار الارض فيدخلوا مكة من كل فج وكثرة السالكين تصير الفجاج عميقة) يشهد وامنفع لهم (اي تصير هذه البلدة مشابة بهم فيتنفون بالتجارة ويخالط بعضهم بعضا آمنين فيصلح بهم ويصلوا ارحامهم وكانت منه اخطيب في العرفات ان يخبرهم على الصلح وصلة الرحم ولذا لك سمو مكة صلاح دام الرحم فما اكبر نفع ذلك في معاشهم) ويذكرنا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام (وهذه منفعة دينية نفع شرهم لم يتركوا ربههم وانما اتخذوا اليه شفعاء) نكفوا منها والطمعوا بالبائس الفقير فبين ان هذا البيت جعل مركز التوحيد والصلوة والاحكام الفقراء الامة كثيرة يحجون من جميع البلاد وقد كان ابراهيم عليه السلام دعا الله ان يعيث نبيا لهذه الامة الكثيرة وقد استجاب الله دعوته وقد وعد الله تعالى كثرة في ذريته لاسيما في ذريته من اسمعيل كما جاء في التوراة واعترف بذلك اهل الكتاب وقد ذكر الله تعالى هذا العطاء في ادائل بثة نبينا حيث اخبره في سورة الفصح بقوله [ولسوف يعطيك ربك فترضى] فهذا الوعد الذي ذكر اقترابه جعله مقضيا بقوله [انا اعطيتك]

ونفس معنى [نترضى] بكلمة الكوثر فان النبى صلى الله عليه وسلم لغاية رأفة وحرصه على الهداية لا يرضى بالتقليل اذ بان يعطيه الكثير فى الدنيا فيدخلون فى دين الله أفواجا ثم يسلبه اياهم فى الآخرة حتى يقولوا على عوضه فاذ اح كل شبهة بكلمة ترضى والكثرة وقد كثرت الاحاديث الصحاح بكثرة امته . فهذه الآية الاولى بشارة عظيمة من وجه . من قرب الفتح ، وقرب دخول الناس الكثيرين فى امته ، وقبالة جماعة كثيرة منهم على الدين الحق على رغم من يزعّم برودة الكثر فيه الامته . ذلك وتماثيك بشارة عن قريب انشاء الله تعالى فان السورة كلها بشارات ولد الحمد فى الآخرة والاولى -

(تاويل قوله تعالى "فصل لربك وانحر" وبيان ربطه بما قبله)

٩- هذه الآية تدل على اربعة امور الاول ان الصلوة والنحر لهما ربط بهذه العطاء لما صدر الامر بالفاء والثانى ان فى الآية امر او ايجابا بهما عموما على سبيل الافراد وخصوصا بهما وذلك فى الحج . والثالث ان بين الصلوة والنحر ربطا خاصا والرائع اختصاصا بهذه العطية والامر بالصلوة والنحر معا ويهذى ذلك الى اننا على سنة ابراهيم ودون المشركين ومبتدعى اليهود والنصارى لان المشركين لم يكن صلواتهم ونحرجهم للرب خالصا . ومبتدعى اليهود لم يكن لهم غير القرابين وان قرابينهم لا تسمى نحران فان النحر مخصوص بالابل وهو حرام عليهم . ومبتدعى النصارى ليس لهم قربان اصلا والصلوة غير واجبة عليهم بنوعهم . فهذه حجة الكلام ولا بد لها من بعض التفصيل ونأتى به فى عدة فصول اما الامر الاول والثانى فتجدهما فى هذا الفصل وسياتيك الباقى انما بعد . فاعلم ان الله تعالى به ما بشر النبى والمسلمين بهذه العطية عقب البشارة امرين الصلوة والنحر . والتقريب يدل على نية

وربط بين السابق والتالى اى العطية والامر فلما تدبرنا فمادول عليه نظم الكلام لهرنا
 بعض وجه الرب بتوفيق الله تعالى فنذكرها والحمد لله تعالى . الاول ان هذا الامر
 يتضمن بيان مقصد هذا العطاء . فان هذا العطاء كان لمقصد عظيم كما قال تعالى [الذين
 ان كنهم فى الارض اتقوا الصلوة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر]
 وكما حكي الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام [ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي
 زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم]
 اى ياتون اليهم بحج بيتك . فعلنا ان هجرة ابراهيم وسكنائه فى واد قفر وارض
 عاقر لم تكن الا لاقائهم مركز لعبادة الله الواحد توحيدون نحوه . ويأتون اليه من البعد
 يطوفون ويسعون وليقدمون اليه الهدايا كالعبيد يسعون على باب مولاهم الذى
 دعاهم فاسرعوا اليه قائمين ، لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، ثم يسمعون با
 امر الرب ونهى عنه على لسان امامهم . ولذلك قال تعالى [واذن فى الناس
 باحج ياتوك] اى ياتوا اليك لاستماع الحكمة . فان الله تعالى جعله اماما للناس
 كما جعل ذلك البلد مشابة وبركة وهدى لهم فكان يقريهم ويقوم فيهم خطيبا . وهكذا قرى النبى
 عشرة حين قام بيثته ودعاهم الى الرب . وقد استمرت سنة الخطبة بعد ابراهيم
 مع سائر سنن الحج كما مر فى تفسير سورة البلد . ثم يطعمون الناس بما ساقوا من الهدايا
 دياكلون منها شاكرين بان تقبل الرب به ايا عبده ثم اعطاهم ما قربوا اليه . فقتبين
 ان هذا البيت انما وضع لمقاصد عظيمة بها اعطاهم التكليم فى الارض وان معظمها
 الصلوة والنحر فذكرهما بعد ذكر اعطائه ليعلموا ان هذا العطاء له حق وغاية . ليقيموا حجة وتبوا
 ما لاجله اعطوه . وذلك بسبب على وجوب ايها الحقوق . فان لكل عطاء حقا لا بد ان توفى
 فى به كما قال تعالى [ليعلموكم فيما اتاكم] وايضا [احسن كما احسن الله اليك] وايضا [و
 اتوا حقه يوم حصاده] الثانى انه تعالى عقب ذكر العطية ذكر ما به اتوا بها فامر بالصلوة

والخبر امرانا فان هذه العطية كانت للنبي وامتة عاتة فان النبي وكيل امته فما اعطاه
اعطى امته ولذلك قال عليه السلام انا فرط لكم على الخوض كما مر فذلك الامر بالصلاة
والخبر عام وهو ظاهر فلما ربط عبادة بطيئة علمنا ان الامثال به ليضمن بقاء نعمته وقال
تعالى [ان الله ليغير ما يقوم حتى يغيره] واما ما نفهمهم [وهذا الذي امرنا به هو الحج ومناسكه
كما هو ظاهر فكانه تعالى قال انا اعطيناك الكوثر فادفعه فيبقى لك هذا العطاء وسواء اخذت
الصلاة والخبر بمجموعهما وبانفرادهما كان المراد هو الحج فان الحج من الصلاة لما جاء
في الحديث ولما دل عليه اعمال الحج وقد علمنا ان مقصد البيت الصلاة ولذلك
بني كما مر فمن لم يحج وقد امكنه لم يتم مقصده . وكذلك الخبر فان من ضحى في غير الحج
ترك اعظم الاضاحي والذي يضحى في غير الحج فانما هو متشبه بالحج وهو يريد ويتنظر
ان يجد سبيلا فيحقق ما يريد . فباي وجه اخذت دلت الآية على ان الحج يلزم الامته
فمن استغنى عنه اخرج نفسه عنهم . وهذا يتضح من النظر في حقيقة الحج وقد صرح بذلك
القرآن والسته قال تعالى [ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين] فذلك تصريح بكفر من استغنى عن
الحج وان الله تعالى لا يبالي به . والثالث انه يتضمن تلبية النبي والمسلمين
كانه قيل له انهم اخرجوك ومنعوك عن الصلاة والخبر فالان بعد ما اعطيناك الكوثر
لا مانع لك فافعلها بفرغ بالاك وبقدر شوكتك باكثر الخبر وبجاء عظيما حتى يحقق
معنى الكوثر . وقد علمنا شوق النبي والمسلمين الى الحج والصلاة والنسك والامر
بعمل مرغوب مع كونه امرا يتضمن التبشير والتسليته والظهار الرأفة . والاربع
انه بيان عهدنا بالله تعالى جعل الامر بالصلاة والنحو مرتبا على عطية فاذا قبلنا العطية
او جئنا على انفسنا ما امرنا به ومتى ما بقينا على طاعة امره بقى لنا ما اعطانا . نصار
اخذ العطية عهدا بالله كما اعطى الله آدم وحواء عليها السلام المسكن في الجنة ليلا

منها رعدا ولا يقربا شجرة خاصة عرفها لها فلما اخذ العطيّة وجب عليها عهد الله و
 كذلك قال تعالى [ولقد عهدنا الى آدم من قبل نفسه ولم نجد له عزما] وكذلك
 بقى لها ما اعطاها الله باقيا على عهده . وكذلك نرى في قصة ابراهيم كما قال تعالى
 [واذا تبلى ابراهيم ربه بكلمت فاتمهن قال اني جعلك للناس اماما قال ومن
 ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين] فبعد ما امتثل ابراهيم باوامر ربه تعالى جعل له
 ربه عهدا وبهذا العهد يتقوى لذرية ما وادوا قائمين به واما الظالمون فيحرمونه . والخامس
 انه بيان عهد التوحيد وقد صرح القرآن بذلك العهد وصرح بادلته كثيرا . وجماعها
 كونه ربانها وقد اخذنا عطايها من الخلق وحسن التقويم والرزق الطيب وبدا عام
 وبهنا ذكر نعمة غطيته خاصة فذكر ما اوجبت هذه النعمة علينا من التوحيد في صورة خاصة
 تناسب العطيّة الخاصة فان الله تعالى هو الذي اعطانا هذا البيت فلا بد ان يكون
 الصلوة والنحر . وفي ذلك ايضا تعريض على الخائنين الظالمين . وبهذا يظهر
 من النظر في كلمة [اِنَّا] و [لِكَلْبَتِ] اى انا الذي اعطيناك فلا بد لك
 ان تفعل ما فعل المشركون وصرح بهذا المفهوم في
 سورة الحج مرارا فلا حاجة الى ايراده بهنا . وبكذا انفس الآيات محمد بن كعب
 القرظي حيث قال « ان ناسا كانوا يصلون لغير الله ويخردون لغير الله فاذا اعطينا
 الكوثر يا محمد فلا تكن صلواتك ونحرك الآتي »

(وجوه المناسبة بين الصلوة والنحر)

- ١- اعلم ان للصلوة والنحر وجوها كثيرة ولنا القرآن عليها كلها ولا حاجة الى استقصاء الوجوه
 بهنا وتجد في كتاب المفردات وانما ذكر الان منها ما يدل على المناسبة
 بينها . وبهذه الوجوه وان لم يصرح بها القرآن فانها لا يخفى على من تدبر في آية ونظم

كلماته انه بعد ذلك لا يستطيع دفها عن قلبه وكيف يصرف نفسه عن التمل في آياته
من الايقن بحسن نظامه وقرع سمعه قوله تعالى { انما يتدبرون القرآن ام على قلوب قفلاً }
والمقصود ان مجرد ربط الصلوة بالخرجهما الى التدبر في وجهه المناسبة بينهما وذلك
يطلعنا على حقائق عظيمة ونحن ذاكرون هذه الوجوه لا مجرد بيان حسن النظم بل ايضا للكشف
عن تلك الحقائق العظيمة حتى يتضح بعد النظر فيها ان السور القصار بنيت على معطيات
الامور فتلن صغرن من جهة اللفظ فانهما لكبار من جهة المعنى . والآن لنشرع بعون الله تعالى
في ذكر وجوه المناسبة بين الصلوة والخر.

فالوجه الاول ان المناسبة بينهما تنبئ المناسبة التي بين الايمان والاسلام
وبيان ذلك يقتضي تهيدا فاعلم ان الدين مبني على صحة العلم والعمل فاعلم ان معرف
ربنا ونسبنا اليه ولا نندبل عن هذا العلم ويلزمه حالة قلبية من المحبة والشكر وتفيض الى
الاعمال فاعلم متصل بالعلم الاتصال الاثر بالموثر والظاهر بالباطن فاعلم من باب الايمان
والعمل من باب الاسلام . ثم اعلم ان العمل كما يقابل العلم فكذلك يقابل القول
فالقول وسط بينهما وهو اول ظهور الارادة وتحقيق العمل . وبعد هذا التمهيد انظر الى ربط
الصلوة والخر اما الصلوة فلا يخفى انها قول واقرار وجميع ادضاعها من القيام
والقعود والركوع والسجود ورفع اليدين والاتصاع اقوال لمسان الادضاع فهي
اول خطوة بعد الايمان وبها يفتح باب الاعمال ولذلك قدمت على جميع الشرع
كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله تعالى [الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة]
وبسطناه في تفسير سورة الفاتحة . وقديمن الله ذلك في قصة ابراهيم حيث ذكر
انه لما عرف ربه بالتوحيد قال [اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض خفيافا
وما انا من المشركين] والصلوة بتحقيق هذا التوجه الا ترى انك تفتح صلواتك بهذا
القول . وكذلك ترى في قصة موسى كيف امره الله تعالى بهما اعطاه معرفة التوحيد

حيث جاء [فلما اشبهنا دى ياموسى انى انا ربك فاطع نعليك انك بالوادى المقدس
طوى ، وانا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واتم الصلوة لذلك
مثل ذلك قال تعالى بعد ابطال الشرك [فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون .
منيبين اليه واتقوه واتموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين] فاصلوة فطرة المخلوقات
كلها ولذلك قال تعالى [تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شئ
الا يسبح بحمده] وقال تعالى [الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض والطير
صفت ، كل قد علم صلوة وتسبيح] فالصلوة من جميع الاعمال اس بالايان واول
فيض منه وكلها جماع التوحيد والاناثة والشكر والتوكل والتبشير الى الرب
وانها فطرة لجميع المخلوق . واما النحر فهو جماع معنى الاسلام فان الاسلام
هو الطاعة واذعان النفس لربها وتسليم كليتها لمولاه وهو ايضا فطرة العباد كما صلوة
فان المخلوق لم يخلق الا باذعان لا مرية . امره بكن فكان واستجاب لدعوتى
به ، خلقته فان عصى بعد ذلك ناقض فطرته فالاسلام من بذه البهتة احاط بجميع الخلق
كما قال تعالى [وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه تحشرون]
اى استجبتم دعوتى فى اول خلقكم وكذلك تسبيحونها فى الآخرة فتحشرون اليه كما
قال تعالى [فاذا دُعواكم من الارض اذا انتم تمشون] وقال تعالى [وتبشرون
بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا] فالاسلام للرب والتسبيح والسجدة والصلوة
له كلها فطرة وفى غاية الاتصال . واذ جعل الله تعالى ابراهيم امامنا ومجده قبلتنا و
به يستتنا ولنا على حقيقة النحر ايضا بقصة كادنا بها على حقيقة الصلوة فذكر تعالى [قال
انى ذا هب الى ربى سيهدين] اى انى مهاجر الى ربى سيهدينى صراطه)
رب هب لى من الصلطين (اى ذرية صالحه لنسلك بهم فبين للناس سنن الهدى)

فبشره بنظم عليم (ای اسمعیل و اناسی اسمعیل ای سمیع اللہ لما نہ کان جو ابال دعوتہ) فلما بلغ معه السعی قال لیثی انی اری فی المنام انی اذبحک (ای اذبحک للہ) فانظر ماذا ترى (انما سألہ لکی یشترکہ فی الطاعة فان مقصود ابراہیم کان ضرب طریق واقفہ سنتہ وقد علم من اجابہ دعوتہ انه یحکون عاقلان فامین مخالفتہ) قال یا بٹ انفل ما تو مر ستجدنی ان شاء اللہ من الصبرین. (ففہم اسمعیل من قول اسیہ انه لم یکن لیفکھ الا بامر و اجاب جواب المتوکلین) فلما اسلما وتلا لیلین. (ای لما حقاً بذلک کمال اسلامہا اما الولد فلانہ اسلم ما کان احب الیہ من نفسه و اما الولد فلم یکن لہ الانفسه) و نادیه ان یا ابراہیم قد صدقت الرؤیا انا کذلک نخبر فی الحنین. ان ہذا الہو البلاء المبین (فبلغنا بذلک درجۃ الاحسان و ہو کمال الاسلام و صار ابراہیم البلاء المبین اما ین تأتم الہدایۃ بہا) و فدینہ بذبح عظیم [ای فدینا الغلام بذبح عظیم و ہو اقامۃ سنتہ التقیۃ و مغفرۃ المضحین بہا فین اللہ لنا بہذہ القصة ان الاسلام اصلہ الطاعة و تسلیم احب ما عنده للمولی حتی النفس. و لا یكون ذلک الاتجام الا بالایمان و الاخلاص. و کمالہما الاحسان. و ہو ان تبذل اللہ کانتک تراہ، فقیین ما قد منا ان ربط النحر بالصلوة کربط الاسلام بالایمان او کربط القول بالعل و ان الاحسان یمجمعا.

والوجه الثاني ان النسبة بين الصلوة والنحر كالنسبة بين الحيوة والموت و بیان ذلک ان الصلوة سر لما ذکر الرب لقوله تعالى [و اقم الصلوة لذكری] ایضا [ذکر اسم ربہ فصلی] و ہذا کثیر و المطلوب دوام الذکر لقوله تعالى [یذکرون اللہ قیاما و قعودا و علی جنوبہم] ایضا [یا ایہا الذین آمنوا اذکروا اللہ ذکرا کثیرا و سبحوه کبرۃ و اعینا. ہو الذی یصلی علیکم و ملکتمہ لئلا یخیر حکم من الظلمت الی النور و کان بالمؤمنین رھیما] ای کما انتم تذکرون اللہ و تسبحونہ کذلک ہو

يصلى عليكم ولننكته وبذلك يزيد نوركم كما قال [فاذكروني اذكركم] ايضا [فالذين
عذربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون] ولهذا السر مأسا عاتبا بالصلوة و
لم يرخص عنها في حالة فطران الصلوة كالنفس لا بد منها فذكر الرب تبقى الحيوّة المبعثرة
بالنور والسكينة والايمان. وذلك ظاهر عظامان توجه الرب ونظر راقية الى العباد
بعد ما اعطاهم العقل والتمييز لا يكون الا بان يتوجّهوا اليه فانه يزيد النعم بالشكر واستعمال
ما اعطى كما قال [والذين اهتموا بازادهم هدى] والتوجه اليه يكون بذكر اسمه فيقولون
اليه بهذا السبيل فانه لا معنى للقرب والبعد منه تعالى الا ذكره والنقطة عنه اعادنا الله
منها فانه اذكروا ربهم اقربوا منه كما قال تعالى [واسجدوا اقرب] فيخضعون توجه اليهم نظر
رحمة واشترق عليهم نور قدسه والروح انما يشرب وينصبع بالذكور والفكر فيه دام
انما سه في ذكره به تينزل عليه حيوة وقوة منه. وعن ذلك اخبرنا النبي عليه الصلوة
كما روى البخاري «ما يزال العبد يتقرب الى الله بالانوار حتى اجبته فاذا اجبته كنت
سمه الذي به يسبح وبصره الذي به يبصرون به التي بها يبسط» وما هذا الا بيان الحيوة
الروحانية التي هي الحيوة الحقيقية العليا فكلما ان الصلوة هي عين الحيوة وسلم النجاة
من هذه الحيوة السفلى. واما النحر فحقيقته تسليم النفس لربها كما دلت عليه قصة
ابراهيم واسماعيل وجعل التضحية تذكارا لتلك القصة والبلاء المبين الذي ابتلى
به الرب خليله. والمؤمنون يحققون ذلك التسليم باحراق مجهم في سبيل الله
فكما ان الصلوة جوتنا بالرب فكذلك النحر موتنا له وذلك هو الدين والاسلام
كما قال تعالى [قل انني بداني ربي الى صراط مستقيم. وينا قيامه ابراهيم حنيفا.
وما كان من المشركين. قل ان صلوتي ونسلي ومجاسي وماتني لله رب العالمين]
النسك في هذه الآية هو الذبح في الحج والعمرة باتفاق المفسرين وكذلك
هو في لغة العرب فهاضم الصلوة بالنسك وتتبعها بالحيوة والموت دل بنظم الكلام

على سبيلها والنسبة بينهما على اسلوب التواطؤ فالصلوة هي الجيا للعلم ونسكها هو ما في
سبيل ربه ثم جاستد ان فان هذا الموت هو باب الحياة ولذلك قال تعالى [ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله امواتا بل احياء ولكن لا تشعرون]

والوجه الثالث ان الصلوة والنحر جانبان للخبر الحقيقي وبيان ذلك ان
الله تعالى لما خلق الانسان ذاعقل وارادة حاكما بحسن والقيج رنعه اعلى دية
ومع ذلك اقامه على شفاخرة كما قال تعالى [لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
ثم ردناه اسفل سفلين الا الذين آمنوا وعملوا الصلوات فلهم اجر غير ممنون]
وايضا [ونفس وما سواها فاليها فوجها وتوابعها قد افلح من زكها وقد خاب
من دسها] وذلك لان العبد اذا قطع النظر عن نعمه واستغنى عن ربه حجب
عن نوره وراة الباطل المخرق واتبع مراد نفسه وصار الهوى الهه. كما
قال تعالى [امن اتخذ الهه هواه وادخله الله على علم اى بعد ان اعطاه العقل
والسمع والبصر كما قال [انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج فبقية فجعله سميعا بصيرا انا
بدينه السبيل اما شاكر او اما كفور] اى ان لم يستعمل ما اعطاه الرب كان كفورا
وختم على سمعه وبصره وجعل على قلبه غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون]
اى بعد ان اعرض عن ربه اطاع نفسه فصرقة الى شهواتها وصارت حجابا
على قلبه كما قال تعالى [كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. كلا انهم عن ربهم
يؤمنون ليجوبون اى كما ججوا عنه في الدنيا فكذا لك يججون عنه في الآخرة والعبد يرجع
الى ما صمم اليه فاذا تعبد والنفس صارت هى مولا لهم فيرجون الى حقيقتها فقال
ثم انهم لصالوا الحليم] فلما كان الانسان على هذه الحالة لم يسه ان يكسبه هذا الصنم و
لما كان هو النفس ذاتين سبيته وبهيته لزمنا ان نكسها جانيها فهدانا
لا نهايتها بكمين ذبح السبيته وذبح البهيته. اما الاول فباختراع الله والذلل

بين يديه وجماعة الصلوة فان بها يقع رانس الكبر لان الخشوع من اعظم جهات
 الصلوة كما قال تعالى [قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوهم خشعون] وايضا
 [واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال و
 لا تكن من الغفلين . ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسجدونه وله
 يسجدون] وايضا [وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذ خاطبهم
 الجبالون قالوا اسلموا والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما] انظر كيف قدم ذكر التواضع
 على صلوهم فان الصلوة تزكية النفس عن كبرها ولا يخفى ان من كان دائم الذكر
 لربه وكبريائه ورحمته غشيت التواضع والرحمة وشمل هذا النظم ترمي في قوله تعالى [محمد رسول
 الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا] وانما يذكر صفة
 البشدة ههنا لابطال الربانية فان المحب لربه كما يعظمه ويكبره فذلك يكون جبره
 الامر فلما يابى بمن خالفه ويجاهر به على رغم المعاندين فلم يقدم الشدة الا لدفع توهم فان
 الآتي في صفة قوم على غاية الاعتدال وكانت هذه الآية في خصائصهم حجابا
 في التوراة والانجيل فقدم ما يمتازون به عن اصحاب موسى وعيسى عليهم السلام
 وبذلك ايضا بنى على كمال فضيلة العدل والاعتدال والجمع بين الضدين ولا فضيلة فوقه
 فلم يذكر الشدة الا تأكيد التصحیح صفة التواضع والرحمة الناشئة من الخشوع للرب
 فان خوف الرب والتواضع له ينفي كل خوف لسواه كما قال تعالى [فلا تخافوهم و
 خافون] وايضا [فلا تخشوهم واخشون] وفي ذلك آيات كثيرة **واما الشك**
 فبالزور عاتلته به النفس وتجب في هذه الحجة الدنوية ولذلك ثلث مدارج
 الأولى بذل النفس في سبيل الرب والكبر منه فخرج فلذة الكبر ولذلك ابتلى
 ابراهيم بنوح بكبره واحب اولاده وهو اسمعيل عليه السلام فانه لما بشر باسحق
 قال " ليحيى اسمعيل "، قولنا منقصا عن غاية جبره . والثانية تحمل المشاق والاذى في

طاعة الرب وترك اللذائذ فان ذلك احب الى النفس بعد الحيوة ومن هذا الباب الصوم وهذه الدرجة الثانية نهاية الضعفاء من باب النحر ولذلك حين سئل المسيح عليه السلام عن اكبر الدرجات فقال لا يحصل ذلك الا بالصلوة والصوم. والثالثة بذل المال الذي هو مفتح الملاذ. والزكاة من هذا الباب فاما الاتفاق في سبيل الخير ما يزيد على الزكاة المفروضة فيه ايضا بطل آلة الكبر. ولما كان المقصود من ذبح البهيمة فطام النفس عما يعتده لذته لزمه ان يكون مما تنجبه النفس فلذلك قال تعالى [لن تناووا البر حتى تتفقوا على اتجاها] وهكذا امر تبسين الاضاحي وبين حقيقة ذلك حين ابتلى ابراهيم بذبح احب خلق عنده. ولما كان بذل المذبح هو كمال هذا الذبح جعل ابراهيم الدم امارته. فقبسين مما ذكرنا ان الصلوة والنحر طر فان لذبح النفس والى ذلك يشير بما جاء في الحديث «قربان هذه الامة يدانها وصلواتها» اى يبذل مجيهم وصلواتهم.

والوجه الرابع ان الصلوة والنحر يتضمن احدهما الآخر فالصلوة من وجه نحر والنحر صلوة. اما كون الصلوة نحرًا فحديثين مما مر افان كونها ذبح البهيمة ثم هي ايضا تمثل النفس مشقتها وتكهنها عن لذتها وترفعها فذلك من ذبح البهيمة. واما كون النحر صلوة فهدمر ان حقيقة النحر هي بذل النفس في سبيل الله ولا يخفى انه صلوة في صورة اخرى فان بذل البهيمة في سبيل الرب اقرار وتصديق بالايان ولذلك سمي شهادة و ايضا بوفاية الخضوع والطاعة فنحن او في خط من الصلوة اقرار بالتوحيد وخضوعا للرب. ثم جعل للضحية من الآداب ما يدل على كونها صلوة وذلك امور: الذبح بالمصل وبدؤه بسم الله والله اكبر وتوجيه القربان والمقرب الى القبلة ورعاية القيام في البدن والسجود في الكباش. وقراءة دعاء افتتاح الصلوة كما جاء في القرآن [انى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين]

وایضا [ان صلواتی دسکی و مجامی و عاتقی مدرب العلین . لا شریک له] و قد
 بیننا القرآن علی بذ الامر فذکر فی قصۃ قضیۃ ابراهیم [فلما اسلم و تکلم للیحین] ای تو جہا
 الی الرب ظاہرا و باطنا ثم جلد ساجد و کذلک ذکر فی امر النحر [و البدن جلہا
 لکم من شائر اللہ لکم فیہا خیر . فا ذکر و اسم اللہ علیہا صواف] ای قیاماکہا تضرعا
 فی الصلوۃ . و کذلک ذکر فی امر الزکوۃ الی ہی من ابواب التضرع کا [دیو تون
 الزکوۃ و ہم رکعون] ای یطون بہیۃ تطہر خشو عہم لا کمن یعطی ریاء و سمعۃ و فخر .
و الوجه الخامس ان الصلوۃ و النحر کلہما ذکر اللہ تعالیٰ اما الصلوۃ فظاہر انہا
 للذکر کا جا فی کثیر من الآیات مثلا [واقم الصلوۃ لذكری] ایضا [و ذکر اسم ربہ
 فصلی] . و اما کون النحر ذکر افایض دل علیہ القرآن حیث قال [و یدکر و اسم اللہ
 علی ما رزقہم من بہیمۃ الانعام] و ایضا [کذلک سخرہا لکم لتکبروا اللہ علی ما ہدکم
 ای ہدکم الی دین التوحید و الاسلام . فکانت ذکر اللہ بالتکبیر فی الصلوۃ فذلک
 عند النسک .

و الوجه السادس ان کلہما شکر اما الصلوۃ فلو بہا شکر ظاہر حتی عبر عنہا بہ
 کما قال تعالیٰ [فا ذکر و فی اذکر کم و اشکر و الی و لا تکفرون] و معظم الصلوۃ قرأۃ سورۃ
 الفاتحہ و بناء علی اشکر . و اما النحر فانما نعیم ان اللہ سبحانہ و تعالیٰ غنی عن العالمین
 [و ہو یطعم و لا یطعم] و انما تقرب الیہ ما انعمنا بہ اعترافا بان ما عندنا ملک و نعمۃ و لذلک
 نقول عند التضرع «سک و لک» و لذلک قال تعالیٰ [کذلک سخرہا لکم لتکبروا
 و کما ان الصلوۃ شکر عام علی جمیع نعمہ الطاہرۃ و الباطنۃ فذلک الذبح لیس
 شکر علی ما رزقنا من المنافع الدنیویۃ بل علی ما ہدانا الی دین الاسلام و دقتنا
 لطاعۃ و لذلک قال [لتکبروا اللہ علی ما ہدکم
و الوجه السابع انہما کلہما من التقوی اما الصلوۃ فان العبد لا یرال یدکر اتعلق

به رجاؤه وخوفه والصلوة بهذا الذكر فيضرع العبد ويتشبع لما يعني رضى ربه ويخاف سطوة
 والى هذا يشير قوله تعالى [وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون] واما
 كون التقية من التقوى فذلك ان تسلط الانسان على البهاغم اشبه شئ بالتعبد
 فوجب ان ينفي هذا التوهم بالتشبع والاقرار بالعبودية وان النعمة والربوبية والملك
 لله تعالى وصفه التقوى جماع هذه الامور فصارت ستر التقية فالعبد فى الحقيقة يتقرب
 الى ربه بالتقوى ولذلك لا يقبل التقية الا بها كما قال تعالى فى امر القرىبان [انما
 يتقبل الله من المتقين] وايضا فى الحج [وتزداد افان خيرا زاد التقوى] واما
 سمي التقوى زادا لانها تبلغه منازل قرب الرب والتقريب للتقرب كما ذكره
 فى الوجه الحادى عشر فلا بد فيه من زاد التقوى.

والوجه الثامن انها من منازل الآخرة فان الصلوة رجوع الى الله و
 صورة لو توفا بين يديه فى المحشر فيها خلعة من المعاد فمن كان مصليا كان ذكرا
 لرجوعه الى ربه وهذا نفهم من قوله تعالى [داهبا اى الصلوة] لكثرة الاعلى الخشعين
 الذين يظنون انهم ملقوا ربهم وانهم اليه راجعون [فمن علم بانه راجع الى ربه وسئل
 عن عمله رجع اليه وتاب غشيت بهياة الخشوع والوقوف فى الآخرة كما قال تعالى
 [قلوب يؤمنه واجهة البصار باخاشعة] وقال تعالى [قد اطلع المؤمنون الذين هم
 فى صلواتهم خاشعون] وايضا [رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله] واقام
 الصلوة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار] ويشبه
 قوله تعالى [ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى] ان الى ربك الرجوع
 (اى كيف يستغنى وهو محض) ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى [ثم علنا
 القرآن اننا نستحيب دعوة الرب فخبرج من القبور حامدين لله كما قال تعالى
 [يوم يدعوكم فستجيبون بجهده وتظنون ان لبثتم الا قليلا] فهكذا المصلون يستجيبون

دعوة الصلوة ويسفون لله حامدين . واما الخريفوا ايضا رجوعنا الى الله كما مرني الوجه الثاني
والثالث والآن ننظر اليه من وجه آخر وذلك ان اجناسا سخرت لنا كما بهائم
فهي الركوب والرقى الى اجل مسمى ثم ترجع الى الرب فهي كما قال تعالى في امر البهائم
[لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم مرجعنا الى البيت العتيق] وايضا كما نسوق البدن
الى ذلك البيت نسوق ابداننا اليه كما قال تعالى [واذن في الناس باحج
ياتوك رجالا وعلى كل ضامرياتين من كل فج عتيق] وكما نخرج البدايا ونجعل لها
شعارا فذلك نفعل باجناسنا وانا لا نتخربسبونا فاننا نقديها بالبدن كما قدى اسمعيل با
ذبح عوضانه ولكن الله تقبل بدية خليفه با اتخذ اسمعيل خادما لبيته فكذا لك نقدي اجناسنا
ولكن لا ترد الينا بل نأخذها امامته فنبدلها ونهريق مجتهدنا في سبيل الله وقد نهينا القرآن
على يد السحر حيث قال [ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة فيقاتون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حاق في التوراة والانجيل
والقرآن ومن ادنى بهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز
الاعظم] فاشترانا الله بمجرة دية الاسلام ونحضر على باب بيته لتجدي ذلك بمس
حجر الاسود ونوكد عهد ابراهيم واسمعيلى وكوننا قرايين لله تعالى . ثم بعد اجتماعنا في
الحج انظر تصوير لوقوفنا في الحشر فصلواتنا واجتماعنا لذكر الله والحج والخريف
بعضا في نسبتها بالمعاد .

والوجه التاسع انها من ابواب البصر . اما الصلوة فلان العبيد اوم عليها
مطمانا بوعد الله كفارس يقوم على غرسه ليقيه ويخذه ينظر غمره وينظر رفايته الغافلين
فلا يهين ولا يكل بل لا يزال يقوم لربه ويحمده ويشكره ولا يبالي باستهزاءهم بوجاهة
للعائب البعيد لكل ذلك لشدة غزوه وصبره على العاقبة ولهذه الجهات جمع القرآن
البصر والصلوة في آيات كثيرة كقوله تعالى [واستحيوا بالصبر والصلوة] ودل على

ما ذكرنا آنفا قوله تعالى [فاصبر على ما يقولون] وسبح بحمركبك قبل طلوع الشمس
 وقبل غروبها ومن آتاء ايل فسبح اطراف النهار لعلك ترضى ، ولاتمدن عينيك
 الى ما تشاء به ازواجهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير والي ارجع
 اليك بالصلوة واصطبر عليها لانك رزقا ، نحن نرزقك . والعاقبة للمتقوي
 وايضا [والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة] وايضا [فاصبر ان وعد الله
 حق واستغفر لذنبك وسبح بحمركبك بالغشى والاكبار ، ان الذين يكادون
 في آيات الله لغير سلطان اشبههم ان في صدهم الاكبر ما هم بالغيه فاستعد بالله انه هو
 السميع البصير] فنبهنا على موضع الصبر من التسك بالوعد والتوكل على الرب وتحمل
 الاذى وانتظار الفلاح . واما الخضر بن ميني على تعليم الصبر العظيم الذي ظهر من ابراهيم
 عليه السلام فانه رضى بربه وفضل ولم يئط ولد احتج كبر شتم لما اعطاه الله الولد وجدة
 عينه نظرة ولما تل حسنة ابتلاه بذبحه فارتفعت قدم صبره بل شكر للرب لما طلب
 منه احب خلق عنده . فصبرنا على الصلوة كصبرنا عند احتمال كل مصيبة . ودل على هذا
 الرابط بين الصلوة والصبر عند احتمال ما يتلى الله به عباده من الامانة النفس وما دونها
 قوله تعالى [يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ، ان الله مع الصابرين] . و
 لا تقولوا لمن قيل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون . ولنبشركم بنسب
 من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات . وبشر
 الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون . اولئك عليهم
 صلوات من ربهم ورحمة ، واولئك هم الممتدون . ان الفقار والمروة (المروة
 هي محل تقريب ابراهيم ابنه كما يراه تحت هذه الآية في محله) من شعائر الله فمن
 حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بها ومن تطوع خيرا فان الله
 شاكر عليم [فجمع في هذا الكلام الصلوة والصبر والجهاد والمصاب وندب

ابراهيم عليه السلام لما فيها من الربط الحقيقي .

والوجه العاشر اقرار الملك ، والتعبير به في الصلوة ظاهر فانه بنيت على اقرار الشكر والربوبية ، واما التضييعة فهي اقرار بذلك بلسان الحال كما نقول ان الملك والمنة لله تعالى نفوسنا واموالنا كلها لله فلا بد ان نفوضها اليه ونخضعها لطاعته وناخذ منها على سبيل الهبة منه تعالى فقرحانه ونضعها حيث امرنا ولا نشرك فيها احدا . فعبده ونصلي ونقدم اليه ما عطانا فانه هو الخالق والواهب كما بهدانا نقول [انا لله ، انا اليه راجعون] اي نحن وما لنا مدقله الحكم والمنته . ولنا الخضوع . اشكر وآتيه نرجع كما يرجع الاموال الى مالكه . ولذلك لا يكمل لنا التمتع بشئ حتى بانفسنا الا بذكر اسمه والاعتراف بكونه عطية من الله . وتعلينا بهذا الاصل العظيم جعل علينا فريضة النسك لذكر اسمه على ما رزقنا من الانعام مسخرة لنا كما قال تعالى [وكل من ائنه جلنا منسكا لذكر اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام] وايضا [وكذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما بهكم] ولكون التصرف في الحيوانات شيها بتعبية هم فرض ذكر اسمه في الذبايح وكذلك كل ما اخرج لنا من الارض جعل فيه تحليلا لنقل عن كونه من نعم الله كما قال تعالى [كلوا من ثمره اذا اثمر ، واسقوا يوم حصاده] وكذلك حرم علينا الاسراف فان كل ما في ايدينا لربنا ولذلك جعل النسك مينا على سنة ابراهيم الذي شهده بكون الملك لله فادى الى الرب امانته وصدق بان كل ما عنده حتى نفسه وولده فهو من الرب تعالى .

والوجه الحادي عشر ان العبد يتقرب بها الى الرب . وذلك ظاهر جدا فان الصلوة من انظر امورها انها توجه الى الرب ورجوع الى حضرة فالصلي يرى نفسه متمشيا بين يدي الرب يناديه ويخاطبه ويتضرع اليه ولا يلتفت يمينا وشمالا فليس ان الصلوة ذريعة التقرب بل هي عين التقرب . وذلك على ذلك

قوله تعالى [واسجد واقترب] ولذلك صارت رأس العبادات . وتسمى
 ان الصلوة في اصل معناها القرينة القريبة والاقبال على الشيء والدخول فيه . فيقال
 للفارس المتصل بالسابق المصلي ولجالس حول النار تقربها الصالحى وكذلك لمن
 دخل في حرمها . وبهذا الامر في القربان فان التقرب يأتي بقربانه الى موضع يرى
 ان الرب قدسه واختصه لعبادته ولذلك كان للقربان موضع خاص . لا يحل في ثيعة
 اليهود ان يقربوا في غير بيت المقدس اما المسلمون فكما جعلت لهم الارض كلها مسجداً فذلك
 يحل لهم التصفية في كل مكان . ومع ذلك كما ان للصلوة في المسجد فضلاً فذلك
 فضلاً للنسك في المصلى . وقد جعل الله لقربان ابراهيم مكاناً خاصاً وابقاه لنا سنة
 فبهدي البدن الى منجى كما انما تأتي مسجده الذي بناه للصلوة وكل ذلك ليرسخ
 في قلوبنا انما كالعبد نسي الى المولى بعتين دعوته مقربين قرايينا كلها لمرضاة واقتراراً
 لعبودتنا له . ولذلك سمي القربان قرباناً كما سميت الصلوة صلوة . والى هذا
 الذي ذكرنا المار فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم : سمعوا ضحايكم فانها مطاياكم
 وبذلك دل ايضا على ان تقريب الابل ما يخص بهم راجع الفصل الثاني .

والوجه الثاني عشم ان الصلوة والخر اعظم طرق العبادات واقربها
 وارسخها في فطرة الناس . فترى السجود والركوع وتقديم التذلل لها والعيده
 في كل مله وخله سواء عبده الله الواحد والالهة متعددة او روحاً وصناً الله عظموا
 انساناً كآله مبعود . لا شك ان بين الاقوام المهنه والوشية وبين اهل النجى و
 الباطل فرقاً عظيماً وكذلك بين صلواتهم ونسكهم بعداً شاسعاً ولكن مع ذلك لكلهم
 نسكاً وصلوة ما وبها كما انهم مختلفون في مفهوم الآله مع اتفاقهم في امر عام من مفهوم
 المعبود ولا ترى في الاتفاق بينهم في سائر العبادات . وقد مر في الوجه الاول ان
 الايمان والاسلام لبيان جميع المخلوق ان الصلوة والنسك صورتان لهما

فالآن ترى ان الناس انبثوا من نقطة واحدة في الدين والعبادة وانما تشعبت
بهم الطرق لدخول الطون والابواء فاختلفو بافراط وتفرط وانفاد وتخليط .

(تفصيل لما ذكرنا من اختصاصنا بهذه العطاء والامر بالصلوة والنحر)

١١ - قد علمنا ان للصلوة قدما على النحر كتقدمها على سائر العبادات ولذلك تمد بها
التدني المذكور من تأمل فيما ذكرنا من وجوه المناسبة بينهما تين ذلك وايضا تين رفيع
محلها فلا حاجة الى اعادة ما سبق ولكن بقي لنا ما دل عليه اختصاصنا الكون والامر بالصلوة
والنحر معا وذلك ثلاث امور الاول فضيلة هذه الملة على سائر الملل والثاني انحصار توبة
اليهود والنصارى في قبول هذه الملة والثالث كون المسلمين لا غيرهم ورثة ابراهيم
عليه السلام . وآما بيان هذه الامور فاعلموا ان ابراهيم الدم كان بوطريق التقرب الى
الذي في الاديان القديمة وكان بمنزلة الصلوة بهم والى هذا ما لبث اليهود فلم يذكر الصلوة اصلا
ذكروا الصوم بالكفاية فقط وذلك لان طرف النقل كان غير بالغ فيهم حتى يكفهم محض التوجه بالغلب .
تقديم الصلوة وجعلها من الدين دليل على عروج الديانة ولكن الطباع متفاوتة فطرة
حتى ان قوما ولو لم يولدوا ذرة الحكمة توجد فيهم افراد كثيرة على ابتداء المدا رج منع الزام
الصلوة ويكثر بالهم يطل الاسلام الذبح بالكلمة حتى انه لم يطل ايضا طرق الاذنين
الذين جعلوا الديانة محض رهبانية فابقا بالاسلام في الحج . فان صح ذلك رأيت
دين النصارى على طرف مقابل لليهود . فان لهم صلوة فقط ولا نسك . وليس لهم ان
يدعوا بلوغ كمال الديانة فان الكمال هو الوسط ولا خير في الغلو ولذلك تراهم ادعاهم
به الغلو حيث صاروا اسفل من اليهود ايضا في معظم امور الدين وهو الايمان كما ان
اليهود ادون منهم في الاعمال . فلهذه رعاية الوسط ووضع كل شئ محله ترى الصلوة اكثر
شئ ذكراني القرآن ولا تجد كلمة النحر الا في هذه السورة ولم يذكر التضحية الا تبعا في مواضع

معدودة . فجميع المدلن الصلوة والنحر وباول على سرهما وموضعها ومقدارها اعطائنا من العلم المستدل به على فضيلة هذه الشريعة الجامعة على الملل السابقة . أما المشركون والملاحدة فلا صلوة ولا تقربوا . وأما النصارى واليهود فليس انهارا ركنا واحدا فقط بل افضى امرها الى تمام الحرام لما انها بقيا على ملته كانت لاجل معدود . وبيان ذلك ان دين النصارى كان دين التجرد والنحول واشتغال كل امرء بتخصيصه . فلم يعطوا الجهاد واقنوا بالصلوة والصوم والزكوة وامروا بان يخفوا فمكثوا ذلك اصلح تبريتهم لم يتبين فرائضهم ومنهم فأتت حتى انهم ضيعوا كلها فأتا امرهم هذه الاناجيل بصوم ولا صلوة بل يصرح بانها مستحبات فقط وخلاف ذلك تأمرهم بترك اقتداء برك الكسب والانتصار . واذا ضيعوا اقطاننا اعطوا [ونسوا خطانا ذكر واية] ففتت في مكانه بدعاتهم المتكاثرة فزعموا ان الشك انما منع عنهم لان المسيح صار لهم قربانا وزعموا حسبا وجدوا في شريعة اليهود ان الاسبيل الى كفارة ذنب من غير ابراق دم فزعموا بان المسيح كفر عنهم فلم يهتم احد الامرين وكلاهما اشنع من الاخر . وذلك اما ان يقولوا بان المسيح كفر ايضا ذنوبهم المستقبلة وقد ذهب اليه طائفة فزعموا ان الايمان بالمسيح يكفى للنجاة وذلك اشنع اجاء واما ان يقولوا ان الذنوب المستقبلة لا مغفرة لها وقد ذهب اليه طائفة واعتقد به امام هؤلاء النصارى بولوص وذلك اشنع بكثير من شناعة المعتزلة الذين غدا في خلاف الارجاء . ذلك . واما اليهود فمذهبهم التصريح بامرين الاول ان لا مغفرة الا للتيمة والثاني ان التوبة لا تصح الا في بيكلهم وقد اخرجهم الله عن اديهم . فقد غلق عليهم شريعتهم باب التوبة غير ان يؤمنوا بالنبي الموعود الذي وكل رجاء بهم اليه وعرفه لهم انبياءهم وقد حكى القرآن هذا الوعد الالهى عند ذكر تقصير اليهود عن تحمل الشريعة الكاملة واستغفار موسى لهم فقال تعالى [قال غدا بي

اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شئ فساكتبها للذين يقولون ديو تون الزكوة و
الذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يقولون الرسول النبى الامى الذى يجردونه مكتوبا
عندهم فى التوراة والانجيل [وما ذكرنا يتبين لك ان هذه الآية الواحدة بكلماتها
الثلاث تروى على جميع الاديان فان وضعت اليهودية والنصرانية فى كفة وبنده الآية فى
كفة اخرى لترجمت على اليهود باذلهما وعلى النصرانية باخرها وعلى سائر الاديان بوسطها
لكون قرايبهم لغير الله ولا تكاثرهم بكون الله ربهم فانهم اتخذوا الههم اربا بادون الله
الاعلى الاكبر . ومع ذلك دلت بنظها على احسن طريق للديانة والسلوك الى
الرب وهو ذكر الرب والتوجه اليه فى كل حال وبكل صورة وعلى قدر يناسب الاعمال
والازمنة .

ولما ادركت الدنيا واتباعه وراثته ابراهيم قطع عن هذه الوراثة الخاصة اليهود و
النصارى امرهم بما يخص هذه الامة من الصلوة والخمر . فان ابراهيم بنى مسجدا
لانده كما كان هو ظاهرا وكما قال تعالى [طهرايتى للطائفين والعاكفين والركع السجود]
فالصلوة هى الغاية الاصلية . واما الخمر فجعلها مذكرا الاسلام و اسلام ابنه
اسماعيل فجعل موضعه المردة التى تقرب عليها ابنه البكر ثم ابقاه سنة لاطعام
الحجاج لبیت الرب وسع ان عبادة اليهودية انحصرت فى التضحية لم يجعلوها
الاعادة ظاهرة خالية عن الحقائق والاشارات التى بدانها القرآن اليها و
ليس عندهم اثر ما لا قول ما يدل على ان ذبحهم تذكارا للذبح استحق ثم كتبتهم
نفسه يطل دعواهم من وجه كما هو مبسوط فى موضعه . ولما كان الامر هكذا
حسن اختيار كلمة الخمر الذى يدل على ذبح الابل التى كانت محرمة على اليهود
خاصة وتفضيل هذا البحث موكول الى تفسير سورة البقرة وآل عمران . فخر
الابل ليس فيه نصيب لليهود فبذبحه اضحية ابراهيمية مخصوصة باولاد اسماعيل بيت الله

الذي اسكن عنده هذه الذرية -

(في تاويل كلمتين "شأنك" و"الابر")

١٢- قبل تاويل الآيات الأخيرة تنظر في كلمتين شأنك والابر اما اشارني فلكونه مضافاً الى المعرفة صار معرفة ولا يلزم المعرفة ان يكون معينا ولكن بعض المفسرين حاولوا التعيين واستنبطوه من طريق النظر في اسباب الامور فاختلفت اقوالهم فيه كما يقع كثيرا في مثل ذلك فروى عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة ومجاهد و قتادة اذ العاص بن رائل وذلك لانه قال انا شافني محمد وروى عن ثمر بن عتيبة انه عتبة بن ابي معيط لما انه كان يقول انه لا يبقى للبني دله وهو ابر وروى عن ابن عباس وعلمته ما يدل على ان المراد به قریش . فنقول ان هذا الاسم وان كان في نفس الامر اولى برجل مخصوص وكان هو اذل داخل في مطلق الآيات ولكن اذ لم ير دلائل تفضيه بالتصريح سكتنا عن تعيينه . وهذا يفرض ارادة المعين وكبريا غير لازمة كما مر . ولا شك ان اسم الطرق ان نضع زمام الاستنباط في يد القرآن فتوجه حيث يقودنا نصه واقتضاه ونظمه وسياقه . وقد رأينا في السورة السابقة ان سميت الكلام الى قریش الذين كانوا اولياء بيت الرب وقد خانوا في امانتهم . ثم نجد الرواية المؤيدة لذلك وتبين انهم دلت الحالات على كون قریش اولى بهذا الاسم . ثم ذلك هو المقصود للكلام السابق سبحانه من تاويله . وبناء على ما ذكرنا من الوجه ينبغي ان يراد به اولاً وبالذات قریش ثم يراد به كل من كان متصفا به . فان خصوصيات موقع النزول لا تمنع الكلام عن سعة معناه الذي دل عليه . فهذا جملة القول في هذه الكلمة وسياقك لها مزيد بيان اذا شرعنا في تفسير الآيات ان شاء الله تعالى .

وَأَمَّا الْإِبْرَ فَعَلُومُ أَنَّهُ صَفَةٌ مِنَ الْبَرِّ وَهُوَ الْقَطْعُ وَالْكَلِمَةُ اسْتِعْمَالَاتُ شَيْءٍ وَالنَّظَرُ فِيهَا
يَعْنِيكَ عَلَى اسْتِنْبَاطِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ هُنَا فَذَكَرَ اسْتِعْمَالَ هَذِهِ الْمَادَّةِ حَسَبَ
تَرْتِيبِ مَعَانِيهَا يُقَالُ سَيْفٌ بَاتَرَامَى قَاطِعٌ وَتَبَاتَرُ قَطَاعٌ . تَبَرَّ فُلَانٌ رَحِمَهَا قَطْعُهَا . الْإِبْرُ
فَتَاطِعُ الرَّحِمِ . الْبَرُّ الرَّجُلُ إِذَا أُعْطِيَ نَهْمٌ مَنَعٌ . الْكَيْجَةُ الْبَرَاءُ الْقَاطِعَةُ . ثَمَنِي حَدِيثُ الضَّحَايَا
أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْمُبْتَوَرَةِ وَهِيَ مَا قُطِعَ ذَنْبُهَا . الْإِبْرُ مِنَ الْكِيَامَاتِ لَوْعٍ مِنْهَا قَصِيرُ الذَّنْبِ .
الْإِبْرُ مِنَ الْإِعْقَابِ لَهُ . فِي الْحَدِيثِ كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يَدْرِ بِسَمِّهِ أَوْ فَهُوَ الْبَرُّ .
الْحَبْطَةُ الَّتِي لَمْ تَبْدَأْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ سَمِيَتْ بَرَاءً . الْإِبْرُ مَا لَا عُرْوَةَ
لَهُ مِنَ الْمَزَادِ وَاللَّاءِ . الْإِبْرَانُ الْعِيرُ وَالْعَبْدُ . الْبَتِيرُ الشَّمْسُ إِذَا بَهَرَتْ
وَذَهَبَتْ قُرْوَانُهَا وَنَبْلُهَا فَالْظَّنُّ فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ الْإِبْرَ هُوَ الْمَقْطُوعُ عَمَّا
يَفْضَحُهُ وَيَمِدُّهُ حَتَّى إِنَّ الشَّمْسَ إِذَا بَهَرَتْ ذَهَبَتْ عَنْهَا نَبْلُهَا وَانْجَرَدَتْ قُرْصًا صَغِيرًا
سَمِيَتْ بَقِيرًا . وَكَذَلِكَ مِنْ بَرِّ رَحِمِهِ وَانْقَطَعَ عَنْ عَصَبَتِهِ وَانْفَصَارِهِ سَمِيَ الْبَرُّ
لِذَلِكَ سَمَوْا الْعِيرَ وَالْعَبْدَ الْإِبْرَانِ لِقَلَّةِ نَاصِرِيهَا . وَعَلَى هَذَا الْأَصْلِ قَالَ قَتَادَةُ
فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ " الْإِبْرُ الْخَيْرُ الدَّقِيقُ الدَّلِيلُ " فَبَيَّنَ أَنَّ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ تَمَرُّجٌ
مِنَ الْمَقْطُوعِ إِلَى الصَّغِيرِ الْقَصِيرِ وَالْإِبْرُ إِلَى الْخَفِيزِ . هَذَا الْآنَ نَتَوَجَّهُ إِلَى تَأْوِيلِ
الْآيَةِ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

(تأويل قوله تعالى " إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ")

١٣- لا يَخْفَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى [إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْإِبْرُ] جَوَابٌ وَرَدٌّ عَلَى مَنْ طَعَنَ
فِي الْبَنِيِّ أَنَّهُ الْبَرُّ وَكَهَذَا فِيهِ الْفَسَادُ . وَأَمَّا مَرَادُ الطَّاعِنِ بِقَوْلِهِ هَذَا فَيَقْضَى
تَفْصِيلاً . فَاعْلَمْ أَنَّ الْبَنِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ طُنَّ قَرَشِشٌ
أَنَّهُ بَرُّ رَحِمِهِ ، وَتَرَكَ أَكْرَمَ بَيْتِ الْعَرَبِ ، وَحَرَّمَ مَا كَانَ لَهُ مِنْ شَرَفٍ وَدَلَالَةٍ الْكَلِمَةُ

وجارده نصار بنزعمهم كسجرت قطع عن اصله فيوشك ان يصنع امره ويتضاءل قدره
 نبشره الله بالبركة والكثرة والفتح والنصرة، وانه باطل ما زعم عدوه لهو المقطوع
 المحذول. ولما كان هذا الكلام رد الزعمهم كان فيه تعريض الى ان عدوه هو يلبس
 الشرف الذي يتباهى به نصارا خبارا بفتح كمة. وهذا المعنى الذي هو ظاهر من جهة
 اللغة ونظم الكلام يؤيده ما جاء في الاخبار. قال السيوطي: «اخرج البزار وغيره بسند
 صحيح عن ابن عباس قال قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش
 انت سيدهم الا ترى الى هذا الصنوبر المتبر من قومه يزعم انه خير منا ونحن اهل
 الحجج واهل السقاية واهل السدانة قال انتم خير منه. فنزلت ان شئت
 هو الا تبر. واخرج ابن ابى شيبه في المصنف وابن المنذر عن عكرمة قال لما
 ادعى الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت قريش تبرمهم منا فنزلت «ان
 شئتكم هو الا تبر»، واخرج احمد وغيره عن ابن عباس مثل ذلك.
 واخرج ابن جبرير عن ابن بشير قال حدثنا ابن ابى عمير ابنا داود بن ابى
 هند عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب ابن الاشرف مكة اتوه
 فقالوا نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا
 الصنوبر المتبر من قومه يزعم انه خير منا. قال بل انتم خير منه فنزلت عليه «ان
 شئتكم هو الا تبر»، قال وانزلت عليه «الم تر الى الذين اوتوا الفيض من الكتب
 يؤمنون بالبحيث والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين
 آمنوا سبيلا. اولئك الذين لعنهم الله ومن لعن الله فلن تجد له نصيرا» و
 هكذا في حديث آخر عن عكرمة غير ان فيه «نحن اهل الحجج وعذنا من اهل البدر»
 والمعنى واحد فانهم اتقوا البشرف منبتهم وطيب منبرهم عند البيت المبارك
 وبان فيهم خدمة البيت وعبد النحر من لدن ابراهيم اصل البركات وسياقتيه

فی الفصل ... فزعموا ان المقطع عنهم كالصنوبر المقطع لا تطول مدة بقائه وكانوا
مطئنين بهذا الظن الباطل متعدين على قول رئيس اليهود حتى ازال الله عنهم الغطاء
حين علموا انهم هم المخذولون المقطوعون وقد وقع ذلك الوعد حين نزلت
سورة البراءة فقطع كل مشرك عن المسجد الحرام . ذلك وذكركم بعض ما دل
عليه هذه الآيات في الفصل الخامس عشر .

(موقع نزول السورة ودلالاتها على انها بشارة بفتح مكة)

هم تقدم في الفصول الاول ان السورة بشارة بفتح مكة وان استعمال
الماضي في قوله تعالى [انا اعطيتك] يدل على انجاز وعد الفتح الذي قرب .
فأما ترى في القرآن آيات يامر الله فيها بنبيه للبصر والانتظار وان الله سينصره
وفي كل ذلك ايهام شتاقه تعالى [اما نريك بعض الذي نعدهم او نتوفيتك
فانا عليك البلاغ وعلينا الحساب] وايضا [فاما نذهب بك فانا منهم منتقمون .
او نريك الذي وعدهم فانا عليهم مقتدرون] فلم يبين للنبي هل يكون حاله كحال
عيسى توفاه الله قبل النصر او كحال نوح اراه الله النصر العظيم او كحال ابراهيم
وموسى اراهما الله طرفا من الفتح والبركة و وعدا تمامها عند ظهور البشارة الاخيرة فكان
النبي والمؤمنون في غمأ الرجاء حتى اذا نزلت هذه السورة فلق بهم الصبح وجاءتهم
تبشير الفتح . فلما نفهم من هذه السورة الا انها نزلت قبيل فتح مكة او عند فتحها
الاول . وهو ما دونه قرئش عند الحمديّة . ويؤيد ذلك ما جاءنا من طريق الروايات
قال ابن جرير رحمه الله « حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرني
ابوصخر قال حدثني ابو معاوية الجعفي عن سفيان بن عيينة قال كانت هذه الآية لعني
قوله [فصل لربك وانحر] يوم الحمديّة اتاه جبريل عليه السلام فقال انحر واج

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب خطبة الفطر والنحر ثم ركع ركعتين ثم انصرف
 الى البدن فخر به فذلك حين يقول [فصل لربك وانحر] قال السيوطي رحمه الله
 بعد ذكر هذا الحديث ودقلت فيه غرابة شديدة، ولم يذكر وجه شدة الغرابة اعتماداً منه
 على ظهورها لما توهم رحمه الله ان هذا القول يخالف الامر المشهور من وجوه مختلفة
 ولكنها وجوه ناشية من التوهم زائلة بعد التأمل الصحيح فلنذكر بناسخ التبيين على ضلعها
 ليتضح الحق الصريح: **فكأول** ان السورة مكية ويوم الكديية كان بعد الهجرة و
 يرتفع بهذا الوهم ان السور التي نزلت بعد الهجرة عند مكة ايضا تسمى مكية كما صرح به
 العلماء. والكديية بقرب مكة فان بينها وبين مكة مرحلة وبينها وبين مدينة تسع
 مراحل. وبهي من الحرم. والثاني ان يوم الكديية كان بعد مضي خمس
 سنين وعشرة اشهر من الهجرة وقتل كعب بن الاشرف في السنة الثالثة
 وقد روي ان قوله [ان شانك هو الاثر] كان في الذين سألوا كعباً هم
 خيرام بن النبي كما مر في الفصل السابق فكيف يصح ان السورة نزلت في يوم
 الكديية. ويرتفع بهذا الوهم ان قولهم نزل في كذا الايدل على الوقت بل على
 مطابقة الآية بحال خاص قوله تعالى [ان شانك هو الاثر] ناظر الى كل من
 كان شاناً له سواء فيه من مضي ومن ياتي الى يوم القيامة. وحين نزلت هذه
 الآية كان اعداؤه الذين ماتوا بالذلة والهوان مثلاً لمن بقي ولم تنفك قریش
 بعد مكالمهم بكعب موقنين بكون النبي كما قال ذلك الفاسق حتى جاء الفتح وتبين
 ان اعداء النبي هم الحق ولون فمن قال ان آية [ان شانك هو الاثر]
 في قریش الذين زعموا الكعب ما زعموا انما ذكر مطابقة هذه الآية بحالهم لان
 الله تعالى رد عليهم طعنهم من غير مهلة. وآلثالث ان الآية الاخيرة ناظرة الى
 عقبة بن ابى معيط طعنه في النبي بانه لا يبقى له ولد وهو ابر. وعقبه هذا اسرني يوم

بدر وقتل فمين قتل من الاسارى ويرفع هذا الوجه بارفع به الوجه الثانى .
 فتح ان الآيه لا ترى تاويلها الى هذا الطعن . ولا ترى ان الابرار ههنا لمن لا يحب له
 سخافة هذا التأويل . وبعده عن النظم ونصه من جهة الرواية ايضا . فارتفعت
 الفرافة عن قول سيد بن جبير . وتبين صوابه . ثم يوافقه ما روى عن محمد بن كعب
 القرظى فى تفسير الآيتين السابقتين حيث يقول . و ان انا ساكنوا ليعملون
 ويخرجون لغير الله فاذا اعطيناك الكوثر يا محمد فلا تكن صلوتهك ونحرك الآلى »
 وكأنه بهذا القول بين ان قرشا شقوا هذا الكوثر بانهم لم يودوا الله فترعه عنهم و
 نطيكه فاذا اعطيناك وقد اعطيناك فادعه . ولا يخفى ان الامر باقتبال حكم متضرع
 على دأته يدل على ان الواقعة قد وقعت او سيقع كما قال تعالى [اذا جاء نصر الله
 والفتح] رأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك و
 استغفره [فلم يفهموا من ذلك الا انها نزلت عند الفتح وعد دخول الناس
 فى دين الله افواجا . فهكذا انهم من قول محمد بن كعب رحمه الله و اذا اعطيناك
 الكوثر ، الخ امسى قد اعطيت وقرب ظهوره .

(النظر فى السورة من حيث مجموعها)

٥- ان صح عندك هذا التأويل الذى قد مناشم تأملت السورة بمجموعها ونظرت
 فى حدود آياتها اطلعت بادى بدء على تضام آية .. الأولى ان الله تعالى
 اعطى محمد صلى الله عليه وسلم وراثته ابراهيم . والظهر فيه اجابة دعائه فقبل لها
 وراثته من امته . والثانية انه قد سلب الله هذا العطاء كل خائن كفور فانه
 ساخط بهم كما صرح به فى سورة الحج . والثالثة انه اذ ربط القطع عن هذا
 العطاء بصفة خاصة دل على علته . فبين . ان عداوة البنى يقطع عن بركة الله

والرابعة انه بما جعل هذه الحكرمان مخصوصا باعداءه دل على ان الفائزين بوراثته
هم اجباؤه فحصلت لنا علامة بين اهل الحق والباطل والتبيين لهدى الله ونة
رسوله والزائفين عنها فالأبر من هذه الوراثته داخل في شائئيه. والخامسة
انه كما جعل الصلوة والنحر شعارا اجباؤه جعل تركها شعارا عداؤه من المشركين و
اليهود ومبتدعة الضاري والمبتدعة من هذه الامة. فبهم من يستخف بالصلوة، و
منهم من يستخف بالحج، ومنهم من تسبل عن كل ذلك. فالضيعون للصلوة والنحر
والحج هم الاعداء للبنى والمتطوعون عن دراسته والمخذولون كاليهود والضاري
ولكن في الاسلام يقية من اهل الحق والسمعة ورجو ان يحشرهم الله بعث
نهم من يعزبه الاسلام، وما ذلك على الله بعزيز وقد قال عز من قائل
[وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم] وما ذكرنا قد تبين ان
السورة بشارة بفتح ميم كما قدمنا في الفصول المقدمة. وهى ايضا انذار لاعداء
البنى بكونهم مقطوعين عن دراسته ابراهيم. فاول السورة وآخرها جاء تأمل
اسلوب المقابلة وسطها كالبرزخ بينها ناظرة اليها اى من قام بالتوحيد
وصلى ونحر اعطى الكثرة، ومن خالف ذلك تبرعته، فنقل السورة كميزان
ذى كفتين، لان، ففى كفته خير كثير فاقبلها، وفى كفته شر كبير فانها فتوازنها
كتوازن الوجود والعدم، وكما ان اللسان يتجه الى الجانب الثقيل فكذلك
الآية الوسطى تتجه الى الآية الاولى، ولذلك وصلها بالفاء وجعل الآية الثالثة
مفصلة، فدللت باسلوبها ايضا على قطع اعداء البنى عن الكثرة بخصوص
باجباؤه.

بشارة الرضوان لأمته صلى الله عليه وسلم

١٤- قد سبق ان المراد بهذا الاغطاء هو الاعطاء العام للنبي واتباعه كما ان البتر عام لجميع اعداء النبي واذا كان الامر كذلك فلم تكن هذه البشارة محض غلبة الاسلام على الكفر بل كانت بشارة رقة الله على امته هذا النبي في الدار الآخرة فصرعن هذا الفتح باعطاء الكوثر اياهم في القيمة. فلما وقع بالبشرى به السورة ظهر انهم صدقوا الله ورسوله فاجتباهم، وامتنن قلوبهم فرضى عنهم وارضاهم. وقد علمنا من تاريخ الانبياء ومن تصریح القرآن ان اول النبوة لازل وصبر و آخرها بركات و اجر فصار فتح مكة برمانا على كونهم اولياء بيته وشهداء دينه وخلفاء ارضه فكان انجازاً لما وعدهم في قوله [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصلوات ليتخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذي ارسلنا بآياته لكيلا يحزنوا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم المفلحون] (نفسر بانجاز هذا الوعد بقوله تعالى [انا اعطيتك الكوثر] فتشابه القولان. ثم تجد الشبهة فيما اتبعه قوله) واتيوا الصلوة وآتوا الزكاة (فان ذلك تشبه قوله تعالى [فصل لربك وانحر] و اطيعوا الرسول لعلمكم ترجمون] وهذه ايشبه قوله تعالى [ان شانك هو الابرار] كما سيا تيك بيانه وكذلك سورة الفتح بماها تخبرنا عما جعل الله لهذه الامة من الرحمة والسكينة والمهفرة والتمكين في الارض المقدسة. وهكذا جاءني صحف الانبياء لاسيما في الزبور واسال سليمان. وقد اشار القرآن اليه حيث قال (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) اى الارض المقدسة التي هي مثال لارض الجنة. وكما افضل هذه الارض و

واقدها كما ذكرنا في تفسير سورة آل عمران وسورة الفيل . فقد نزل هذه
السورة جعل يمين التجاوز والوراثة حتى اتبها الله فزرع الله تعالى ارضه المقدسة
عن ايدي الكفار وادبرتها المسلمين وبذلك بشرهم بانهم عباده الصالحون
ومصدق قوله [الذين آمنوا وعملوا الصالحات] وانه جعلهم خلفاء في الارض
وارثين لها ولكن لهم دينهم ونفس غنم الاعداء طرا . وبذلك صدق في هذا النبي
ما بشر به موسى بنى اسرائيل من ان النبي الموعود اذا جاء طهر الارض
المقدسة عن الكفار ولم يصدق ذلك في احد من جاء من الانبياء والملوك
في بنى اسرائيل كاتشهدهم ما يديهم من صفهم المقدسة . ولذلك كانت
اليهود تنتظر لمن يطهر الارض المقدسة من الكفار كما قال تعالى [ولما جاءهم نب
من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتون على الذين كفروا فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به] فبذره السورة ارباب ظهور تلك البشارة حتى طهر الله الارض
المقدسة عن اعدائه .

(برهان دائم متصل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم)

١٤- قد مر ان السورة اعلنت بان بناء القطع عن الكثرة هوشنان النبي نصار
اخبارا بامر متصل دائم . واذا ليس في حد بشره ان يشر بدوام سلطنته على
ارض وقطع عدده عنها فان الدهر لا يبقى على حد ثانه ملك ولا جيل فكم منهم طارثم
وقع واتقاه الدهر وابتلع . فبذره النبوة الصريحة التي نزل بها القرآن مع كونها بشارة
عظيمة صارت لنا برهانا دائما متصلا على صدق النبي وذلك اقوى دلالة من
نبوات قصت نجها مثل ما جاء من نبوة عيسى عليه السلام [وانبكم بما تاكلون
وتدخرون في يوم تكلم] ومن نبوات منتطرة لم يقع الى الآن مثل نبوات

وايال وخرقل : والنبوة المتصلة اخرى بصاحب البعثة الباقية فان الله تعالى
 لما جعله قائم الانبياء صدق فيه كثير من نبوات من قبله ومنه حجبا وائمة متصلة ومن عظم
 النبوة ان يكون خرقا لاسباب الظاهرة . وقد مر ان السورة انزلت يوم
 الحديبية الذي كان الغلب الظاهر فيه للكفار كما يظهر من شرائط الصلح . حتى ان
 بعض الصحابة اظهر للنبي كراهية لما جرى به الصلح . واذكر بعضهم صورة الكتابة حين امره
 النبي بمحو بعض ما كتب . فبين ان هذه النبوة لم تكن مما توقع وينظر من
 الاسباب الظاهرة وذلك مثل اخبار النبي بعلية الردم بعد بضع سنين مع شدة
 دلالة الاسباب الظاهرة على خلافه كما يراه في موضعه . وقد ذكر موسى عليه
 عليهما السلام من خصائص هذا النبي انه يخبرهم عما يقع عن قريب حتى يعرفوا انه
 هو الموعود كما جاء في التثنية اصحاح ١٨ : اقيم لهم نبيا وسط اخوتهم مثلك واجل
 كلامي في فم فيكلهم بكل ما اوصيه به ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي
 الذي يتكلم به باسمي انا اطالبه واما النبي الذي يطعن فيكلم باسمي كلا ما لم اوصيه
 ان يتكلم به او الذي يتكلم باسم آلهة اخرى فيموت ذلك النبي انه ان قلت
 في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فأتكلم به النبي باسم
 الرب ولم يحدث ولم يسر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطبقان تتكلم به
 النبي فلا تخف منه . وكما جاء في يوحنا اصحاح ١٤ : واما متي جاء ذاك روح
 الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم
 بامور آتية . فوقع فتح مكة بعد نزول هذه السورة يسيرا ودامت واتصلت
 هذه النبوة في حق المؤمنين الصالحين بشارته وفي حق اعداء النبي انذارا نجات
 هذه البشارة جامعة لوجه من البرهان على صدقه والحمد لله العلي الكبير .

(تصدیق ما وعد اللہ ابراہیم من عموم البرکة و فیہ المشاہدۃ بین ابراہیم
و محمد علیہما اتم الصلوات)

۱۸- قد تین ما ذکرنا فی الفصول السابقۃ ان امدتعالی اعطی الخیر الکثیر لنینا و
واجابہ و قطع عنہ اعداءہ ففی ذلک تصدیق لما وعد اللہ ابراہیم من ان جمیع اہل
الارض یبارکون بنسبہ و یبارک اللہ مبارکیہ و یلعن لایعینہ فہذا ان امران
والاول ایضاً ہی قولہ تعالی [انا اعطینک الکثیر] والثانی ایضاً ہی قولہ تعالی
[ان شانکک ہو الا تبرائی کل الامین] بل ہی عظیمۃ بین محمد و ابراہیم علیہما الصلوات
و بیان ذلک ان اللہ تعالی قد قضی بکلمۃ و رحمۃ ان یجیع البرکات مع ابراہیم
علیہ السلام فانہ صار و ارثا لہا بعد نوح ؑ، کما قال تعالی [ان ولد اصطفی آدم
و نوحا و آل ابراہیم و آل عمران علی الطین] فاصطفی اللہ تعالی آل ابراہیم فقط
بعد نوح فان آل عمران ایضاً من ذریۃ ابراہیم . ثم بوسیلة ابراہیم وعد اللہ
شمول البرکات جمیع اہل الارض فقد جاء فی سفر توحید ص ۱۲ و قال الرب
لا ابراہیم اذ ہب من ارض ابیک و من عشیرتک و من بیت ابیک الی
الارض التی اریک فاجلک اللہ عظیمۃ و ابارکک و اعظم اسمک و توحید برکۃ و
ابارک مبارکک و لا یغیبک آلعن و تبارک فیک جمیع قبائل الارض . و ہذا
فی قصۃ ہجرۃ الی موضع المردۃ التی قرب علیہا ابنہ اسمعیل علیہ السلام اشار
الی ان عموم البرکۃ یكون بذریۃ کما صرح بہ فی موضع آخر فقد جاء فی توحید ص ۱۶ و ۱۷
۱۸ بذاتی اقصت یقول الرب انی من اجل انک فعلت ہذا الامر و لم تحسک
انک و حیدک ۱۹ ابارکک مبارکۃ . . . ۱۸ و ۱۹ و ۲۰ و ۲۱ و ۲۲ و ۲۳ و ۲۴ و ۲۵ و ۲۶ و ۲۷ و ۲۸ و ۲۹ و ۳۰
ام الارض من اجل انک سمعت تقولی ،، فصرح بان اصل البرکۃ ہو تصدیق

ابنه قرباناً فنج ان البركة عمت ذريته من اسحق عليه السلام ايضاً فان ينبوعها
كان في ذرية اسمعيل الذي قرب، ثم دل على حقيقة هذا السبب في موضع آخر فقوله
في سفر تكوين ص ١١ « و ابراهيم يكون امته كبيرة وقوية وتبارك به جميع اعم
الارض لان عرقه لكي يوصي بنيه وبيت من بعده ان يخطوا طريق الرب ليعملوا
برا وعدا لكي ياتي الرب لابراهيم بانكلم به، اى البركة التي وعد بالابراهيم
عليه السلام فعلنا ان حقيقة الدين الذي اعطى ابراهيم هي البر والعدل والان
فاظهر كيف صدق الله هذه الامور بعبثتنا بنا صلى الله عليه وسلم فانه تعالى شمس هذا
الموضع الذي كان اصل البركات ثم اعطاه اياه واورثه شريعة البر والعدل .
فجعلنا وارثا لابراهيم عليهما الصلوات وصدق في عموم البركة جميع اهل الارض
لما انه بعث لكافة الناس كما قال تعالى [وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا] وايضا [وما ارسلناك الا رحمة للعالمين] فبما جعل الله نبوته شاملة لكافة
اهل الارض جعل البركة شاملة لاتباء الذين يباركونه وهم الذين يباركون ابراهيم
عليه الصلوات وفيه تصديق ما وعد ابراهيم « و ابارك مباركك » وذلك بان المباركة
هي دعاء البركة والخير في الابل والذرية فمن بارك رجلا بارك ذريته ومن
بارك ذرية رجل فقد بارك بذلك قطهر من ذلك انا نبارك ابراهيم حين نضلي
على محمد وكذلك نبارك ذرية محمد واهله حين نضلي عليه . ولذلك نقول في الصلوة
« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم » اى
بائتكم صليت على ابراهيم وآل ابراهيم فصل على محمد وآله انجازا لوعده . ولا نجد
هذا الامر بالمباركة لغيرنا ، فان الله تعالى امرنا بذلك فقال [ان الله وملكته يصلون
على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما] ولذلك نختم صلواتنا كلها بهذه
المباركة . واما اليهود والنصارى فلا يردن الصلوة فرقيته واذ صلوا فلا يباركون فيه

على ابراهيم ولا على احد من ذرية نضارت المباركة شعرا امة محمد صلى الله عليه وسلم
لانا في تشبهنا نقوض الصلوات الطيبات اول الله تعالى ثم لبها بجمع عباده
الصالحين ، و نذكر بالخصوص نبينا و ابراهيم اعترافا لهما علينا و ذلك من البر و العدل
الذين هما تنزل البركات كامر . ثم من تصديق عموم بركة هذه الشريعة ان الله تعالى
امرنا بها بالبر و العدل بجمع الناس ، فقد قال تعالى [لا ينهكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين و لم يخرجوكم عن دياركم (اى الذين هم اعداء البر و العدل) ان تبرؤهم و
تقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين] و قال تعالى [يا ايها الذين آمنوا كونوا قوا بين
الله شهيدا ، بالقط و لا يخرجكم شأن قوم على ان لا تقولوا اعدوا هو اقرب للثغور
و كذلك تجده اليوم و التادى بين جميع الناس في جزئيات احكام هذه الشريعة
الكاملة كما هو مبسوط في موضعه ، و لا يخفى ان الكعبة اقامها الله تعالى للبر و العدل لانهمايت
على التوحيد و الذكر و الشكر لله تعالى و المواساة بالناس و قد علمنا القرآن
ان التوحيد راس العدل كما قال تعالى [ان اشرك نظم عظيم ما و قد بينا فيما مر
ان الصلوة و النحر للتوحيد و الذكر و الشكر و المواساة فكل ذلك طرق البر
و العدل ، فهدانا من هذه الجهة ايضا الى ان الكعبة هي منبع البركات لكونها مركز التليم البر
و العدل ، و كذلك رأينا في هذا الفصل ان الله تعالى بارك ابراهيم عليه

الصلوات سيد هذه البيت ، فخذ هذه الامور ايضا تنزل على

ان الكعبة هي نبوع الكوثر ، و هذه آخر ما تيسر لنا ذكره

ففى تفسير هذه السورة و آخر دعوانا ان الحمد

لله رب العالمين ، و الصلوة على

جميع عباده الصالحين

فہرس مصنفات صاحب ہذا کتاب

اجزاء من التفسیر المسمی نظام القرآن

آفات

۴۴	تفسیر درۃ نبیۃ الی باب
۴۴	تفسیر سورۃ التحریم
۴۴	تفسیر سورۃ عبس و توتی
۴۴	تفسیر سورۃ القیامہ
۴۴	تفسیر سورۃ التین
۴۴	تفسیر سورۃ الکفرون
۴۴	تفسیر سورۃ العصر
۶۶	تفسیر سورۃ الذریت
۶۶	تفسیر سورۃ الکثر
۶۶	امعان فی اقسام القرآن
۱۰۸	الرای فی الصحیح فی من ہو الذبح
۶۶	اسباق النحوی، سہل طرز پر عربی گرامر بزبان اردو حصہ اول ۴ حصہ دوم
۱۲	دیوان حمید، بزبان فارسی
۸۸	خبر و نامہ، ترجمہ اشغال حضرت سلیمان علیہ السلام منظوم بزبان درسی
۲	تحفۃ الاعراب، عربی کی نوجوید، اردو نظم میں

تطلب من مدرستہ الاصلاح، سرکے میز عظم گدھ

تفسير
سورة

من

نظام القرآن

تأويل الفرقان بالفرقان

تأليف

المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعه مزارع عظم كره

الهند

فهرس مطالب الفصول من تفسير سورة الذهب

- (١) تماديل الآيه الاولى وربط السورة وانه ليست بدعا بل اخبار ١
- (٢) السبب الاول لذكر ابي لهب بخصوص ٣
- (٣) السبب الثاني لذلك ٤
- (٤) السبب الثالث لذلك ٥
- (٥) السبب الرابع لذلك ٥
- (٦) ذكر الادلة على كون هذه السورة اخبارا نبوة ٩
- (٧) اسباب وجههم في تماديل السورة ١١
- (٨) تماديل الآيه الثانية وان نبوة هذه السورة قد وقعت ١٢
- (٩) تماديل الآيه الثالثة وربطها بما قبلها وان الجزاء يشبه العمل ١٣
- (١٠) تفسير آية الرابطة والدلائل على ان "حالة الخطب" حالتها في القيامة ١٥
- (١١) الحكمة في ضرب امثال النساء عموما وامرأة ابي لهب خصوصا .. ١٩
- (١٢) الحكمة في وصفها بحالة الخطب وان الجزاء يشبه العمل ٢١
- (١٣) تماديل الآيه الخامسة وربطها بما قبلها وتأييدها للتاميل الصحيح .. ٢٣
- (١٤) زمان نزول هذه السورة ٢٤
- (١٥) لادلالته في السورة على التكليف بما لا يطاق ٢٦

سورة الذهب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَايَ أُبَيِّ لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَبَّرَ (٢)
 سَيْضِلُ نَارٍ أَذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَأَمْرُهُ كَحَمَالَةِ الْحَطَبِ (٤)
 فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)

تاويل الآيه الاولى و ربط السورة بالتي قبلها و انها ليست بدعاء بل هي اخبار
 عن فتح مكة

قد ذكرنا في تفسير سورة النضر ان الله تعالى كما قسم هذه البشعة بفتح كمة فكذلك
 قسم كتاب هذه النبوة بذكر هذا الفتح العظيم و ذلك ابناء بان الحق بلغ مركزه لان فتح
 مكة هو مركز هذه البشعة لكون الكعبة مركز التوحيد و الاسلام كما مر تفصيلا في تفسير
 سورة البقرة فلم يبق الا الاستقامة عليه و الاعتصام به فريدت السور الثلاث الاخيرة
 للتبني على ان غاية هذه البشعة هو التوحيد ف سورة الاحلاص جامعة لمعرفة التوحيد -
 و المعوذتان لاجل الاستقامة و نظير هذا الربط في قوله تعالى [ان الذين قالوا
 ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم الملكة الاتخافوا ولا تحزنوا و ابشروا بالجنة التي
 كنتم توعدون] و تفصيل ذلك في تفسير المعوذتين فلا يخفى ان هذه السور كلها مربوطه
 فوضع سورة الذهب بين هؤلاء لابلد له من سبب لكيلا يكون قاطعا لربط بعضها
 ببعض فاعلم ان سورة الذهب توكله و توضح معنى النضر المذكور قبلها و تبشر به

كان قيل "قد نصر الله نبيه واهلك عدوه" كما قال تعالى [جاء الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقاً] وترى نظير ذلك في خطبة عليه السلام على باب
الكنبة بعد فتح مكة حيث قال "لا اله الا الله وحده" (هذه امثلي سورة الكهف ون)
صدق وحده ونصر عبده (وهذه امثلي سورة النصر) وهرم الاحزاب وحده.
(وهذه امثلي سورة تبت) "فكما ان هذه الفقرات الثلاث منتظمة فكذلك هذه
السور كلها منتظمة عند من احضر مضمونها اجالا. ذلك واما الدليل على تاويلنا
لقوله تعالى [ثبت يد الالب] فاعلم ان مفهوم ثبت يده انه صار عاجزا عن
الانتصار لان كسره كناية واضحة عن كسر القوة والعجز كما قال الفخر الرازي
وتركنا ديار تغلب قفرا وكسره من الغواة الجناحا
وجاء مثل ذلك مع فقرات مرادفة موضحة في كتب الانبياء والعبرانية اخت
العربية في اكثر اساليبها. وذلك ما نجد في صحف ذي الكفل (خرقل) النبي فقال
ص ٣٠ ف ٢٢ "وقع في السنة الاثني عشرة في الشهر الاول في اليوم
ان كلام الله جاء الى قافلا- يا ابن آدم اني كسرت ذراع فرعون ملك مصر وهاهي
لن تجربو وضع رفاة ولا يوضع عصا به لتجرب فتسك السيف. لذلك هكذا قال
سيد الرب باانا ذا على فرعون ملك مصر فاكسر ذراعيه القوية والمكسورة
واسقط السيف من يده" فبين من ذلك ان المكسور اليد هو العاجز الذي
لا يستطيع ان ياخذ سيفه. فهذه الآية ليست بدعاء عليه ولا في شئ من اشم بل
ذكره بالكتابة اقرب الى الاكرام فالتايل الظاهر انه اخبار ونبوة تبني عن هلاك
رئيس اعداء الله وفرعون هذه الامة كما ان قوله تعالى [ما اغنى عنه ماله وما كسب]
اخبار ونبوة وسيأتيك لمزيد بيان فان سألني لم سميت فرعون هذه الامة وما كان
من اشد من عادي النبي واصحابه واجلب عليهم نجيد ورجل كالي جهل والي سفيان

فما كان في غير ولا في غيره. اجيباك بان اول ما دعاني الى ذلك ان الله تعالى
خصه بالذكور و ان سائر الكفار ثم تفكرنا فوجدنا ذلك اسبابا وتذكرها الآن .

السبب الاول لذكر ابي لهب بان مخصوص هو منصبه في الدنيا
وهو السبب الحقيقي

٢ فاعلم ان الله تعالى لم يجعل محمد صلى الله عليه وسلم ملكا فيكون اعدى عدده
من نازع ملكه بل بعثه نبيا و اعيانا الى الحق بشيرا ونذيرا و سراجا نيرا و امره بالصبر والصلوة
واعلاء كلمة الله و الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و ان يروهم الى ملة ابراهيم
و ان يطهر بيته من اوضار الشرك انجا الماد عدبانية كما بيناه في تفسير سورة البقرة
ولذلك امره بانذار عشيرته الاقربين الذين هم سدة بيته وذلك هو طريق الانبياء
الا ترى عيسى عليه السلام كيف كان يعنف على علماء اليهود و يغلظ لهم القول فان
اولئك هم الذين عملوا امانة الله فهم لبياءون ثم انهم قادة الكهود في دعوى اولاد
لتصلح العامة بصلاحهم ولو ترك الانبياء سادة الناس كان مداهنة في الدين
و هذا السلم كما تفصل انما ارج من كل قوم فانهم يشيرون العامة و من ههنا يظهر الفرق
بين طلاب الملك و بين انبياء الله . الا ترى كيف امر الله تعالى موسى عليه السلام
حيث قال عز من قائل [اذهب الى فرعون انه طغى فقل بل لك الى تزكى و
ابدك الى ربك فتحتي] و ترى و انيال عليه السلام يدعو الملك العظيم بنوخذ
نصره الذي لسيمنه تجتضر و ترى يرميه عليه السلام تنبا على ملوك الشمال و كما ترى
محمد صلى الله عليه وسلم خاطب ملوك الارض و دعا بهم الى السلم و تفصيل هذه المسألة
موضع آخر - هذا - و قد سبق في تفسير سورة الماعون ان ابا لهب كان صاحب
سدة البيت و تولى امانة و قد بالغ في خيانة هذه الرياسة الدينية و قد جمع

ألا كثيرا بالرفادة فلعنن كان بالشرك يدم ركن واحد من مقصد البيت فهذه
 المحصلة قد يدم ركنه الثاني وهو المواساة بالمساكين المطلوبة من القربان والطعام
 الحجاج اضياف الله فتح عليه الويل وتلب ولاية البيت . فلما كان أكبر مقصد
 هذه البعثة استخلاص الكعبة وتطهيرها عن الأراجاس لم يهمل النبي صلى الله عليه وسلم
 سائر قریش من أصحاب الذوة والقيادة واللواء مع انهم آذوا النبي و
 حاربوه حتى أخرجوه واصحابه عن جواربيت ربهم كما جهه هذا الكائن الالامنة
 المبطل الديانة فكان أبو لهب بجهة منصبه هو الخصم الحقيقي للدين واما سائر قریش
 فجميعا لعلنا قيل "تبت يدا أبا لهب وتب" فكانه قيل انهم راس الكفر واحتب
 جرتوم الفساد فبشر المؤمنين بهذه النبوة كالبشر بما قبلها من محي نصر الله-

السبب الثاني انه كان أكبر قریش خلافا للدين من جهة خلقه

٣ - ان الله تعالى بعث نبيا على احسن المخلوق واعيا الى مكارم الاخلاق كما
 قال الله تعالى [انك لعلى خلق عظيم] وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 "بعثت لا اتم مكارم الاخلاق" . وجامع المكارم الكبود و صلته الرحم واعانة الضعفاء
 وقد نشأت العرب على هذه الاخلاق فلما دعاهم النبي الى التوحيد والمواساة
 لم يخالفه الشرفاء الا من جهة اسمه اكهم بالله وانكارهم بالبعث بعد الموت
 واما أبو لهب فخالفه كحرصه وحسده اكثر مما خالفه لشركه وذلك يعلم من النظر
 في سيرته فانه لما تالبت قریش خلافا للنبي ظلم وحمية جاهلية وكتبوا صحيفة الجور
 وخذلوا بني هاشم باجمعهم وموئنيهم وشركيهم كان أبو لهب مع الظالمين فقطع الرحم
 وهو عند العرب اثم عظيم وجوب كبير فان منزلة الرحم عندهم فوق كل شيء وكانوا

ينشدون بالله كما ذكرني سورة النساء [فالتقوا الله الذي تساءلون به والارحام]
حتى انها كانت اكبر دافع عن سوء واصل قانون الصلاح كما قال زهير

يدح هرم بن سنان

ومن ضربية التقوى وليصمه من سبي الغزوات الله والرحم
وتفصيل ذلك في تفسير سورة النساء فلما قطع ابولهب جبل بني هاشم بآء بكر ذلة
ولو كان له ادنى حظ من حمة العرب وشراقة نفوسهم لكان على اسوة ابى طالب
الذى كان ينافح عن النبى مع بقاءه على دين قومه او كان على اسوة حمزة
الذى جاءه الاسلام من باب حيمته وغضبه لابن اخيه حين آذاه ابولهب
وكذلك لم يكن خلافه بالنبى وسائر بني هاشم لتصلبه في دينه فانه حين خرجت
قرشيس كلهم الى بدر لقتال النبى وهو اكبر جد الهم ولم يبق من شرفائهم احد الا
قد حضر فحينئذ قطع ابولهب ولم يخرج كما سيا تيك تفصيل في الفصل الثامن
فلو كان له ادنى حسنة ونية لمخرج الى بدر كما خرجت كبراء قرشيس ولجأه عن
دينه وكان مثل ابى جهل ذى الحمية الآية الذى قال حين المتي الناس ببدر ووالبعض
من بعض " اللهم اقطعنا للرحم وآمانا بالاعرف فاحذ الغداة " فاحسن قوله وما دله
على شرافته ورعاية الرحم لولا جهالة او كان مثل ابى سفيان الذى حين ضاقت
عليه الارض واتى النبى يسأل العفو وصلة الرحم لم يكذب فيما اخبر عن مستكن صدره
من ايمانه بالتوحيد وشبهته في الرسالة فزى بنين الرئيس لقرشيس قائمين
للعرب قائلين فاعلمين ما يلقى بالحمة والاباء فلم يعاند ابولهب النبى لعصبية
قومية ولا لتعصب ديني حتى يكون ذلك عذرا يعتذر به لقطع جبال بني هاشم
فلم يبق الا امر واحد هو انه كان دينا مع الكفار لما كان ياخذ من اموال
الرفادة ويجمعها لنفسه والى هذا تعرض الآية الثانية وسنذكره في تفسير

وَلَوْلَا عِلْمُ النَّاسِ بِدَيَاتِنَا نَفْسَهُ وَجَمْعُهُ الْمَالِ مِنْ حَيْثُ وَبِهِ لَمَا اتَّهَمُوهُ بِسُرْتَةِ غَزَالِ النَّهْبِ
الَّذِي كَانَ فِي الْكَلْبَةِ مَعَ كَوْنِهِ مِنْ أَشْرَفِ بَيْتِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِ بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ
قَتَبِينَ لَنَا مَا ذَكَرْنَا إِنْ أَبْالِبَ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَاءٌ أَوْ ابْنٌ أَوْ جَاهِلٌ وَلَا رِيَاةٌ
أَبَى سَفِيَانٍ فَيُبْغِضُ النَّبِيَّ وَيَخَالِفُهُ لِذَلِكَ بَلْ كَانَ أَشْرَبَ قَلْبُهُ لِبَغْضَائِهِ وَعِنَادِهِ
بِالنَّبِيِّ لَمَا كَانَ يَأْمُرُهُ بِالْجُودِ وَدِينِهَا عَنْ الْبُخْلِ وَكَيْفَ عَلَى الْبِرِّ بِالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ
وَنَكَرَ الرِّقْبَةَ وَالطَّعَامَ فِي يَوْمِ ذِي سَعْتَةٍ عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّ هَاشِمٍ الْبَاقِيَةِ مِنْ
جَدِّهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَرْكِيَّةً لِنَفْسِهِمْ وَالْإِفَاءَ تَحْتَ وَلايَةِ الْبَيْتِ فَكَانَ
قَوْلُ النَّبِيِّ يَقَعُ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ يَمْلُؤُهُ غَيْظًا لَمَا كَانَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ اسْتِخَانَةً وَالشَّحْمَ فَلَمْ يَكُنْ
مُشْرَكًَا مُحْضًا بَلْ زَادَ عَلَى شُرَكَائِهِ إِسْكَادًا وَابْتِلَاءًا لِكُفْهِ الْخَيْرِ وَالْكَرَمِ وَقَدْ طُلِيَ
بِأَحْيَاةِ الدُّنْيَا حَبًّا ذَكَرْنِي سُورَةُ الْهَمِزِ . فَكَانَ الْكِبَرُ خَصْمًا هَذِهِ الْبَشَّةُ
وَرَسَّ أَعْدَاءُ الصَّلَاحِ دَسْكَارُمُ الْإِخْلَاقِ كَمَا أَنَّ الْكِبَرَ أَصْدَقَاهُمَا مِنْ كَانَ
اسْتِخَانًا وَاتَّقَاهَا وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ وَالْبَلِّ .

السبب الثالث لذكره بما درت له مخالفة الاسلام

٣٠ ومثل ما استدلنا من منصبه وخلقه نستبسط من أفعاله في مخالفة الاسلام
فانه كان اول الكافرين لما انه باور الى خلاف النبي حين قام اولاً بالدعوة
قبل ان يخالفه احد بل انهم كادوا يذعنون لقول النبي لا نهم لم يروا منه الاكل خيراً
فكان ابو لهب هو الذي صار سداً دون الاسلام فانه هو الذي نفّرهم عنه وافسد
قلوبهم وبيان ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امره الله بانذار قومه وصعد الصفا
ونادى منه قائلاً "يا صباحاه" واجتمع اليه اهل مكة فقال "اني لكم نذير بين يدي عذاب
شديد" قال ابو لهب "تالک الهند اوعوتنا" ثم لما امره الله بانذار عشيرته

الاقربين ودعاهم والطعمهم حتى اذا فرغوا منه داراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يتكلم باوره ابولهب قال لا "لقد مسحكم صاحبكم" ففترق القوم ولم يكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم بنظم لما ينس النبي عن قومه انخاص وجعل يعرض نفسه على قبائل العرب في ايام الموسم يدعوهم الى الايمان بالله ووجهه كان ابولهب يقول من خلفه "يا بني فلان ان هذا يدعوكم الى ان تسلموا اللات والعزى من اعناقكم وحلقا، كم من ارجمن من نبي مالك بن ائيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا له" وهكذا كان امره في عداوة الاسلام وتقيظ من ظهوره حتى مات غيظا وخفا كما سنذكره في تفسير الآية الثانية

السبب الرابع لذكره من جهة قرابة القمية بالنبي صلى الله عليه وسلم

ه قد اتضح مما تقدم سبب خصوصية ابي لهب بالذكر دون سائر الكفار على وجه يدل على مناسبة السورة باقربها وعلى انها ليست بدعاء عليه ولا شتم لمخالفته بالنبي والآن نذكر ما يؤيده ويزيد عليه معنى البراءة من اعداء الله والاعتصام بالتوحيد والانقطاع الى الرب فهي تهديد للاخلاص الذي اعلنه في السورة الثانية وبيان ذلك ان الله تعالى اذ خص بصراحة الذكر هذا عم النبي دون سائر الكفار مع شدة اذيتهم اياه علناه انه ضرب مثلا لآزر لعنهم ان من قطعة اعماله عن ربه لن تنفعه قرابة الصلوات حتى النبي الحبيب كما قال تعالى [لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة ليفصل بينكم والله بما تعملون بصير] قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا للقوم انما ابراهيم وادانكم ومما تعبدون من دون الله كفتونا بكم، وبداننا وبينكم العداوة والبغضاء

ابداً حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لايه - لا استغفرن لك
وما املك لك من الله من شيء ، ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك
المصير] وايضا [وما كان استغفار ابراهيم لايه الا عن موعدة وعدها
ايها فلانين له انه عدل دبّر ، منه ان ابراهيم لاواه حلیم [فكما تبرؤ
ابراهيم من ابيه بعد اتمام الحجّة وافرغ الجهد في النصيحة له فكذلك هذا
النبی صدى بالمحق خلاف عمه بعد اتمام الدعوة ولزوم الهجرة وهذا
عليه فانه عليه السلام كان على غاية الرحمة عموماً وبذوى القربى خصوصاً كما علمنا
من احواله وكان يستغفر لهم حتى نهاه الله عنه فهذه السورة تمثل بين ايدينا وقفة
غليظة من بطشه تعالى عما قريبا لنبی كريم اذ عصى الرب وتماهى في طغيانه
فبعد ان من ذلك ان الله تعالى هو الحاكم والا مكره بيده وهو قائم بالقسط
لا يراعى الوجوه ولا يحكم الا بالمحق فوجب ان نعصم به ونوكل عليه ولا نفترق
بوسائل كاذبة فانه لا وسيلة اليه الا بالرضا والاشفاق الا باذنه فهو الغني
الموحد المتقرب كما قال [قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له
كفو ، احد] فان المبطلين زعموا ان له ابناً فيشفعون لعبادهم كما حكى الله تعالى عنهم
[ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى] فها ذكر الله تعالى من عاقبة ابي لهب دل
على قطع جبال واهته فهذه الحجة اتصلت السورة بما بعد ها .

سر والادلة على ان هذه السورة اخبار ونبوة لا دعاء ودوم

٤ فبعد ما اتضح لنا التأويل الصحيح لا نرمي سبيلاً الى اختيار قول من قال
ان هذه السورة نزلت شفاءً لغيط النبي شتم ابا لهب وامرأة لما
انه شتم النبي حيث قال له "تبا لك الهذا دعوتنا" لاشك ان ابا لهب

حينئذ خاطب النبي بالسفاضة ولكن القرآن يأمركم بالخطاب والصغ
 عن السفيه كما قال [ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و
 جادلهم بالتي هي احسن] وقال [فاصدع با تو مرد اعرض عن المشركين
 انما كلفناك المستهزئين] وقال [ان الساعة لا تاتي فاصنع الصنع اجميل]
 وقال [فاصنع عنهم وقل سلم، فسوف يعلمون]، وكذا اثني على عباد الرحمن
 بقوله [واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلما] وكذلك على ابراهيم حيث قال كيكي
 محاورته بآية آزر [قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم اللئ لم تنته
 لارجنك واهجرني مليا. قال سلم عليك ساستغفر لك ربى ان كان حفيّا]
 وقد امر الله النبي باتباع ابراهيم عليها السلام ولبثه على خصاله وامره بالصبر
 على قولهم كما قال تعالى [واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرة جميلا] . ثم لو اراد الله
 شفاء غيظه باشتم لما نهاه عن شتم الكفار وقد ضاق صدره بالبحر من جن مثله
 حمزة جيب النبي واخاه من الرضاة وعمه وتكواراد النبي شفاء صدره لما
 عتق اهل مكة يوم فتحها ولما نهى المسلمين عن الاساءة بهم . واما ايقام بالمعتدين
 ان كثر البهت فذلك لا قامة العدل وتطهير الارض من الفساد والفاخشة
 ومن تتبع احكامه في ذلك علم انه لم يقيم نفسه ابد او كان يرجع اللينة على النلطة
 شي اكنته . وتكواراد الله ورسوله شتم احد من الكفار بعينه كان ابو جهل و
 عبد الله بن ابي راس المناقين احق بذلك . ولما ترى القرآن يذم الكافرين
 الاكثية مطلقة غير موسومة وما ذاك الا شمل ذم الصفات المطلقة . وكذا علمنا
 بن تعريضات النبي عليه الصلوة والسلام فكان يقول ما بال قوم يفعلون كذا
 وكذا . وقد جاء من صفته في الكتب السابقة انه ليس بضباب ولا ادرى
 لعلها فارتد به وبمن عيسى عليه السلام الذي تراه يشتم ، ذلك

من تحريف الضاري وهو امثل ففي نسخة متى ص ٣٢ ع ٣٢ «يا اولاد
 الافاعي كيف تقدرون ان تكلموا بالصالحات وانتم اشرار» وكذلك
 خطابه لافضل خلفاء شمعون الصفا كما جاء في صرقس ص ٣٣ ع ٣٣ «فانه بطرس
 (اي الصفا) قائلاً اذهب عني يا شيطان»، ولذلك امثال اخر. «ولم يكن
 من خلق النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخلق له الا حسن الخطاب لما علمنا من عاقبة
 خلقه فانه كان اشد هم حياء والطهرهم كلاما. واذ لم يتنازل القرآن في ذمه الى
 تسية من كان اكبر الكفار عزرا ونباتة من قواد الجوش وخطبا والقوم ورواء
 الاحزاب نهل يتنازل الى شتم من لم يكن من خصائله الاكل امر خفيف دني.
 ثم هذا التاويل لا يلغى موضع السورة فامى محل للشتم بين ذكر امرين عظيمين
 من فتح مكة والاستغفار والشج والاعلان بالتوحيد الكامل الصريح. وكل
 واحد ما ذكرنا من الوجوه كيف للصد عما توهموه.

اسباب الوهم في تاويل السورة الى الذم

١ اني لم اجد تاويل السورة الى الذم واشتم منشأه اربعة اسباب
 وكلها ضعيفة غير جدية بالتمسك وانما تذكر باسطة العذر هم وبياننا لضعفها فاول
 ان اباليب قال للنبي صلى الله عليه وسلم «تبارك» فرد الله تعالى عليه بمثل
 ما قال وقد مر البحث على هذا الوجه آنفا فلا تعيده والثاني ان صيغة الماضى
 اما تاتي اخبارا او انشاء ونزلت السورة قبل هلكه فلا تكون اخبارا او الانشاء
 ههنا للغة كما يقال تربت يداه وشلت يمينه. فنقول ان صيغة الماضى اصلها للاخبار
 والاخبار بما يكون مما سيقع وقد قضى امره من عند الله وهذا الصنف انما هو
 انباء من الله يعلن بما سيحدث ومن سرح النظر في اسلوب النبوة

النجرة عما ياتي كما جاء في صف الانبياء والقرآن راسي ان قوله تعالى [ثبت
 يا ابي لهب وتب] ما اغنى عن ماله وما كسب [اعلان باهر يقع كما قال تعالى
 [اتي امر الله فلا تستعجلوه] وقال يوحنا في مسك شفاته "سقطت بابل العظيمة"
 مع انها تسقط في المستقبل. ويؤكد كونه خبرا ما جاء بعده من قوله تعالى [سبيل
 نار اذات لهب] وهو خبر لا محالة وكذلك ما اتصل به من قوله تعالى [ما اغنى
 عن ماله وما كسب] فانه نبوة ايضا كما سيأتيك بيانه. وكذلك السورة السابقة
 جاءت بالاتفاق اخبارا كذلك هذه السورة. والثالث حلهم بهذه الجملة
 على نظير ما من قولهم "تربت يداه" فنقول ان ذلك لا يثبت دعواهم فان للدعاء
 صيغا مخصوصة ولا يستعملون من التباب للدعاء الا "تبا" ولو سلمنا مجيء للدعاء
 ايضا فما كان اشبه بالسياق واقدم في الدلالة واحسن في التاويل
 كان مختارا ولا يصار الا اليه. والرابع ان قوله تعالى [حالة الخطب]
 جاء منصوبا لاجل الشتم والذم فنقول ان تاويل النصب الى الذم تاويل مقم
 والصحيح انه منصوب على المحالة كما ستجد بيانه في الفصل التاسع بعونه تعالى. وبعدها
 استيقنا ان هذه الجملة اخبار ونبوة فلنذكر الآن كيف صدقت هذه النبوة في
 ابي لهب.

تاويل الآية الثانية وان النبوة المذكورة في السورة قد وقعت

٨ قد تبين من جهة التاويل ان السورة نزلت على سبيل الاخبار كما نزلت
 السورة السابقة فالآن نذكر من جهة التاريخ كيف صدقت في ابي لهب هذه النبوة
 فاعلم ان يوم بدر كان من اكبر الايام في تاريخ الاسلام. سماه الله تعالى
 يوم الفرقان وانجز فيه ما وعد نبيه من النصر والفتح واهلاك اعدائه كما قال النبي

یوشدنی دعاء المشهور «اللهم انجز لی ما وعدتني» فاراه الله مصارع کبریا و فیروز
فخرج البنی یرمی اصحابه مصرع واحد واحد و ذلک لان قریشا یومئذ جمعت
احابیشها و احلافها و قوادها و اشبه انہا فتمت علی المسلمین اطرافها حتی اطلبت
بہد کل ما استطاعت من عدوہا و عدوہا و ذالقت بہا افلاذ کبہہا» الی ان
شل عباس بن مع جہ البنی لم یسہ القمو و عنہا نفی ذلک الیوم لم یخرج ابوہب
و بعث مکانہ العاص بن ہشام بن المغیرہ و کان لہ علیہ اربعۃ آلاف درہم فلم
یہا فاشتری نفسہ بآل لار جاہ لہ فیہ و کذا الجلاء اکیننا و یفعلون و انما کانت
العرب تجعل المال خبۃ للعرض فرضی بالقمو و خوفا علی نفسہ و لکن وقع علیہ وعد
الہلاک المتاح لائمة الکفر فانہ لم یلیث بعد ما جاءہ خبر بدر الا سجع لیا لدرمی
بالعدۃ فمات و ترکہ ابنہ لیلین و ثلاثا ما یدفناہ مخافۃ عدوہا حتی انتن فی
بیتہ و غیرہا رجل بذلک و جاء بہا الی قبۃ فاعسلوہ الا قد قابلما و من بعد
ما یسونه ثم حملوہ فدفنوا علی مکۃ الی جدار و قد فوا علیہ الحجارة و وارودہ و
تذف الحجارة من اللغۃ کما یناہ فی تفسیر سورۃ الفیل فالظر کیف صدق نبیہ
انہ عجیز عن الانتصار لم یمک بیفہ و قد عن الخروج ثم کیف زاد عجزا علی عجز البطل
اکثر اعوانہ فان اولعت بالاشارات کفاک ذلک تاویلا لیدین فان العرب
تسمی الاعوان ید اشلا قول البنی «و ہم ید علی من سواہم» و اما ید العلم و العمل کما
قیل فبید من جتہ اللسان و انما ہو تفسیر بالرائی المحض و ذلک ثم لم تکسر قوتہ و
شوکتہ فقط بل ہلک نفسہ ثم انظر کیف لم یغین عنہ مالہ اذا استاجر بہ من یقاتل عوضا
منہ ثم لم یغین عنہ مالہ و کسب اذرعی بالعدۃ فترکوہ حتی ترکہ ابنہ و ہما کسب علی
رای ابن عباس ان صح عنہا فانتخذ لاه و قد فوا علیہ الحجارة و جبل الابن من
الکلب تاویل علی اسلوب توسیع اللفظ بجمع ما یدل علیہ مع ابقاء المعنی الحقیقی

فذلك اذ كسب ما كسب تعريض الى ما ليس بآله حقيقة ولكنه كسبه باي وجه كان من
الحلال والحرام والراطين الآيتين على كلا التولين واحد وهو ان ما عمل على
بذه النجاسة والنجل لم ين عن شيئا والاهل والولد والمال من اكبر ما يتولى به دين
المهر كما جاء في القرآن [انما اموالكم واولادكم فتنه] وايضا [ان من اذ واجلكم
وادلاكم عدوا لكم] فان الله وربه يطلبون بعبادتهن جمع المال لزيتهن
فيصيرن سبيها لهن كما يمدخلن النار بهن نصرا لآل ويل ان كلما حبه قوة و
عزة من المال والاولاد لم ينفعه كما حكى القرآن عن اقرار اشالة [ما
اغنى عن ماليه ، بل عني سلطانيه] وان كلما عمل على الحرام والنجاسة من حب
المال والاهل لم ين عن شيئا حين يطشه ربه وبهذه التاويل ترتبط هذه الآية
بالتى بعد ها كما ستعلم. وثمما تقدم مرتا ويل الآيتين الاولين الاكلا ما ليس انا
سبب ذكر ابي لبس كمينه فذكره في الفصل الآتي -

تفسير الآية الثالثة وان الجزاء يشبه العمل

اعلم ان الله تعالى قد قضى بان يهلك من يهلك حرمة هذا المسجد الذي
سماه بيته المحرم كما قال [ومن يرد فيه باكاد يظلم نذقه من عذاب اليم] وما زال
هذا القضاء يقع فسلب الله النجائين ولاية بيته العتيق ومزق الملهدين الظالمين كل
تمزيق كما مر في تفسير سورة الماعون. فعلى هذا الاصل بعد ما اخبر عن بلاك هذا
النجائن اخبر عما يصير اليه بعد هذا العذاب الذي نوى فقال [سيصلى نار ذات
لبس] وذلك بان الانسان يحترق في الآخرة حسبما عمل بل نفس ما عمل
فيصعد ما حرته ويحترق ما غرسه كما قال تعالى [انما تجزون ما كنتم تعملون] وايضا [ذوقوا
ما كنتم تكسبون] فان صح عندك هذا الاصل تأمل في احواله وما ذكر من جزاءه

المناسبة بينهما. فانما قد علمنا انه كان عاد الطبع تتوقد وجهه كشعلة حتى كنى بابي لهيب
 واشتهرت هذه الكنية حتى غلبت على اسمه عبد العزى. فلو كان عاقلًا فله نفسه و
 اطعائهم رتبها بمخصال الكرم والحكم والضيعة للناس لينال الشرف كما قال رسول الله
 وان لم يعمل على النفس ضيعةها فليس الى حسن الثناء سبيل
 وكما قالت الغناء

نهين النفوس و هو من النفوس عند الشدائد ابقى لها
 فان الله تعالى جعل كرامة النفس منوطة بالكره واحتمال المشقة وذلك هو ابتلاؤه
 ولكن بالهيب لم يروا صلاح نفسه الاية اللهيية بل امد لها بما يزيد بها شرًا من الخصال
 والعداوة والحد فكانه نفع في ضررها واشعلها بوتودها. وليس هذا من التحصيل
 الباطل فان العرب والعجم شبهت هذه الخصال بالنار ولا سبيل الى مشابهة
 حية ظاهرة فلا بد ان يشبهوا بالنار لما رأوا من تأثيرها فعلنا ان هذه المشابهة
 ما عرفت اكثر العقول. وقد رأينا القرآن كثيرا ما يذكر الثواب والعقاب على صورة
 مناسبة بالاعمال ليشير الى بعض المحقق فمن تدبر ذلك وتأمله ازداد بصيرة وتبين
 عنده ان الشهوات واذا اكلها اشبهت شي بالنار ونظاها. والفائدة الكبرى
 من ذلك ان نستيقن بان اجزاء مثل العمل وثمره فوسم بكمال عدل الله تعالى
 ونزوا ومعرفة باسمه الحق المبين وخير الحكيم وان الله تعالى لا يظلم شيئا كما قال تعالى
 [ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون] فاذا نظرنا في هذه الآية من
 جهة مشابهة الاجزاء بالاعمال لم تزد هذه النظرة الا تأييد لما قد مناس من تأويل السورة
 واحوال ابى لهيب والمطابقة بينهما. فقولنا تعالى [سيصلى نار ذات لهب] اخبار
 عن واقعة حق لا محالة عنها،

تأويل الآية الرابعة وذكر الدلائل على ان [حمالة الحطب]

بيان حالها يوم القيمة

١٠ اعلم ان معنى الآية الرابعة ان امرأة ابى لهب تصلى نارا ذات لهب وهي حينئذ على حياة امه حمالة للحطب وليس المراد انها كانت تحمل الحطب في الدنيا فان ذلك تأويل بعيد غير صحيح ودلت عليه دلائل الاول ان كلمة [حمالة] منصوبة واجتمع المسلمون كلهم على هذه القراءة والقرآن يحفظ الله كما وعد ولا يعتمد الا على القراءة المتواترة المحفوظة ولا ننكر اختلاف القراءة اذ لم يختلف المعاني فانهم ارادوا بذلك تفسير او تقريرا الى فهم الحاطب فقرا وبالرفع ليدل بوجه آخر على ما يفهم من النصب والى انفسنا على كلا الوجهين اما وجه النصب فبان الواو في وامرته للعطف اى تصلى امرته مع زوجها نارا ذات لهب وهذا هو الظاهر فان سوت الكلام لذكر صلاتها النار واردة الاسمى بالنص اولى . وحينئذ نصب الحمالة ليس الالهائية واما قول سيويه "بلغنا ان بعضهم قرا هذه المحرمت ايضا وامرته حمالة الحطب . لم يجعل الحمالة خبر المرأة ولكنه كانه قال اذكر حمالة الحطب شتما لهما" فنقول ان القراءة عند سيويه الرفع وانما ذكر مراد من نصبه فلم يذهب هو الى هذه المراد وس ذكر لك عن قريب يكون التأويل على قراءة بالرفع . واما صاحب الكشاف فقد غره كلام سيويه والرجل مولع بكل ناد وغريب ولا مصول على ذوقه فانه لم يعجب هذا التأويل الا لكونه شتما فقال "وانما استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجمل من احب شتم ام جميل" فما خطاه استعمال الصيغة لفظية وانما سالتقريب الى اكرم وله آدم شتم غيرته فانغرب الصريح عن سخافة قوله . وثمة مرئي الضل

السائس ما يصدنا عن ارادة اشتم ومرهناك من الدلائل ما فيه كفاية
 ان شاء الله تعالى وتيسر لك ان نصبه على المحالية يجعله اوضح محلا واقرب
 رباطا واحسن تأويلا فلا حاجة الى وجهنا ودر للاعراب اذا هو حال عن فاعل يصلح
 ذات لهب دل على كونها محالة حين تضيئ النار واما وجه الرفع فلا يصح فيه
 الا ان يكون خبر المرأة كما يفهم من قول سيبويه والواد حينئذ محالية اى يصلح
 ابو لهب نارا اذا ذات لهب والحال ان امرؤة محالة ان خطب نفي جيد باجل من سد
 فمن قرأ بالرفع فسر ما يفهم من الضب لئلا يتوهم متوهم انه للذم والاشتم.
 واما جعل الواد للطف فلا يستقيم لان ذلك لم يكن حالها في الدنيا كما سيايتك
 بيانه وكتبنا عند المعطوفين ولقطع النظم بين الخبرين محالة ان خطب ونفي جيد باجل من
 سد واما الرفع على الصفة فلا يسيل اليه لان محالة ان خطب نكرة لاضافة اسم المبالغة
 الى مموله نفي لا محالة اضافة لفظة فلم تكسب تعريفا للضافات واما الاخبار بحذف
 المبتدأ اى هى محالة ان خطب فالحذف خلاف الاصل وايضا هذا الاخبار لا يدل على
 ان ذلك حالها في الدنيا بقى بها وبالحكمة كلنا القراءتين تبين حالها في الآخرة
 والثاني ان الآية التي بعد بيان حالتها يوم القيمة كما هو ظاهر مد عليه المفسرون وجوب
 تيمم بوصف محالة ان خطب كما يستفح لك من تاويل تلك الآية وحينئذ لا بد ان
 تكون المحالان متصلتين في الزمان كقول الشاعر

اشى الى ايسجا صبحا متقلدا سيفاد رمحا

فلا يمكن ان تجعل الامرين في زمانين والثالث ان منزلة قرش كانت
 اشرف من ان تحط بساؤهم ومن له المام بتاريخ العرب يعلم ان قرشاهم
 رساؤها وحكامها لا سيما هذه البيت باسم الذي هو ذروتها وسناها حتى انهم من
 شرافتهم واحسانهم بها كانوا اتحدوا ولادهم مرضعات من قبائل العرب اشتقا

علی از واجهم و اگر ایاهن نهیل کانو ایرضون لهن بالاحتطاب و هو عمل مختص
بالاماء کما جاء کثیرا فی کلامهم قال النابتة
تحمید من استن سود اسافلہ شئی الاماء النوادی تحمل الحزنا
و قال الحارث بن عباد

لم ادع غیر اکلب لناء و نساء حواطب و عیال
و قال قیس بن الحطیم الاوسی
اصاب صبح القوم غریب یوفنا و غادرن ابناء الاماء الحواطب
و قال الانخس بن شهاب التغلبی

یطل بهار یذ الغام کاهنا اما ترزجی بالعشی حواطب
و لا استبعد کونها محطبة ذبب لبضیم الی انہا کانت نامة فقیل لہا ذلک علی
وجہ الکنائیة و لا شک انہم لم یدموا الی ہذا التاویل الا علما نہم بانہا لم تکن جمالة اطب
کعادة الاماء لکنہا من اکرم میت فی العرب و آفتان سبا و صہرا فافہنا ام جمیل
میت حرب نکانت عبثیة فی میت باشمی و لکنہ لاجاة الی المجاز اذا المکن حطہ علی
الظاهر مع حسن التاویل ثم ان القرآن یادل الی ماتبت من لسان العرب
القديم ولا یوجد فی کلامہم المدون المحفوظ مع کثرة مثال واحد لہذا المجاز و اما
الاستدلال بقول ابن الاسفلت

و نبتکم شر جین کل قبیلۃ لہما زمل بن مین ذک و حاطب
فلا یصح فان العرب لم یدکر و القیاد و الحرب بالنمیة و انما ہو بالسلاح و الخیل
کما قال بشامة بن عمرو المرسی

و حشوا الخرب اذا اودت رما حاطوا الا و یلا فہ لا
و من الخبیر و من الخبیر و من الخبیر و من الخبیر

وقال عمرو بن الاطانة الخزرجي

ليسوا بالخاص ولا بيل اذا ما الحرب شبت اشعلوا بالنار

واما نقل صاحب لسان العرب من قول الشاعر

من البيض لم تقطع على ظهر لائمه ولم تش من الحي بالحطب اطب

فلم يسم الشاعر والاستناد بالجهول لا يصح لاسيما في تاويل القرآن وهذا

الملاحظ فيه من العلماء ثم اتى الشاعر بهذه الاستعارة مع القرينة فلا تكون

دالة على ذلك المراد بغيرها. وكذلك ذهب بعضهم الى انها كانت تأتي

بالشوك فليقها على طريق الرسول واصحابه وهذا هو اختيار ابن جرير رحمه الله

ولكنه بعيد فان الذي يلحق الشوك لا يقال له حامل الحطب وايضا لقاء الشوك

في الطريق يودي كل من يمر لا النبي واصحابه فقط. والرابع ان حمل الحطب

لا ثم فيه ولا معرفة من جهة الدين فكيف يعيها القرآن به وما ذاك من طريق

فانه قد ذكر كثيرا من عيوب اعداء الله فلم يذكر الا ما كان منبرا عند العقل والتقوى

واما كونه زينة في سورة ق فذلك ايضا لم يرد بها الا قصد التعليل والتعلق كما بيناه

في موضعه. وبهذه الدلالة انما اوردناها تهديدا لئلا تمنك مخالفة الشوك عن تصحيح النظر في

الدليل الحقيقي المقدم عليه وذلك ما سيا تيك من تاويل هذه الآية فان حن الربط

والمنى الوثيق ما يستدل به وايضا رايه.

الحكمة في ضرب امثال النساء عموما وامرأة الى لهب خصمها

الا قد بينا في الفصل السادس انه لا سبيل الى ارادة الشتم والذم لامرأة

بعينها لانهما آذت النبي واصحابه وتوشا نزل القرآن الى مثل ذلك. عاشاه

لكانت اليهودية التي جعلت السم في طعامه اذ لي بذلك والذين اخرجوه من الطائف

بالرغم والشتم فما شكا الا الى ربه وما ارق والطف قوله هناك ابو جهل و
اصحابه الذين كان من عادتهم الطعن فيه فهو لا وكانوا اولى بالظن ولكن حسن القول
احب الى الله ورسوله . واذ لم يشتم القرآن احد من رجالهم قبل يشتم نساءهم
فدفع عنك هذا وقد مر فيه الكلام من قبل ولكن اتس الحكمة في ذكر هذه الامثلة و
قد سمى الله القرآن حكيمًا فخا ظلم من لم يطلب الحكمة منه فاعلم ان الله تعالى ذكره
كتابه بعض الاقوام والافراد وشر بهم مثل الخيرون الشر لنتقط بما اصابهم من النعم
والنقمة وكما ذكر بعض الرجال فذلك ذكر بعض النساء لان المثل يقط بالمثل
والنساء فان من خصال الخير والشر بعضها ادلى بالرجال وبعضها بالنساء فلا بد من
ذكر كلا الصنفين ليتم النصح والتبليغ ثم يضرب امثالهن تبيينا للقرآن على خطر منزلة
النساء لما يجلبن على الرجال من السعادة والشقاوة فان خصالهن تسرى ويترى
في ازواجهن واولادهن والناظر في تاريخ الامم ربما يتبع اسبابا لكبار الامور
فيجدها منتسبا الى خيوط يغزلها غزال متقع فلو ترك ذكرهن فانتاب عظيم من
دقائق الحكمة فمن تأمل امثال القرآن واستنبط خصائص الاخلاق واثار بعضها
على بعض وادراجها في النفع والضر علم ان من اخلاق النساء ما يتعدى شره
الى اخلاق ازواجهن وذلك انراطين في الشح وحسب التزين فان ذلك
يحملهم على ان يسيروا بهن المال من اى وجه كان ولا ينفقوه في الحقوق النوايب
ويجلبوا المال الذي يوتيا به الحيوة وثمة النجاة معكوا على اجابهن فيصير كما آسن
قل خيره وكثر شره . الا ترى كيف كره الله تعالى الى ازواج النبي زينة الحيوة
الدنيا والطيب فيه فاهل الطيب في امر آخر حتى جعلها من امور الجاهلية والرجس
محصرين حسب التزين غلة ودية يجبن المال بل الشح طبيعة مستقرة فيهن ولذلك
يصرفن ازواجهن عن الجود وقد صرح القرآن بذلك حيث حذرنا عن اطاعتين

اذا من عن الا اتفاق في سبيل الله ومع ذلك امرنا ان نعلمن بالعفو والصفح
 فان لا يصلح كلمة يدعى به فقال تعالى [يا ايها الذين آمنوا ان من اذواكم واولادكم
 عدوا لكم] انما ضم الاولاد بين لان جميعهم نجس كما قال النبي "الولد نجسة مجنونة" وليس المراد
 انهم يامرون بالنجس قولاً فاحذروهم (اي احذروا عن شدة يصيبكم من جهتهم)
 وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله عفور رحيم. فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا و
 اطيعوا و انفقوا اخير الانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون [ولكن لك
 العرب تذكر كثير اغل النساء على البجور مثلاً قال حاتم الطائي

وما ذلة بيت بليل تلومني وقد غاب عيوق الشرا فعدوا
 تلوم على اعطائي المال فضلة اذ اضمن بالمال النجيل وصرودا
 تقول الا اسك عليك فانتني اري المال عند الممسكس مبعدا
 ذريني مكن مالي لعرضة جنة يقى المال عرضي قبل ان يتبددا

وقال ايضا

وما ذلتين هبتا بعد هجعة تلومان مثلاً فامفيدا ملوما
 تلومان لما غور انهم فضلة فنتي لا يري الا تلف في الكهنة

ذلك وقد مر في الفصل الثالث ان شروا الى الهب لم تامة من وجه حسن
 وان حرصه للمال وتهيأ له عليه قد اركبه اكبر الشنايع فخان الله وقطع الرحم وعادى
 النبي وامتلاً غضبا حتى مات بغيلة. فان تبينت هذه الامور واحضرتها في عقلك
 جملة ثم رايت ان الله تعالى اشرك امرئة في عدا به لم تشك في انها قد شاركت في
 اسبابه بان حرصه على كسب سئ لتبشير به ولترفع غفها بين النساء تهيأ فكانت
 تمنعه عن الاتفاق فيما يجب عليه فان الله تعالى لا يشرك نفسا بنفس ان لم تشك
 في العمل ثم ما ذكر الله تعالى من حالها يؤيد هذا التاويل ويوضح انها حيلة على نصالة

السوء وسياتيك بيانه في الفصل الآتي . فكلما ان الله تعالى ضرب بالهيب
مثلا للرجال ضرب امرأته مثلا للرجال والنساء معا لينهتين عن الشح وحسب التبرج
وينتهون عن فتنه ازواجهم واطاعتهم اياهم اذا سادون عن افعال الحق والافتقار
في سبيل الكارم . ولا يستصغر احد امر الشح فانه ينبغ اكثر السيات . ليس
خدا الزكاة التي هي نصف الاعمال الصالحة اليس قد جاء في القرآن [ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون] وقد انقضت عدة سور على ذكره مثل سور الطيف و
الكافر والهمزة ولم يقتصر على التوحيد الاسورة واحدة فدلنا على عظم اثمه وشدة الحاجة
الى النظر فيما مر من الاسراف في زينةهم والخلع عن الحقوق الواجبة وما
اوجبا الى هذا النصح لان الناس يظنون مساعدة منهن على المصالح ولذلك سماهم الله
فتنه واعداء اذا نمت عن الخير .

الحكمة في وصفها بحالة الخطب وان اجزاء شبه العمل

١٢ | علم ان القرآن كثيرا ما يذكر للمؤمنين المستكبرين عذاب الهموم و
والذلة فان ذلك اشد وقعا عليهم كما قال الحماسي

بضرب فيه توبين وتخضيع واقران

فانهم قالوا ان رولا العار فاجبه هم الله تعالى بان لهم النار والعار معا كما قال تعالى
[فاليوم تجزون عذاب الهموم بما كنتم تستكبرون في الارض وبما كنتم تفسقون]
والا ايضا [نسسمه على اخر طيم] وايضا [ذق انك انت العزيز الكريم] وكذلك
يذكر اجزاء مناسبة بالاعمال ليكون عين العدل وقد ذكرنا في الفصل الثامن
ان الهيب بحر صمد الشديده وعداوتة بالنبى وده عليه جعل نفسه كنار ذات
هيب وقد مر في الفصل العاشر ان امرأته حملت على تلك الشئ لما كانت

تجب البرج بزئيتها وجليها ولذلك اشكرها الله تعالى به في الخاسب بقوله [سبح على
نار اذات لهب وامرأة] فلما ذكرها بقوله [حالة الخطب] ولنا على مناسبتها
الجزاء بالعمل بوجه - وهي انما تحول من الشرف والترفع الى الذل والهينة
وان جليها التي كانت تفخر بها تصير عليها حلما فان الخطام الديوي وزخرفها شبه
نشي بابشيم فتصير كمن يحمل الخطب لتصير النار التي يلقى فيها او كمن يحمل جدها ليصيده
عليه وهذه اقوله تعالى [يحملون اوزارهم على ظهورهم] الاساء ما يرون [وانها لما
حملت زوها على خصال اضرست النار التي كانت في طبيعتها فكانها التي حملت اليها
الخطب فاشتعلتها فاقضى عمده في الدنيا ان تبعث على هياة عمالة الخطب وقريب
ما قلنا ما روى عن سعيد بن جبيرة ان المراد ما حملت من الاتمام في عداوة الرسول
لانه كما خطب في تصيرها الى النار، وقد مر ان جزاء الى لهب كان مناسبا
بحاله فلذلك راعى المناسبة حين اخبر عن حال امرأته ولم يقتصر على ذكره
الصف بل اوضح بالآية المناسبة تصوير الامة المحتطبة كما سنذكره الآن .

تأويل الآية الخامسة وربطها بما قبلها

لما كانت آية [في جدها جبل من سد] تبين حاجتها التي تكون يوم القيمة قال
بعض اهل التأويل ان المراد من [جبل من سد] ما ذكره القرآن من احوال الكفار
حيث جاء [في سلسلة ذرعهما سبعون ذراعا فاسلكوه] فليس انهم بدوا معنى السد
ولكنهم اولوه الى ما يشابه احوال المغذيين ولكن اللفظ لا يصرف عن معناه الظاهر
من غير ضرورة ولذلك نسر الآخرون حسب معناه الحقيقي فان اللفظ معلوم مستعمل
في كلام العرب اسما وفعلًا، فالسد في اللغة ليف او غصن او حائط، يقتل منه الجبال
انحسنة ولذلك يشمل لكل جبل خشن سواء كان من ليف ومثله او جلد وكثرة
استعمال السد للجبل البكرة تدل على ان السد به اسم الجبل الغليظ يقال سد الجبل

أي فله حكما غليظا فآلت ويل الطاهر انما اذا جاءت يوم القيامة كان في عقبا جل
 خشن غليظا غلط ما يكون في اعناق الاماء الكاطبات ولهذا الزيادة فوائد
 فان فيها توضيحا لصورتها التي ذكر في كلمة [حمالة الحطب] وتوضيحا للذلة التي تصير
 اليها وتبينها على الموافقة بين الاعمال وتبعاتها فان السمط والقلادة التي كانت
 تتحمل بها في الدنيا تنقلب يومئذ جلا خشنا فتصير يومئذ مثل امة تخرج للحطب
 واذا المرأة المحتالة لا تقنع بحض الزينة بل يجهها فتناسب حالها ان يكون جلا غليظا
 واجتار كلمة [جيدا] بل غفها بدل على ذلك فان الجيد يستعمل في مواقع الحسن
 والية كقول امرئ القيس

وجيد كجيد الرقيم ليس يفاحش اذا هي نصته ولا يمتعل

او كقوله عجم بجيد سم في العشرة مخول

فلو لم يرد ما ذكرنا لان حار العتيق فانه اشبه بجبل من مسد وادق بجمالة الشدة
 والخلطة كما ترى مثالي قوله تعالى [فطلت اغناكم بها خاضعين] ايضا [انا جعلنا في
 اغناكم اغلا لا] ولو لا ارادة ما ذكرنا من التجميع والتصوير والنبية لما كان ههنا فتح
 لذكر الجبل من المسد في عقبا. ثم افواصل السابقة تقتضي كلمة آخرها حرف الباء
 فلما ارد محض شدة العذاب لم تضق لغة العرب مع سعتها وكثرة اساليبها عن اتيان
 فاصلة شبيهة فقدم مراعاة الفواصل السابقة يدل على محي هذه الآية لغاؤه اتمام البيان
 وذكر امر واقع وتنبية على توافق العمل والجزاء كما ذكرنا

زمان نزول هذه السورة وفائدة العلم به

١٣ لم يأتنا الخبر بزمان نزول هذه السورة عن الذين شابهوا نزولها ولكن
 روي لنا من السلفاء المتفطين انها نزلت بكاء ولسل ذلك لما جعلوا باجوابا قبل

ابی لهب وکان ہلاک ابی لهب بعد واقعتہ بدر فلا شک انہا نزلت قبل ہلاکہ
 وکذا فیہم من اسلوب الکلام فانه لو ہلک قبل نزولہا لکان وجہ القول "الم تر
 ثیف تبت ید ابی لهب" او مثل ذلک فلا شک انہا خبرت من قبل عما وقعت
 والروایۃ واقعت ما فیہما من اسلوبہا ونفس عبارتہا ثم نقول انہا لم تنزل فی
 ادائل البعثۃ کما یتبادر الیہ من لفظہا جو اباشتم ابی لهب فانه ظن باطل کما مر بنا
 فاذا ہی لیست بجواب لقولہ ہل ہی نبوة و اخبار فلا شک انہا نزلت بعد ان شہد
 احوال ابی لهب باصرارہ علی الکفر فخذت علیہ الحجۃ وجب اعراض النبی صلی اللہ
 علیہ وسلم عن خطابہ کما مرہ اللہ تعالیٰ بقولہ الحکم [فاعرض عن تولی عن ذکرنا ولم
 یرو الا حیوۃ الدنیا ذلک سلفہم من العلم (اسی لایتجا وزون ہذا الحد من العلم لیرید
 ما ہو فوق حیوۃ الدنیا) ان ربک ہو اعلم بمن ضل عن سبیلہ وہو اعلم بمن اہتدأ
 ای انما یرک اللہ تعالیٰ بالاعراض عن ہولاء الذین ولت احوالہم وشہدت
 اتواہم علی اصرارہم بالکفر ونفرتہم عن دار الاخرۃ فلا تطع فیہم اہدایۃ
 بعد ما خبرک ربک بانہم لایہتدون فانه تعالیٰ جعل لكل شیء سبباً ولكل امرئ ما
 فلا یسأل بالکافرین بعد ما اتم علیہم الحجۃ و اہلہم مدۃ للتوبۃ کما قال تعالیٰ [ادلم
 نعمکم ما یتذکر فیہ من تذکرہ جاءکم الذکر] فبعد ہذہ المدۃ وتبین شقوتہم یمنع اللہ تعالیٰ
 نبیہ عن اضاعتہ الوقت بہم والدعوۃ لہم کما قال تعالیٰ [ماکان للنبی والذین آمنوا
 ان یتغفروا للمشکین ولوکانوا اولی قربی من بعد ما تبین لہم انہم اصحاب الکجیم
 (نجعل مدۃ یتبین فیہا للمسلمین انہم من اصحاب النار) وماکان استغفار ابراہیم
 لابیہ الا عن موعدۃ وعدہا لایاہ فلما تبین لہ انہ عد ولید تبرء منہ ان ابراہیم لا وہ
 حلیم] فبعد ما استبقت ابراہیم انہ لایہتدی ابد تبرء منہ الا تری ان اللہ تعالیٰ
 قد اہلک الکافرین وعدہم فی الدنیا فہل لاحد ان یقول انہ کان ظالم لا کان توبتہم

فيما بعد لا نأقول انهم غلبوا واكلوا بعد ان تبين انهم لم يكونوا يونس كما قال تعالى
 [ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم بالبينت وما كانوا يؤمنوا]
 اى لم يبق رجاء ايمانهم فى المستقبل. وذلك بان الآيات اذا ارتكبتها
 الانسان تمدا وشرح بها صدره زاد ضرر باقوى سلطانها حتى انها تخط بصاحبها
 وتصد عليه ابواب الهداية فلا يمكن الخروج من ظلمات الضلالة وتجبرى عليه سنة الله
 التى ربط الآثام بالاشياء فليس ان الله تعالى اخذه من قبل بل الانسان نفسه تمسك
 بسبب الضلال كما قال تعالى [فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون] وقد صرح
 القرآن كثيرا بتوقع نتائج الآيات من الضلالة والزيغ والقساوة والشقاق. كما
 قال تعالى [وما يضل به الا الفاسقين] وايضا [فلما زاغوا عن الله وتلوهم] وايضا
 [فما نقضهم ميثاقهم فنكهم بغيبهم وجعلنا قلوبهم قاسية] وايضا [فتسوا حطا كما ذكرنا به فاعزينا
 بينهم السداة والبغضاء] وايضا [كلا بل ان على قلوبهم ما كانوا يكسبون] وايضا
 [فاعقبهم نفاقا فاني قلوبهم الى يوم يلقى الله ما وعدوه وما كانوا يصدقون] وايضا
 [وما كانوا يؤمنوا بما جاءه من قبله] وايضا [ذريهم
 ياكلوا ويمتشوا ويظلمون] وايضا [ولهم اجرهم الا لمن شئت الله تعالى لبد تمام
 الحجة ليصرف الدعوة عن المصرين ويامر البنى ان يعرض عنهم فان كلمة الله اب
 قد حقت عليهم كما قال [ذريهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذين يؤمنون]
 قتيبن مما قد ثمان السورة لم تخبر عن هلاك ابى لبيب الا بعد ان آيس
 البنى فاعرض عنه وكف عن دعوته والسورة ايضا لا تنهاه ولا تدعوه بل تمشي المسلمين
 بهلاك اعدى عدوهم كما سبق. وهذا القدر يكفي لنا من العلم بزمان نزولها سواء نزلت
 بكرة قبيل الهجرة او بالهدية بعيدا وقائمة بهذا العلم تطهر لك فى الفصل الآتى.

لادلالة في السورة على تكليف بالالفاظ

١٥- قد تمسكت الاشاعة بهذه السورة في وقوع تكليف الله عباده بما لا يطيقون خلافا للحنيفة وبعض الاجلة من الشافعيين كالامام ابي محمد الاسفرائيني والامام ابي حامد الغزالي رحمه الله واما قالوا بذلك سجد الهم بالمعتزلة الذين يقولون ان العدل واجب على الله تعالى فاشتمأزت نفوس اكثر فرق اهل السنة عن شناعة هذا الايجاب فقالوا ان الله تعالى هو الحاكم ليعمل بأمره ويحكم ما يريد وهو الذي خلق كل شئ قبل ان يوجب عليه مخلوقه حكما ويقضي عليه قضاء وبلغ انكارهم بقول المعتزلة كل مبلغ كما تكون نتيجة الجدل والخصام فتمسكت الطائفتان بكل غث وسمين والزموا خصمهم بالزم وما لم يلزم ولان هذا الخلاف فرع من خصامهم في مسألة العدل فعليه استمر اللجاج واسطر الججاج فلا يتضح الحق فيه من الباطل الا بالكشف عن اصل بحث العدل وفروعه وهذا المقام لا يتحمل فلنكتف بهنا بما يتعلق باستدلالهم بهذه السورة.

فأعلم ان الامام ابا الحسن الاشعري رحمه الله استدلل بما اخبرت به هذه السورة على وقوع التكليف بالالفاظ فقال رحمه الله تعالى في كتابه المسماة بالابانة " ويقال لهم اليس قد قال الله تعالى [تبت يد ابي لبيب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب] صلى نار اذ ات لهب [وامره مع ذلك بالايان فواجب عليه ان يعلم انه لا يؤمن وان الله صادق في اخباره عنه انه لا يؤمن وامره مع ذلك ان يؤمن ولا يجمع الايمان والعلم بانه لا يكون . ولا يقدر القادر على ان يؤمن وان يعلم انه لا يؤمن واذا كان هذا هكذا فقد امر الله سبحانه ابا لبيب بالالتفات عليه لانه امره ان يؤمن وانه يعلم انه لا يؤمن . ولا يخفى ان بناء هذا الاستدلال على فرض امرين : الاول كون ابي لبيب مخالفا لهذه

السورة وما مور باليقين بأنه لا يؤمن وآلت في نزول هذه السورة قبل تبين
 اصراره واعراض النبي عن دعوته وكلا الامرين مدقوخ كما مرني الفصل
 السابق فالاستدلال مختل في مادته . هذا اذا والامام فخر الدين الرازي
 رحمه الله هذا الاستدلال قوّة من جهة الصورة فافترعه في قالب الجمع بين النقيضين
 ليسين كونه محالاً بالبداهة والحال لا طاقته عليه واذا مراشد بالحال فلا بد انه كلف
 باللا يطاق فقال رحمه الله « اتج اهل السنة على وقوع تكليف باللا يطاق
 بان الله تعالى كلف بالالب بالايان ومن جملة الايمان تصديق الله في
 كل ما خبر عنه وما اخبر عنه لا يؤمن وانه من اهل النار قد صار مكلفاً بأنه يؤمن
 وانه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال » وذكر من جانب المعتزلة
 جابرين مبهمين ثم ردوها وقال في الآخر « هذا الاشكال قائم نقول ان الاستدلال
 على جمع النقيضين ساقط من وجوه كل اول انه لا يتم الابدان ثبت ان الله
 حين انزل هذه السورة كان قد سبق ابو لهب . مكلفاً بالايان ولم يستحق الاعراض عنه
 ثم انه لا يتم الابدان ثبت ان الله تعالى خاطبه بهذه السورة وقد بينا في الفصل السابق
 ان الله تعالى امر نبيه بالاعراض عن اصره استكبر فللخصم ان يمنع كون الالب
 حين انزلت هذه السورة مكلفاً بتكليف تكلفين والثاني بان الخصم لا يسلم
 كون الكفار مطالبين بحجرات الاحكام الابدان يؤمنوا بكلمة التوحيد والطاعة جملة وجنّة
 يكفون بالايان التفصيلي ولذلك قال تعالى [يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله
 واكتب الذي نزل على رسوله واكتب الذي انزل من قبل ومن يكفنه بالله وملكه
 وكتبه ورسوله واليوم الآخر قد ضل ضلالاً بعيداً] فان سلم كونه مكلفاً بالايان
 الا جمالي لا يسلم كونه مخاطباً بهذه السورة ومكلفاً بالايان با فيها فلا جمع بين النقيضين
 والثالث ان القرآن لم يخبر بأنه لا يؤمن ولا بأنه من اهل النار انما اخبر

بأنه يصلي ناراً ذات حبس ومحض صلواته النار لا يستلزم أنه لا يؤمن وأنه
 يخلد في النار. والرابع أنه لو سلم أن القرآن أخبر بأنه من أهل النار فهل
 هذا الخبر عين الخبر بأنه لا يؤمن. أليس أن الكفار يؤمنون يوم القيمة ومع ذلك
 يؤمنون بأنهم أهل النار وذلك بأن الصديق يتبع الدلائل فإذا تبنت الدلائل
 لا مرئي على ما يؤمن به صدق به ومع ذلك أن تبين له الدلائل على استحقاقه
 بالنار اليقين بأنه يذهبها. أفظر كيف أجاب الله تعالى فرعون حين آمن واسلم
 حيث ذكر القرآن [حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الله] ^{الذي}
 آمنت به بنو إسرائيل وأنا من مسلمين. آلهن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
 فما أجابه الله بأنك لم تؤمن ولم تعلم بل بأنه تعالى لا يقبل الآن منه إيمانه ولا
 إسلامه ونشد قوله [يخلفونكم لترضوا عنهم فان رضوا عنهم فان الله لا يرضه
 عن القوم الفاسقين] فان بين الفعل وبين كونه مقبولا فرقا والحمد لله
 بفعله لا بقوله وجلة الكلام أنه لو كان بين دخول النار والإيمان ساقطة لما
 ابدأ وقد رأيت اجتماعهما ولو في بعض الأحوال فارتفع التناقض. والخاص
 أنه أن سلم أن القرآن أخبر بأنه لا يكون مؤمنا وأنه يخلد في النار فهل كلفه الله بالإيمان
 بالله ورسوله والطاعة أم كلفه بأن يستيقن بأنه مؤمن وأنه لا محالة مبعث من النار
 فلا تناقض. فان قيل سلمنا أن الإيمان نتيجة الدلائل ولكن العمل الصالح لا بد له
 من رغبة وبعد أن أخبره الله تعالى بأنه من أهل النار أي نفع يرغبه إلى العمل
 الذي هو مكلف به فلما أن رجاء النفع غير منقطع فان للعقاب مدارج فان عمل
 صالحا نفعه بعض النفع ولو في الدنيا أو في القيامة بخفض التحفيف لا ترى أن المرض
 الذي لا يزدول رجاءه أدى لتقليل المهتم بالعمل الصالح جيل بذاته واليافعا
 يجلب حسن الثناء فدلائل القرآن تثبت عليه ما يؤمن به ورجاء بعض النفع

یوجب علیہ العمل وان یقن بانہ غیر داخل فی المؤمنین المقبولین . فقلنا تبیین
 لما سبق ان ہذا الاستدلال لایتم الا بعد فرض المادلیل علیہ بل الادلۃ خلافہ .
 ثم نقول لاتناقض بینہما مع تسلیم ما فرضہ المستدل من التکلیفین فان قولہ
 ”فقد صار مکلفا بان یومن وانہ لایومن“ منالطہ . انما کان مکلفا بان یومن لایا نہ یکن
 و بینہما فرق عظیم فانہ لم یکلف بالایمان بانہ یومن انما کلف بان یومن اسی بالایمان
 بما جاء بہ البنی وبالایمان بانہ لایومن و ہذا ان الایمان لایناقض فیہا وکذا لک لاساقتہ
 فی الاخیر ایضا کا ہوتا ہوا لاتری الکفار فی حالتہ کفر ہم کلہم یومنون بانہم لایومنون
 نبتین ان دعوی جمیع النقصین لاتصح ولقی الاستدلال علی حالتہ الاولی کا
 تمسک بہ الاشعری رحمہ اللہ فی الایمانہ . وجوابہ ما ذکرناہ آنفا من التخلل فی
 مادۃ اصل القضية التي فرضها المستدل من کونہ مخاطبا بان یومن ومع ذلک
 مخاطبا بالایمان بکفرہ . ودخلہ النار فان ہذا الخبر جاء بعد ما عرض عندہ و ترک
 کما بینا فی الفصل السابق . وجملة الکلام ان ہذہ السورۃ لاشتمک فیہا
 لمن یدعی بوقوع تکلیف اللہ عبادہ . لیسئل لایطیقونہ واما اصل المسئلۃ فمبسوطۃ
 فی موضعہا والنزاع یرجع الی محض اللفظ والاشعری رحمہ اللہ تنالے
 ارنع عن القول بما ینسب الظلم الی اللہ سبحانہ و تنالے عن قول
 الظالمین . و ہذا آخر ما اردت ذکرہ فی تفسیر ہذہ

السورۃ حسب نہی القاصد اللہ تعالیٰ یہدی سن

یشاء الی صراط مستقیم و الحمد

لہ رب العالمین والصلوۃ

علی رسولہ محمد وآلہ

وصحبہ اجمعین